عُمان عبر التاريخ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السيابي

الجزء الثاني

الطبعة الرابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م





مؤلف الكتـــاب



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

اعلم أن إمامة على بن أبى طالب آخر الإمامة المجتمع عليهـا من رجال الإسلام ، وكانت بيعة على بن أبى طالب صحيحة ثابتة وقعت من أهل الحل والعقد ، الذين جعلهم الله حجته عـلى عباده وثبتت بإجماع المسلمين ، ووقوعه فيما وقع فيه من الفتن شىء آخر ، وعندى أن علياً تولى الإمارة فى زمان كثرت فيه الدسائس الأجنبية على دولة المسلمين ، كذلك وقعت الفتن والمحن ، فهلك من هلك ، ونجا الله من شاء من عباده .

وقد تباطأ على بن أبى طالب أولاً عن خلافه أبى بكر حتى إذا وقعت ، ثم بايع ونصح واستقام . ثم مات أبو بكر رحمـه الله واستخلف عمراً . ولم يكن لعلى بن أبى طالب رأى فى الخلافة لأن أبا بكر قطع فيها بإستخلاف عمر ، فرضى المسلمون بخلافة عمر . ولما توفى عمر جعل الخلافة شورى بين ستة نفر من خيار الصحابة الذين اعتقد فيهم أنهم حجة تامة بين المسلمين ، وكان على بن أبى طالب أحد الستة ، فتولى رئاســتها عبد الرحمن بن عوف الزهرى واجتهد فى أختيار الأصلح للأمة بحسب الخصال التى كان يعلمها منهم فى حالهم السابق الذى مات عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، ومات عليه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فرأى أن عثمان أولى من بقيــة رجال الشورى ، فبايعه بعد عهود ومواثيق أخذها عليهم فى اختيار الأصلح ، والقيام بواجبات الدين وحقوق أمة الإجابة على كل فرد فرد ، وبعد اجتهاد محص فيه القضية تمام التمحيص ،

وبعد موت عثمان اجتمع المسلمون للنظر فى أمر دينهم ودنياهم ، ولم يروا أولى بها من على بن أبى طالب للخصال التى ذكرناها فيه ، فقام بالأمر وثارت عليه ثوائر الشقاق والنفاق ، واصطدم بحجر هؤلاء المشار إليهم ، وكانت وقعة الجمل ثم تلتها وقعة صفين ، ثم وقعة النهروان ٠

وبعد ذلك تدهور البناء الإسلامى ، وانحل العقد الدينى ، وانتشر الشقاق وعظم الافتراق ، واعصوصب الأمر على علىّ حتى آل الأمر على قتله فقتل كما سبق ، والأمر إلى الله وحده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ٠

وذكرنا أن عثمان وعلياً لم يكن لهما بعمان أى عمل إذ أحاطت بهما الحطوب من كل جانب لأسباب ذكرها أهل العلم ودونوها فى آثارهم التاريخية ، ومازالت القضايا رهن القيل والقال منذ ذلك العهد إلى الآن ، ونحن نقول : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، والله يعلم المفسد من المصلح ، وإليه المرجع والمآب ٠

ثم بعد على بن أبى طالب بويع لولده الحسن ، فلم يكن له فى الأمر حل ولا عقد حتى ألقى إمامته إلى معاوية بن أبى سفيان الذى مازال يخطبها وما برح يطلبها حتى أتته راغمة ، فتولى الأمر معاوية المذكور ، وسار فيه سيرة الملوك إلى أن انتهى أمره وارتحل إلى ربه أسير عمله ، والله يتولى من عباده الصالحين ، ثم بويع من بعده لولده يزيد ، وهى كما علمت بيعة قهرية وقعت فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وهو مستهل رجب ، وقيل بالنصف من رجب سنة ٦٠ ستين للهجرة ، وقام على وتيرة الملوك آخذاً ببعض أعمال أبيه إلى أن توفى فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤ أربع وستين ، وله تسع وثلاثون سنة ، فكانت خلافته

ثلاث سنين وتسعة أشهر ، ثم تولى الأمر بعده بالوراثة ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، بويع فى اليوم الذى مات فيه أبوه فبقى فى خلافته أربعين يوماً ، وقيل خمسة أشهر وأياماً ، وخلع نفسه منها وخطب على المنبر فذكر أفعال جده معاوية واعتداءه على أهل الحق واغتصابه الأمر عن أهله ، ثم ذكر أباه يزيد من سوء أعماله وسيىء أفعاله ، وأنبه تأنيباً وأبان ما عنده حول الأمة ، وصرح بما فى ضميره وأعلن للناس الهوايا المزعومة وعبر عن الواقع الحقيقى ووعظ الأمة ، بأبلغ الوعظ ، ومات بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة ، وقيل سبعين ليلة عن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل إحدى وعشرين فقط ، وقيل ثمانى عشرة سنة ولم يعقب على الصحيح .

ثم بويع بعده ابن الطريد مروان بن الحكم كما قال الدميرى المذكور ، وقام بالأمر وتولى العراق ومصر ، وقامت على عهده حروب مذكورة فى التاريخ ، ثم مات سنة ٦٥ خمس وستين للهجرة ، وكانت وفاته بيد امرأته قعدت على صدره وهو نائم ومعها خوادمها فلم تفلته إلا ميتا ، وكانت خلافته عشرة أشهر وكان عمره ثلاثاً وثمانين سنة ، وهو الذى انتسبه اليه المراونة من بنى أمية فكان هو كرسيهم الأول .

انتقال الدولة من آل الجلندى الى آل اليحمد بن حمد

دولة اليحمـد الميـامين ضـلت
برهة كلهـا رضاً وارتضـاء

اعلم لمـا انتهت دولة الامام الجلندى بن مسعود رحمة الله : وتولى أمر عمـان خازم بن خزيمة ، وكان بغـاة آل الجلندى يتمنون ذلك ، إذ رأوا الامام الجلندى يضع السيف على أعنـاق أقاربه ، ولا يبـالى فى الحق تأخروا عن أمانيهم : وأحجموا عن مقاصدهم ، وقد وضع الضعف كاهله على عمـان بظلم هؤلاء البغاة وأعوانهم ، وبقيت عمـان بين عدو قاهر ، وضعيف مقهور ، وأعوان يراوغون الأمـور مراوغة الثعالب ، فمر على هـذا ردح من الزمن ، وعمان ترزخ ثقل الظلم على كاهلها ، ولمـا رأى شبيب بن عطية العمانى الحال التى عليها أهل عمان ، حركته خصيصة الإيمـان ، على أن يقوم بالواجب حد الطـاقة ، ويقف ضد الظلم مهما استطاع ، وبقى هو والجبابرة فى صراع ، وإذا رأى غلبتهم عليـه ترك الأمر وجلس فى بيتـه ، فاذا رأى فرصة قام بواجبه وأعلن زعامتـه ، واستمر على ذلك الحـال ، وفى هـذه الأثنـاء أيضـا قام غسان المحاربى من بنى هناءة ببغيه ، حيث رأى عصـا المسلمين لا تصلح للقيام عليها ، وأن الأمور فوضى وكل يفعل مـا يستطيع ، وكان المذكور من صـناديد الرجال الذين هم البغاة فى عمان ، دخل نزوى وانتهبها فى غير مـا مبالاة ، إلا اعتمادا على الرئاسة ، وشمت بناس فيها مـا كانوا من الأمر فى العير ولا فى النفير . بغيا وعدوانا عليهم ، حتى قتله آل الحارث بن كعب من أهـالى أبراء من شرقية عمـان ، ثم غضب له منـازل بن حشيش ، وقام لثـأره .

وهكذا بقيت الأحوال فوضى ، وقام راشد بن النضر يدعى الزعامة لأنه من آل الجلندى ملوك عمان إذ ذاك ، وخرج الى المهرة من أطراف عمـان الغربية ، واستنجد بطغام الناس وغوغائهم الذين لا يدرون قبيلا من دبير ، وأجلاف جهلاء أتباع كل ناعق أغبياء لا يهتدون للحق سبيلا ، ولا يعرفون للرشد دليلا ، إلا أن راشد بن النضر من ملوك عمـان ، حتى تغلغل بالظاهرة فجـاء بجحفله يجره على عمـان من الغربية على غير هدى من الله ، إلا أنه يروم ملكا ولا يبالى ، ولمـا رأى المسلمون الحـال على هـذا الوجه ، ورأوا تلاشى الأمور وتلاعب هؤلاء العتاة الأشرار ، خرجوا من مخادعهم ورفعوا عقيرتهم الى إخوانهم أهـل الايمـان بالله ، والغيرة على حرم الله •

وتكاتبوا من بعيد وقريب وتعاهدوا على القيـام بالحق رغم مـا يلاقون من نصب ، وقد أيقنوا أن الخروج يتحتم عليهم ، فتجمعوا وتواثقوا على نصرة الحق ، وخرجوا لأداء مـا يلزمهم فى حق الله ، فالتقوا براشد ابن النضرة وأعوانه بالمجازة من الظاهرة ، ودارت رحى الحرب بينهم ، ولم تضـع أوزارها إلا بعد سحق جيش ابن النضر وأصحابه ، حتى انهزم المذكور ، ولمـا تحقق الهزيمة لم ير له قررا بعمـان ، فتستأصل شأفته ، ويقضى عليه ، هرب شارداً على وجهه الى من يلجئه ، وملأ الله روعه رعبا ، ورأى أنوار الحق قد أشرقت ، ولوامع العدل قد أبرقت ، ولمـا تحقق المسـلمون ذلك رجعـوا الى قلب عمـان ليجتمعوا الى إخوانهـم أعمدة الايمـان ، ويتناظرون هم وإياهم فى ذلك الشـأن ، فانهم قاتلوا راشدا بلا امام ولا سلطان ، وإنمـا كانوا جمهوريين يتبعون علماءهم ، فنزلوا منح حين رأوا الخطب قد هان ، وأن الصعوبات قد سهلت • والفرصة قد حانت • فرجعوا ليدبروا الأمر على تعـارف عام بينهم ولوائح النصر مشرقة على وجوههم •

وهنا حضرهم المشايخ الهداة الأدلاء على طريق الآخرة ، وهم موسى ابن أبى جابر الأزكانى ، وبشير بن المنذر النزوانى ، ودبروا آراءهم حتى توجهت أنظارهم الحالية الى تقديم محمد بن عبد الله بن أبى عفان اليحمدى وكان المذكور من أهل العراق ، ولعله من أهل البصرة ، لأن العمانيين قطنوا البصرة كما علمت ذلك ، وهى من العراق ، ورأوه فى الحال أسكن للأمر فان لكل وقت سياسة ، ولكل عمل ساسة .

قال الامام رحمه الله : انتقال الدولة من يد الجبابرة الى المسلمين ، وتقديم محمد بن أبى عفان ، وأراد بالجبابرة المشار اليهم بقية آل الجلندى ، قال : وذلك انه لما كان من أمر راشد بن النضر ، ومحمد بن زائدة ما كان ، رأى المسلمون الخروج عليهما ، فتكاتبوا وهم يومئذ أهل ضعف ، فاجتمعوا وتآلفوا على إقامة الحق . قلت : الاجتماع والتآلف أمر فعال فى الأمة مهما كانت ، وله أهميته الحقيقية التى لا تردها العوارض مهما كانت ، قال الامام : ويقال كان عبد الملك بن حميد يومئذ شابا ، وأنه كان يدعو المسلمين الى المبايعة على راشد بن النضر ، قال : فأول من حكم محمد بن المعلى الأخنس الفشحى من كندة ، وخرجوا فى طلب راشد ، وذكر النص الذى قدمناه عن ابن رزيق . وقال فى موضع آخر : محمد بن أبى عفان هو محمد بن عبد الله بن أبى عفان ، كان رجلا من اليحمد إلا أنه نشأ فى العراق ، وكان من أهل العراق ، والمعنى هو غير عمانى . قال : فقدموا به الى عمان ، هذا يدل أنه كان وقع بينهم وابن أبى عفان تعارف على هذا الأمر .. وأن يصل المذكور عمان ، ويولوه الامارة فيها ، وكأنهم تخيلوا فيه كفاءة ، ولمحوا فيه نجابة ، ورأوا منه صلابة ، فلذلك جاءوا به الى عمان ليبايعوه بالامامة ، وهذا

رأى من كانت له معرفة بالرجل أمـــا من لم تكن له فيه معرفة بقى على مــا هو عليــه .

قال الامام : واختلفوا فى صفة امامته ، وكأنهم بايعوه بالامامة قال : فقيل كان امام دفاع حتى تضـــع الحرب أوزارها ، وإذ ذاك ينظرون الأصلح للأمة . قال كان أمير جيش ، أى لم يبايع بالامامة ، لكنهم ولوه السلطة ، فاعتبر نفسه بذلك أنه امام القوم ، قال : فأساء السيرة ، وبدل وغير ، ويلويل من بدل وغير عند الإباضية ، لا يغتفر له خطأه ولا زلله ، فان الجلندى بن مسعود لمــا دمعت عينــه على أبنــاء عمه حين رأى جنائزهم تمر به ، غضب عليه المسلمون وقــالوا له : أعصبية يا جلندى ، اعتزل أمرنا أو اعتزل أمر المسلمين .

والامام عزان بن قيس رحمــه الله ، لمــا حمل الصفر من حصن المصــنعة الى حصن الرســتاق تحرجوا عليــه حيث ان آل قيس بن عزان كان موطنهم الرستاق ، فصــارحوه فى ذلك حتى أقنعهم بعــذره الصحيح فكيف بامام يغير خطة الدين ، ويتعوج فى سبيل المسلمين ، وعلام قتل الصحابة رضوان الله عليهم امامهم عثمــان بن عفان إلا على التبديل والتغيير قال الامام : وكان أى محمد بن أبى عفان ، يستقبلهم بالكلام الغليظ ، أى يستقبل اخوانه المسلمين بالكلام الجافى بنحو كلام جبابرة الملوك ، فاستنكروا أخلاقه ، فإن المسلمين أهــل توادد وتراحم وتعاطف ، يتألمون على اخوانهم تألم الوالد الحنــون على ولده الصغير ، كمــا وصفهم الله فى كتــابه ، ولكن كان ابن أبى عفان على خلاف ذلك ، حتى قال وائل ابن أيوب ، وهو من فضــلاء المسلمين وعلمائهم فى الدين : ليس ابن أبى عفان بامام ، بل ذلك جبار ، واذا خرجت هــذه الكلمــة

ونحوهـا من لسـان مثل وائل بن أيوب رحمـه الله ، وهو من سادات المسلمين ، فمتى تقوم لذلك الامام قائمة ، واذا سمعها الأنصار فمتى ذلك الامام يجدهم أنصارا بل سرعان مـا يرى نفسه فى خلاء من الأرض •

قال الامام : فعزله المسلمون حين لم يرضوا سيرته ولا مذهبه وكان ذلك فى النصف من ذى القعدة سنة ١٧٩ تسع وسبعين ومائة وذلك فى عهد هارون الرشيد الخليفة العـام للمسلمين فى بغداد ، فانه تولى الأمر فى سـنة ١٧٠ وتوفى فى سنة ١٩٣ • قاله الامام رحمـه الله وكانت ولايته سنتين وشهرين إلا شيئا من الأيام •

قال الامام رحمـه الله : وفى بيـان الشرع من سيرة أبى عبد الله محمد ابن روح قـال : أخبرنى أبو الحوارى رحمه الله ، أنه ذكر محمد ابن عفان فقـال : هو عندنا خليع ، فقال أبو الحوارى عن الصـلت بن خميس رحمه الله ، عن محمد بن محبوب رحمه الله أنه ذكر محمد بن أبى عفان فقال : هو عندنا خليع • قال أبو الحوارى ، وأمـا المؤثر فقال يضيق عن خلعـه أى لا يرى خلعـه • قال فلو أن رجل من أهل زماننا برىء من محمد بن أبى عفان من أجل مـا يجده فى الكتب عن أبى أيوب وائل ابن أيوب الحضرمى رحمـه الله ، أنه قال : إن ابن أبى عفان كان جبارا ، ومن أجل إذ سمع محمد بن محبوب رحمهم الله يبرأ منـه فيبرىء منه من أجل ذلك ، من أجل ذلك ، من غير أن يصح معه من ابن أبى عفان مكفرة ، فان ذلك الرجل على هـذه الصفة عندنا خليع ، أى تبرأ من أجل مـا وجده فى الأثر ، فهـذا خليع أى لأن مـا فى الأثر يحتمل أن ابن

أبى عفان رجع عمـا كان عليـه ، ويحتمل أنه تاب من كل مـا يعد عليه ، أو احتمل أن ذلك منه على جهة الاجتهـاد ، وإن أخطـأ المنهـج الصحيح ، فلا يليق التبرؤ منـه على هـذا السبيل ، حتى يعلم منـه أنه فاعل لذلك المحجور على جهة الانتهـاك أو الظلم المحض ونحـو ذلك ، فلمـا كان الحـال محتملا أشياء من هـذا النوع ، فالاعراض عن البراءة وغيرها من المفروض على المسلم .

اعمال محمد بن ابى عفان فى عمان

اعلم أن محمد بن أبى عفان ، لما تولى أمر عمان بواسطة المشايخ الذين جاءوا به من العراق وبايعوه اماما للمسلمين ، ورأى العمانيون منه خلاف منهجهم كان من طبعهم الاسراع الى التبرىء وشق العصا وإثارة الشقاق ، ولا احتمال عندهم ولا تقية ، ولا تريث ولا محاباة ولا هوادة فى أقل قليل كما علمت من أحوالهم التى ذكرناها ، وشدتهم فى الدين ، وكان محمد بن أبى عفان يرى أن له مطلق النفوذ فى الأمة ، فكان وائل رحمه الله يقول : ان ابن أبى عفان سبيله سبيل امام حضرموت ، وهو عبد الله ابن سعيد ، وقد عزله أهل حضرموت ، وقدموا عليه خنبشا وهذا من شدة الاباضية ، إذ كان الرجل إباضيا وأهل حضرموت كلهم إباضية ، كان ابن أبى عفان جعل سعيد بن زياد البكرى وزيرا فى أعماله حال إمامته ، وكان هذا جاهلا عسيفا فى الأمور ظالما لا يبالى ، عد عليه المسلمون أشياء كانت عندهم من أعمال ابن أبى عفان .

كان سعيد البكرى يتولى الأمور الهامة عند المسلمين ، وكان يفعل فيها بمقتضى نظره دون المسلمين ، قال الامام رحمه الله : كان ابن أبى عفان قد أرسل سعيد بن زياد البكرى الى أهل الأحداث من أهل المشرق أى مشرق عمان خاصة ، قال : فلما وصل إليهم وكان بينه وبينهم ما كان ، وظهر عليهم سعيد واستولى على بلادهم ، وأراد دمارها ، بعث رسولا الى موسى بن أبى جابر وقال سعيد للرسول : أن يقول لموسى ان سعيدا يقطع نخل بنى نجو ، فلما وصل الرسول الى موسى قال له إن سعيدا يقطع نخل بنى نجو ، فقال له موسى : (ما قطعتم من لينة

أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) ، فلما رجع الرسـول الى سعيد وأخبره بمـا قال موسى ، أقبل سعيد على قطع النخل ، وكان القطع قبل ذلك لم يكن ، وكأنه استفتى الشيخ موسى ابن أبى جابر فى قصده هـذا ، وفهم منـه الجواز وعـدم الحرج ، فلذلك قام يقطع النخل ويهدم المنازل •

ذكر ذلك أبو الحوارى • قلت : إن هـذا الحال إن صح فقد رضيه الامام العلامة موسى بن أبى جابر رحمه الله ، إذ أقره ولم يمنعـه ، وكأنه يرى له ذلك ، ولعله رأى أن بنى نجوهم أنصـار راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ، ولذلك كان القتل فيهم فى وقعة المجازة أكثر من غيرهم ، حيث هم أنصـار البغاة من آل الجلندى ، فرأى الامام موسى ابن أبى جابر رحمه الله قطع نخلهم كسرا لقوتهم ، وهو واضح جلى ، وقـال أبو الحوارى رحمـه الله : قد حفظنـا ذلك عمن حفظنا من أهل العـلم المأمونين على ذلك ، وقال وائل بن أيوب : فأما مـا أحرق سعيد بن زياد ممـا أحرق مع راشد بن النضر ، فلو ألقى فى النـار لكان اهـلا ، أى لو عوقب سعيد بن زياد بذلك لكـان أهلا لذلك العقاب وحقيقا به • قـال : وأمـا من أحرق سعيد ممن لم يحرق فان كان بعثـه امام كان ذلك فى بيت المـال ، أى اذا أخطـأ عامل الامام ، وكـان مأمورا بذلك من قبـل الامـام كان خطـأه فى بيت المـال ، حتى لا تتكسر نفسـه فيجبن عن القيام بأوامر المسلمين وبيت المـال أصله مشروع لمصـالح المسـلمين •

قال عبد الله بن نافع : فان الامام يومئذ كان ابن أبى عفان وهو الذى بعثه • قال وائل : إن ابن أبى عفان ليس بامام بل ذلك جبـار ،

قــال : وحفظ الحوارى عن محمد بن محبوب عن أبى صــفرة عن وائل ابن أيوب ، أنه قال : لو كان ابن أبى عفان إماما لكان مــا أحدث سعيد ابن زياد فى بيت المــال • وقال محمد محبوب : مــا سمعنا من أحــد من قواد هــذه الدولة أولاهــا ولا أخراهــا صنع ولا ســار فى أهــل حربهم بشر ممــا صنع سعيد بن زياد البكرى ، من سفك الدمــاء ، وحرق المنــازل والأمتعة ، وأخذ البرىء بالسقيم ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إنكارا على محمد بن أبى عفان وأعماله ، فانه جعل سعيد بن زياد وزيره ، وسيف دولته وقائد جيشــه ، وقد أرسله الى أهــل الأحداث من بنى نجو ، وأعوانهم الذين كانوا أنصــار راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ، وأن بشير بن المنذر رحمه الله لمــا استشاره سعيد فى ذلك لم يقل فيه شيئا ، فكان دليل رضائه به فلم اللوم والتأنيب وقد قــام بواجب من قبل امامه القائم بالأمر ، وبعد انحلال دولة ابن أبى عفان ، وتولى الأمر الامام الوارث بن كعب ، كان سعيد بن زياد هاربا من عمــان الى البحرين ، متخوفا من أهل الأحداث السابقة فى عمــان منه ، ومــا رجع أيام الوارث إذ كان الامام رحمة الله قد جفاه وأقصاه ، ولم يقبل منــه صرفا ولا عدلا ، فخرج الى البحرين من أجل ذلك الى أن توفى الامام الوارث •

وبعد وفاته رجع فحمله الامام غســان على فرس وأحسن اليــه فى وفادته عليه ، ولعله رآه محقا فيمــا صنع ، وان كان فى تلك الأمور ملاما فعلى الامام ، أو أنه جاءه تائبا ممــا وقع منــه متعذرا بأعذار تسوغ له مــا فعل ، وقال وائل بن أيوب ، وهو أشدهم على سعيد بن زياد المذكور : الوارث ليس بوكيل للمسلمين ، أو قال للنــاس كان يســعه مجامعة سعيد بن زياد ، أى الاجتماع به ومراجعته معــه حتى يطلب اليه

من يطلب من أهل الحقوق فينصفهم غسان منه ، ويعطيهم الذى لهم منه ، وحيث لا شاكى منه فيسع الامام السكوت . قلت : لما رأى الناس أن الامام التفت اليه وقربه ودأناه وأعطاه فرسا كان ذلك دليل رضاه عنه وتقريبه إياه يؤثر على الغير ، إلا أن الظاهر لا يرى الامام على سعيد بن زياد شيئا والله أعلم ، وفى هذه الأثناء فجمع المسلمون بوفاة شيخ الاسلام أحد حملة العلم بشير بن المنذر النزوانى العقرى رحمه الله ، جد بنى زياد أهل العقر ، وهو من سامة ابن لؤى بن غالب القرشى ، فكان لوفاته أثر كبير فى نفوس المسلمين وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة ١٧٨ ثمان وسبعين ومائة رحمه الله وغفر له .

العمل فى عزل محمد بن أبى عفان عن الأمر

لـمـا أجمع رأى المسلمين على عزل محمد بن أبى عفان عن الأمر ، احتالوا عليه بالخروج من نزوى ، فلما أخرج تولوا الأمور التى كانت فى يـده .

قال أبو قحطان رحمـه الله . أخرج المسلمون ابن أبى عفان من نزوى حين ظهرت منـه أحداث لم تعجبهم ، ولم يرضوا سيرته فأخرجوه من نزوى باحتيال ، فلمـا خرج من نزوى اجتمعوا واختـاروا لأنفسهم إماما ، فقدموا وارث بن كعب ، قال : ولو كان لابن عفان امامة أو قال أصل إمامة مـا قدموا عليه وارث بن كعب حتى يظهروا للناس مـا يحل به عز له ، ويحتجوا عليه . قال الامام : وفى بيـان الشرع قال : أخبرنا أبو محمد الفضل بن الحوارى ، عن زيد بن مثوبة أنه أخبره بأنه لمـا أراد المسلمون أن يعزلوا محمد بن أبى عفان حضر موسى بن أبى جابر العسكر وهو شيخ كبير مشدود على حاجبيه بعمامة وهو نائم على سرير فى العسكر ، وشاعت الاشاعة بقصد القوم — وبلغ سائر المسلمين ، وكان الوارث بن كعب ممن بلغه ذلك ، وكأنه لا يراه .

قل : وقد خرج وارث يريد العسكر مناظرا ومحتجا لابن أبى عفان ، إذ أرادوا عزله ، فقال لموسى : من إمامنا ؟ فقال موسى أنا امامكم ، فلما وصل وارث نزوى أخذ موسى بيده فقدمه اماما للناس . قال فما علمنا أن أحدا من الناس عاب ذلك على وارث . قلت : ان كان للغيب مساغ فعلى موسى لاعلى الوارث ، الا ان كان يعنى خروج الوارث مناظرا عن ابن أبى عفان ،

وأنه لم يعب عليه ذلك أحد من أهل العلم . قلـــت : ان الوارث واحد من المسلمين ، وإن كان يرى لــه ذلك الوارث ، فغير الوارث لا يراه وهـــم الحجة فى المسلمين على الوارث ، وله رأيه ولا يعارض رأى غيره من المسلمين ، ورأى أهل الحل والعقد والمبتلين بعناء الأمور هم الحجة فيهـا ، وكان الوارث قبل هذا التاريخ غير مبتلى بأمور أهل عمان ، وكأن الوارث كان مع القوم المجتمعين لعزل محمد بن أبى عفان ، وإن كان لا يعلم مـا فى أنفس القوم ، وهـذا يخالف مـا يروى فى أصل إمامة الامام الوارث رحمـه الله من الكرامة التى ظهرت له فى هـذا الأثنـاء كمـا سوف تراه أيهـا القارىء فى إمامة الامام المذكور ، ولعل تلك الكرامة وقعت للامام قبل هذا الوقت ، وكان انفعالهـا فى هذا الوقت المشار اليه ، وكأن هـذا الامام من أفضـل أئمة عمـان وأقومهم فى الدين ، ومن أزهد الرجال الذين عرفهم التاريخ فى هـذه الآونة ، والذى يظهر أن تلك الأحدوثة التاريخية كانت للوارث قبل هـذا الوقت الذى جاء فيـه مع المشايخ لهـذا الصدد .

إمامة الإمام الوارث بن كعب الخروصى

بعد محمد بن أبى عفان بويع بالامامة الوارث بن كعب الخروصى من أهل بلدة هجار من وادى بنى خروص ، ولا يخفى أن بنى خروص فى عمان حضيرة الامامة ، ومنبت الزهد والورع ، وبيت القصيد فى الفضل دينا وإيمانا وزهدا وورعا ، ومعدن فضل فى عمان لا ينكره إلا جاهل ، وكيف يلحق عين الشمس نكران .

وكان الوارث أول امام من هذه القبيلة النبيلة ، ثم توالت الامامة منهم وقد أشرنا الى خصال هذه القبيلة فى الاسعاف ، وفى العنوان ، بما لا يستدعى الإعادة ، ومن حيث ان الوارث أول حجر الدولة اليحمدية ، كما قلنا فى العنوان وغيره : وأنه لخير أول :

والى اليحمد الكرام تناهت
وبها منهم مشت أمراء

منهم الوارث الامام بن كعب
ليتها القرم بدرها الوضاء

وتوالت أئمة من خروص
سادة قادة الهدى علماء

قام سلطانهم على العدل عهدا
وعلى العدل يستطاب الثناء

قال رسول الله ﷺ : الناس معادن . الحديث ، وبنو خروص معدن دين وإيمـان وعلم وعمل ، وهدى وتقوى طيلة العهد الاسلامى فى عمـان ، فخرجت منهم أئمـة أنجبها الدين والايمـان الى هـذا العهد الذى نحن فيـه وبنو خروص فى مقدمة الأفاضل الأخيار علمـا وعملا ودينـا وايمانا .

مؤهلات الهمام الوارث بن كعب للإمامة

اعلم أن الوارث بن كعب أشتهر بالفضل والورع والزهد • وتحدث عنه الناس بذلك فى النوادى ، وشاعت كراماته حتى تحدث الكون معه بامامته وخوطب بهـا من حيث لا يعلم ، بل يسمع صوتا ولا يرى شخصا ، فكان فى أيام بنى الجلندى سرا مخزونا ، وقد خبأه الله لوقته •

قال الامام فى سبب اختيار المسلمين للوارث رحمه الله : تحتمل صحته وان صح فالظاهر أن ذلك كان وقت الجبابرة من بنى الجلندى قبل ظهور المسلمين عليهم ، فتكون تلك الحالة منقبة للوارث محفوظة له منذ مدة من الزمان ، فظهرت ثمرتها فى أوانها برغبة المسلمين فى تقديمه • قال : وذلك ما قيل ان الوارث كان يسكن هجار من وادى بنى خروص وكان يرى الرؤيا فى نومه تدل على ظهور الحق على يده ، وأنه كان ذات يوم يحرث فى زرع له فسمع صوتا يقول له : اترك حرثك وسر الى نزوى وأقم بها الحق • ثم ناداه ثانية وثالثة بذلك ، فألهم الوارث أن يجيب القائل بقوله : ومن أنصارى وأنا رجل ضعيف ؟ فقيل له : أنصارك جنود الله ، فقال فى نفسه ان يكن هذا حقا فليكن مصاب مجزى ، هذا ينبت ويحضر من الشجرة التى أصله منها ، فغرسه فى الأرض فنبت شجرة ليمون ، ويسميه أهل عمان لومى ، فنبت شجرة لومى ، ويقال إن هذه الشجرة موجودة الى الآن ، وهى مركز امامته المحفوظة قلت : نعم هذا أمر متداول شائع شيوع شهرة عند الخاص والعام من أهل عمان ، وقد وقفت على هذا الشجر بنفسى وهو لا يزال جديدا كأن لم يمر عليه أكثر من نصف قرن ، واذا بالواقع قد مر عليه

أكثر من ألف سنة ومائتى سنة تقريبا ، ولا يزال الى هذا العهد الذى أحرر فيه أنا هـذه الصحائف • قال : ثم سار الى نزوى وهى فى أيدى الجبابرة من آل الجلندى ، وقد ملؤوها جورا وظلمـا ، فلما وصل الوارث نزوى وجد خبازا يخبز وجنديا من جند السلطان يأكل خبزه ، والخباز يستغيث بالله والمسلمين منـه ، فلما رآه أى الوارث على ذلك الحال زجره ثلاثا فلم ينته ، فقتله فمضى مسرعا الى مسجد هناك على شاطىء الوادى قريبا ، والآن يسمى مسجد النصر • قـال : فأسرعت اليه أى جنود السـلطان لتقتله ، فلمـا وصلوا قريبا منـه رأوا المسجد قد غص من الرجال المقاتلة فلم يصلوه • قالوا فلذلك اختاره المسلمون عليهم اماما ، قلت ولـعل القضية قد دبرت كذلك ، وقد وقع عليهـا التآمر بأنه اذا قدر هـذا الرجل على التجرؤ على هـذا الأمر فنحن معـه نناصره والا فنعتذر بأعذر فى المقام ، وأنا أظن هـذا الوجه أرجح ، لأن المسلمين بعد وقعة المجـارة رأوه لوائح النصر تؤيدهم ، واجتماعهم كان فعالا على الأعداء طبعا ، وسموا المسجد مسجد النضر بعد ذلك لأجل هـذا الحادث وذلك ظاهر ، فان بنـاء الجبابرة فى هـذه الآونة قد هم أن ينهـار ، ويمكن أن يكون هـذا وغيره فى القضية وعلى كل حال هو من كرامات الوارث الذى سيجعله الله الوارث الحقيقى للامر عن الجبابرة المفسدين •

قال الامام رحمـه الله : وقيل انه لـما خرج الوارث لاظهـار العدل تخلف عنـه أخوه محمد بن كعب ، ولا ريب فـان الجاهل على خلاف العاقل ، وبينهمـا تباين لا يزال حتى بين الأنبياء والعلماء والصالحين ، وهكـذا فقالوا خزر عنـه ، ولعله كان على رأيه مواطئا له ، فلمـا حق الأمر تلاوذ عنـه فسموه خزيرا ، وشاع ذلك عليه حتى عاد لم يعرف الا به ، وشاع على ذريته الى الآن •

قال الامام : فبنوه يقال لهم بنو خزير ، ومر أى الوارث فى حال توجهه الى نزوى على بئر لبنى صبح أهل القرية المعروفة بقرية بنى صبح ، يقال لتلك البئر زكت بنى صبح ، وكان عليه رجل من بنى صبح ، ومعه أربعون رجلا من قومه . فصحبوا الامام الوارث مناصرين له وموازين ، وهذا يؤيد ما قلنا ان الرجل كان معه ناس وكان الأمر مبينا على تعارف صحيح سار عليه الوارث متجردا لله مناصرا لدينه ، قال : فأوصى لهم أى الوراث بايقاف مال ينفق منه على من حضر الانفاق فى موضع مخصوص من الهجار إلا لمانع كمطر ونحوه ، فما زاد عن ذلك فانه ينفق على إهل الهجار وستال خاصة قال : وأوصى لأهل زكت منه بأربعين سهما ، أى عدد رؤوس الرجال الذين خرجوا معه ينفق فيهم وفى ذراريهم ، ولو بقى منهم رجل واحد فهم يعطون أربعين سهما ، ومنع منه بنى أخيه لخزره عنه ، قال موقفه يقسم الى اليوم على ما لوصى به . قال : ولا يستطيع أحد من بنى خزير أن يأخذ منه أى الوقف لتعجيل العقوبة ، وهذه كرامة أخرى فى هذا الواقف .

قال الامام : ولهذا الوقف آثار شاهرة وكرامات ظاهرة ذكرها لنا من نثق به منهما اذا أنفق فى الموضع المخصوص رأوا فيه زيادة على القدر الذى عهدوه ، وإن أنفقوه فى غير ذلك الموضع لعذر وجدوه كما عهدوه من كيل أو وزن ، ومنها أنه اذا أكل من الوقف المذكور غير مستحقة عوجل بالعقوبة ولو دابة أكلت منه مع علم صاحبها بذلك عوقبت ، وان لم يعلم صاحبها لم يصبها شىء ، أى لأنها بهيمة لم تكلفت فهذه أحوال هذا الوقف على ما ذكره المؤرخون ، وهذه الكرامات لا تزال خالدة باقية الى هذا العهد ، وهى من العجائب فى

اعتبار أهل العقول قال : وعند الثقة من هـــذه الأحوال أشياء ممـــا لم يتجاسر الناقل أن نأخذه عنـــه ، والمعنى أنهـــا أشياء ربمـــا لا تدخل فى أذواق العقلاء لأنهـــا خوارق عادات .

ولا شك أن كرامات الأوليـــاء معجزات لأنبيائهم ، تدل على صدق الاتباع لهم والاخلاص لله عز وجل ، ولا ريب فانهـــا ثمر الاخلاص والتقوى ، وبرهان صدق الايمـــان ، وكم مثل هـــذا ذكره أهل العلم لأشياخ المسلمين وعلمائهم أئمتهم إلا أن المعجزة تأتى على سبيل التحدى لاعجـــاز الخصم ، ولذلك سميت معجزات حيث أعجزت المعـــارض ، أما الكرامة فلكونهـــا إكراما لصاحبها وعلو شأن لـــه فى الدين ، فان الله لا يضع الكرامة لغير كريم فى الدين كمـــا يشـــير الى ذلك قوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وزهد الوارث وورعه وتقواه (١) أنزلته تلك المنزلة العـــالية فى الدنيا ، كمـــا أنها عنوان منزلته فى الآخرة ان شـــاء الله .

فهذه الأحوال هى التى أهلت الوارث بن كعب لأن يكون أمير المؤمنين

---

(١) قلت وللوارث كرامات شهيرة حتى منها أن الطين الذى اصلح به جدران مسجد الامام فيه حب بر باق فى جدرانه الى هذا العهد ، وما ذلك الاكرامات ظاهرة ظهور الشمس رابعة النهار ، ومنها قال ابن رزيق العمانى فى تاريخه مر على ناس مصلوبين فى الرشاق فى الشمس ظلما فأطلقهم ، ومنها لا تزال غمامة تقف أعلى بيت الامام الوارث بالهجار تنفنف عليه قطرات من ماء دون باقى الناس ، وعدم مس الوادى لقبره اذا جاء جارفا يدور به ولايمسه ، ويقال لمـــا أراد أن يبنى مسجده جاءت غمامة فوقفت اعلى المكان فبنى المسجد على دورة ظلها ، ولذلك سمى بمسجد الغمامة ، وهو باق الى الآن فهل يعقل ان بناء طين يبقى هذه المدة الا كرامة لصاحبه والحمد لله .

بعمـان ، وامام المسـلمين بغير نكران ، والفتت الأنظار اليـه والى عشيرته التى لم تزل تخرج للنـاس فصول خواتم ينفحن عطرا أو قل بحور مكام يقذفن درا ، لا بل شموس معارف يشرقن نورا ، فلم تزل الأئمـة تخرج من هذه القبيلة فى عمـان لصدق الايمـان وصحة التقوى ، ولم تزل الامامة ضـاربة أطنابها فيهم طيئة تلك العهود المـارة ، وان ظهرت فى بعض الأحيـان ، فسرعان مـا تعود اليهم وقل أن يكون بطن منهم إلا وفيه امام أو أئمة ، لأن الدين عند الأباضية مقدم على غيره ، وسبق لنـا فى الهمزية ، والى اليحمد الكرام تناهت الأبيات :

والى اليحمد الكرام تناهت
وبهـا منهـم مشـت أمراء

منهم الوارث الامام بن كعب
ليثهـا القرم بدرهـا الوضاء

وتوالت أئمـة مـن خروص
سـادة قـادة الهـدى علماء

قـام سلطانهم على العدل عهدا
وعلى العدل يستطاب الثنـاء

للمهنـا ومن كمثل المهنـا
قـوة لم تج بهـا الأقويـاء

أصلت الصـلت للمعـادين إصلا
ـيت إنتقـام فبـادت الخصـماء

دولة اليحمد الميـامين ظلت
برهـة كلهـا رضى وإرتضـاء

تحقيق البيعة للإمـام الوارث بن كعب الخروصى

بعد عزل محمد بن أبى عفان تناظر المسلمون فيمن يكون هو الامام للمسلمين بعمـان ، ومخضوا مـا لديهم من أنظـار ، واذا بالوارث بن كعب فى المقدمة ، إذ شاعت كراماته لديهم ، وفاضت فواضـله اليهم ، فكان بطل الحق وأمير العدالة الذى لا تأخذه لومة لائم ، إذ بادر الجبار بقتل جنديه فى نزوى ، وبارز البغى الصريح بالحسـام الأحمر الدامى ، فاجتمع المسلمون عليه •

قال الامام رحمه الله : هو أول امام من بنى خروص وهم من اليحمد وذلك بعد أن عزل محمد بن أبى عفان ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٩٧ سبع وتسعين ومائة • قال : وفى بيـان الشرع قال أخبرنا أبو محمد الفضلى بن الحورى عن زياد بن مثوبة أنه أخبره بأنه : لمـا أراد المسلمون عزل محمد بن أبى عفان حضر موسى بن أبى جابر العسكر ، وهو شيخ كبير مشدود على حاجبيه بعمامة ، وذكر مـا قدمنا من الحديث كمـا ذكره أهل العلم • قال أبو الحسن : بايعوا الوارث بن كعب على مـا بويع عليه أئمة العدل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والشرى فى سبيل الله وإظهار الحق وإخمـاد الباطل والجهاد فى سبيل الله وقتال الفئة الباغية ، وكل فرقة امتنعت عن الحق حتى تفىء الى أمر الله لا يستحلون منهم غنيمة مال ، ولا سبى عيـال ، ولا انتحال هجرة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسموا بالتسرك أهل القبلة مـا بينوا الشهادتين ، أى ما داموا يقولون بهمـا ويعترفون بمنطوقهما ومفهومها •

قال : فقام وارث بالحق مـا شاء الله والمسلمون عنه راضون ، وله موازرون ، وعليه مجتمعون ، ولمن امتنع عن طاعته مفارقون ، وآمنت عمان فى أيامه ، وزال عنهـا ظلم الطغـاة وجور البغـاة ، وصارت به خير دار لأن العدل يعمر الديار إجماعا كمـا علم ذلك قديمـا وحديثا ، وكان الوارث من الرجال الأوفياء لله وأهل الخوف من الله وقد تفانى المسلمون فى طاعتـه .

هارون الرشيد يروم استرداد عمـان الى خلافته

لمـا تسنت للرشيد الخلافة العـامة ، وقر كرسى سلطته فى بغداد ، التفت الى الممالك ليردهـا الى أمرة المالك ، وكانت عمان كمـا علمت عنها أولا وملوك بنى أمية والعباسيين أيضـا وانفصالها بعد ذلك حاول الرشيد ردهـا الى خلافته برغم رغبتهـا فجهز لهـا ابن عمـه عيسى ابن جعفر بن المنصور ، وعقد لـه لواء على سـتة آلاف مقاتل فيهم ألف فارس وخمسـة آلاف راجل ، وجعل له ولايتهـا من غير أن يرسـل للعمانيين ، ويعلم مـا عندهم ، بل اعتمادا على القوة وتحملا للغطرسة ، فجـاء يسحب جيشه المذكور ، وبلغ العمانيين نبـأ خروجه عليهم ليمحوهم من الوجود الاباضى الى غيره ، ولكن لم يرض العمانيون ذلك ، فكتب داود بن يزيد المهلبى الى والى صحـار ، ووالى صحار كتب الى الامام الوارث فكتب الامام الى واليـه مقارش بن محمد اليحمدى ، وبعث اليه فى ثلاثة آلاف مقاتل فتلقاه الوالى المذكور فى (حتى) بشمال صحار ، فدارت رحى الحرب بينهم ، فأمكن الله من جيش عيسى بن جعفر بعد تمزق قوته ، وأسر الأكثر ، وذهب الجيش شغربغر هاربا على وجهه الى سفنه ليتحصن بهـا ، فقام له الليث الهصور أبو حميد بن فلج الحدانى ، السلوتى ومعـه عمر وبن عمر فى البحر فى ثلاثة مراكب ، فدخل عليهم أبو حميد بمركبه حتى تغلغل فيهم ، فسقط على عيسى بن جعفر فأسره وخرج به الى صحار ، فحبس فى صحار ، وتجهز الامام من نزوى للقـاء عيسى ابن جعفر ، لأنه لا يدرى ماذا يكون منـه وهل ينتصر أو يغلب ، فـان جيوش بغداد مازالت تدق عمـان دقا عنيفا ، والحرب سجال ، فلمـا وصل

الامام سيفم خارجا على طريق الظاهرة لأن الغزاة دائمـا يكونون من هذا الطريق ، وهـا هنا وافاه الخبر بهزيمة عيسى بن جعفر فرجع الى نزوى .

قال أبو الحوارى : فلمـا بلغ نزوى بلغـه أن عيسى بن جعفر فى السـجن ، قـال أبو الحوارى : بلغنا ان الامام الوارث قام فى النـاس خطيبا ، فقال : يا أيهـا الناس إنى قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معـه قول فليقل ، قـال : فبلغنـا أن على بن عزرة وكان من فقهـاء المسلمين ، فقال إن قتلته فواسع لك ، وإن تركته فواسع لك ، أى لأنه باغ والباغى حلال الدم ويجوز العفو عنـه إذا رأى الامام الصـلاح فى العفو عنه ، قال : فأمسك الامام عن قتله وتركه فى السجن ، قال : فلما كان بعد ذلك بلغنا أن قوما من المسلمين ، وفيهم رجل يقـال له يحيى بن عبد العزيز رحمـه الله — وكان من أفاضل المسـلمين ولعـله لم يكن يقدم عليـه أحد فى زمانه فى الفضل بعمان ، انطلقوا من حيث لا يعلم الامام حتى أتوا صحار ، فتسوروا السجن فقتلوا عيسى بن جعفر فى السجن من حيث لا يعلم الامام ولا الوالى ، وانصرفوا من ليلتهم .

قال : وبلغنا عن بشير بن المنذر رحمه الله أنه كان يقول : قاتل عيسى ابن جعفر لا تمسه النـار ، أو قال : لم يشم النـار ، أى بسبب قتله وليس حكما بالغيب ، وإنمـا هو حكم بالظاهر يعنى أنه إذا لم يفعل غير هـذا لم يشم النـار بسببه ، قلت : هـو مبالغه فى حلية قتله أى أن قتـله لا شيء فيـه من المحذور مطلقا ، لأنه باغ ظالم معتد على المسلمين فى وطنهم ، أراد أن يحتل بيضتهم ويقضى على عزتهم وكرامتم ببغيـه ، قال أبو الحوارى هـذا الذى حفظنا من خبر عيسى بن جعفر عن أهـل

العلم المأمونين على ذلك ، قال : ثم ذكر صورة الحكم فى قتله ، والذى حفظناه من قول المسلمين :

إن إمام المسلمين إذا قتل أو قتل والى المسلمين أن دماءهم للمسلمين دون أوليائهم ، وكذلك إذا قتل قائد المسلمين فى مسيره أو قتلت سرية المسلمين ، قال : وللمسلمين أن يقتلوا من قتلهم كيفما قد رواه عليه فى غيلة أو غير غيلة ، قال : وفى ذلك آثار المسلمين قائمة معروفة قلت : والى قضية عيسى بن جعفر يشير صاحب معالم الجزيرة ، حيث يقول : وفى زمان هذا يعنى الوارث ، ارسل هارون الرشيد تجريدة على عمان فلم تصنع شيئا ، وكذلك فى تعليق أمير البيان ، يقول : إلا أنهما لم يذكرا أسر العمانيين العيسى بن جعفر ، ولم يؤنبا الرشيد فى أعماله ، وإن قيل : إن الرشيد قد هلك منذ أعوام . قلنا : إن تأنيب العرب فى مهاجمة اخوانهم العرب يرد الضمائر الآتية عن عمل السوء فى جانب إخوانهم ، إن كانت ضمائرهم صحيحة .

وكان الامام محمد بن محبوب رحمه الله فى مكة خرج حاجا ، فجاء عيسى بن جعفر الى عمان ، قال ابن محبوب : فبلغنى خبر هزيمته فى مكة أى لكون القضية من مهمات الاسلام على العموم ، ومن مهمات العرب على الخصوص ، ومن مهام أهل عمان على الأخص ، ولأن وراءها هارون ، وقد علم شأنه وقوة سلطانه عاتيا ، وقد هلك جيشه وابن عمه ، قال ابن محبوب رحمه الله : فقال والدى يعنى محبوبا لما بلغه خبر هزيمته وأنهم أخذوه أسيرا فقال محبوب للرجل الذى أخبره عن أسر عيسى بن جعفر : سرنى إذ أخذوه أسيرا ، قال قلت : ولم يسرك ذلك يا أبا سفيان ؟ قال : ليمنوا عليه . قال الرجل : فقلت

لمحبوب يا أبا سفيان لو كان معـه كذا وكذا من رأس لقطعوها أهـل عمـان أو نحو هـذا من القول ، قال : فقال هكذا ؟ قـال : نعم . قلت : وفى نفسى أن الامام الوارث ربما لاحظ هـذا الحال الذى لاحظه ابن محبوب رحمـه الله ، فان إطلاق عيسى بن جعفر منـه كبيرة على هارون وآله ، ومـا قتل الأحرار كالعفو عنهم ، ولكن قدر الله على عيسى بن جعفر قاض بالقتل لـه ولا مناص منه ، وأن رأى الامام الرحيلى رحمه الله سديد رشيد ، قال : وفى المصنف قال : وبلغنـا أن المسلمين باعوا شيئا من الخيل التى كانت مع عيسى بن جعفر ، كمـا ثبت أنهـا كانت ألف فرس ، قال وتصدقوا بثمنهـا على الفقراء والدار قاصية بعيدة . قلت ذلك لأنهـم يرونهـا بيت مال ، فان مـا فى يد السلطان هو بيت مال المسـلمين وأمـا أموال أهل القبلة فلا تحل مطلقـا عند الاباضية مهمـا كانت أفعال البغاة عملا بسنة الله وسنة رسوله عليه السلام .

قال ولمـا بلغ هارون الرشيد خبر هزيمة جيشـه الغازى عمان ، وبله أسر ابن عمـه عيسى ، وأنه الآن فى يد عدوه هزه ذلك على حرب عمان ، فهم بانفـاذ جيش كثيف لعمـان ليمحو الآثار ، وينشر فى أهل عمان الدمار ، حتى بلغ خبره عمان ، ولا شك أن أهل عمان يتوقعون منـه ذلك ، فارتاع أهل عمان لذلك واهتموا من قبله أى اهتمـام ثم فى هـذا الأثنـاء قضى الله على هارون بالموت ، فمـات فى طوس ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سـنة ١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة ، وأراح الله منـه الأمة وتلك الدنيـا وهذا فعلها بأهلها والله المستعان .

لم تر عمـــان أيام الامام الوارث سوءا ولم يغزها غاز بعد عيسى بن جعفر ، واطمأنت البلاد واستراحت العبـــاد ، وظهرت معـــالم الرشاد ، وكبح الله جماح أهل العناد ، وانقطعت شأفة الفســـاد ، وصارت عمان خير دار ، وذلك كله كرامة لإمامهـــا البطل المغوار ، المدود من السماء بالكرامات الكبـــار ، التى هى من أفضـــل المنن من الله لعباده الأبرار .

وفاة الامام الوارث بن كعب رحمـه الله

بعد مـا قضى بن كعب رحمـه الله اثنتى عشرة سنة وأشهرا فى إمامته ، قائما لواجبات الله عز وجل ، عاملا بمقتضى الكتـاب والسنة ، حافظا لحقوق الأمة ، حاميا للبيضـة ، جاءه مالابد منـه لينتقل من دار الفناء الى دار البقـاء التى هى المرجع للكل ، وذلك أن حبس المسلمين كان عند سوقم مايل من نزوى فى وادى كلبوه تحت الشجر ، ولعل هنـاك كانت ظهرة مرتفعـة عن مجرى السيل إلا إذا جاء جارفا يفيض إليهـا فيغمرها سيله ، وأنه وقع مطر غزير وسالت الأودية وبالأخص وادى كلبوه ، وكأن الامام لمـا رأى الوادى يتزايد ويرتفع أمر باطلاق المساجين خوفا عليهم من اجتياح الوادى لهم ، فلم يجسر أحد أن يصل إليهم ، ولما رأى الامام رحمـه الله ذلك عز عليـه أن يصبح مساجينه ضحية الوادى وهـو حى يغدو ويروح ، فقال قولته المشهورة : أمانتى وأنا مسـئول عنهم غدا ، وارتمى إليهم لينجيهم مهمـا استطاع ، فطغى عليه السـيل فحمله مع مساجينه وهم على مـا يقال كانوا عددا ، ثم تبع الامام ناس من أصحابه ممن عاهد الله مع إمامه فى حله وترحاله ، فكانوا على مـا قيل سبعين رجـلا حملهم السيل فأغرقهم .

قال الامام : لم يزل الوارث إماما حسن السـيرة قائما بالعدل حتى اختار الله له مـا لديه ،فكان سبب موته أنه غرق فى سيل وادى كلبـوه من نزوى ، وغرق ومعـه سبعون رجلا من أصحابه وذكر الحادثة بعينها ، وكذا قال ابن رزيق فى تاريخه ، ولا يقـال إن هـذا إلقـاء للنفس فى التهلكة التى نهى الله عنهـا ، فانمـا هذا قيام بالواجب واجتهـاد فى

الله ، والمسلمون إخوان وأعوان ، ومن الجائز أن يصل الامام وأصحابه الى غرضهم ، ومن الممكن أن يخف الماء فى ذلك الحين حتى يبلغ المسلمون أربهم ، ولما كان القضاء والقدر حاكمين على أولئك بالهلاك ، فلا لوم عليهم ، قلت : (لو كنتم فى بروج مشيدة ، لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) الآية حملهم السيل جميعا الامام وأصحابه ، والمسجونون معا ، وبعد تنازل الجارف خرجوا يتفقدونهم فى الجرى ، وإذا بالامام المرضى على شعير الوادى عند الطريق السافل من سعال بالجانب الشرقى منه ، فصاح صائحهم وتلاقوا عليه وأراده كل فريق لأن يتولوه ويدفنوه معهم ، وهموا أن يقتتلوا على ذلك خصوصا أهل العقر وأهل سعال ، وبلغ الأمر الاعتماد على القوة ، وأخيرا اتفقوا أن يدفنوه فى المكان الذى وجدوه فيه صلحا بين الطرفين ، فتراضوا بذلك ودفن مكانه ، وإذا طغى السيل ووصل الى ذلك المكان افترق عن القبر ولم يمسه ، وهذه إحدى كراماته ، وقبره معروف عند الكل ، وكان الأئمة يزورونه باستمرار ، لكونه كان فقيد الأمة الاباضية بعمان ، المنقذ لها من ظلم الجبابرة من آل الجلندى وأعوانهم ، كان محبوبا فى الأمة الى حد بعيد ، كان مخلصا لقومه رءوفا بهم محسنا إليهم شفيقا عليهم ، يبذل النفس والنفيس فى صلاحهم ، لا يبالى بما يلاقى فى طاعة الله عز وجل ، كثير الكرامات التى لا تزال باقية الأثر الى الآن ، انظر الى الوقف الذى منع منه آل أخيه محمد بن كعب الذى لقب بعده خزيرا لما كان منه اذا أكل منه الخزيرى عوقب حالا أو أصيب ، واذا كانت له زوجة خروصية تأكل من وقف الوارث ولا يقدر زوجها أن يأكل منه ، وإذا كانت خزيرية وزوجها خروصى فهو يأكل من الوقف وهى لا تقدر ، وهذا أمر مشاهد معهود طيلة هذه الأزمنة المارة ، وهى فوق اثنى عشر قرنا ، وانظر الى أئمة بنى خروص وعلمائهم

وأدبائهم ، ولا يوجد خزيرى عالما أو حتى شـــاعرا على كثرة علماء بنى خروص وأهل الفضل فيهم فسبحان من لـــه فى خلقه أسرار وفى عبـــاده عظيم الاعتبـــار .

كانت وفاة الامام الوارث رحمـــه الله فى اليوم الثالث من جمادى الأولى سنة ١٩٢ اثنتين وتســـعين ومائة ، ومات الرشيد بعـــده بسنة واحدة فقط إذ مـــات ســـنة ١٩٣ وأراح الله الأمة من شره وشر ذويه ، وانقطع أمرهم عن عمان إلا مـــا سيأتى من حروب ابن بور عامل المعتضد ، وابتلت بهم عمـــان أشد ابتلاء حتى فرج الله أزمتهم بأهل الحق ، وأزال بغيهم ونعرتهم كمـــا سيأتى ذلك فى محله إن شاء الله .

إمامة الامام غسان بن عبد الله اليحمدى
من الفجح على الصحيح عند الكل

لما مات الوارث بن كعب رحمه الله ورضى عنه بايعوا بعده غسان بن عبد الله يوم الاثنين لست خلون من جمادى الأولى سنة ١٩٢ اثنين وتسعين ومائة فى عهد هارون الرشيد ، قال أبو زياد : لما غرق الوارث بن كعب رحمه الله ، قال سليمان بن عثمان لمسعدة بن تميم عند فلج ضوت فى البطحاء ، أى من نزوى : نكتب الى أهل السر يأتون ، قال ابن تميم : إنما يريد عثمان أن نؤخر هذا الأمر حتى يجتمع الينا الناس ، أو قال غوغاء الناس • فيختلفون علينا ، ولكننا نقطع الأمر ، قال أبو الحسن بيعه المسلمون على ما بويع عليه الامام الوارث رحمهما الله ، فقام بالحق وعمل به ، وعز الحق فى أيامه ، وظهرت دعوة المسلمين بعمان ، وكان فى أيامه جملة من العلماء الذين هم مصابيح ظلمات الجهل ، والهداة الى الله علماء أساطين ، وفقهاء ميامين ، وأخيار مخلصين ، سوف يمر عليك ذكرهم ، وبعد ما قرت الامامة على كاهل غسان بن عبد الله ، ورضى المسلمون إمامته ، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الحق •

وقد قام غسان الامام بحقوق الاسلام ومراشد الأنام للمصالح العام •

الإمام غسان يخرج الى صحار لتوطيد الأمور هناك

لا يخفى أن الطرف الصحارى فى الباطنة لا يزال منظورا اليه بأعين الاحترام من ناحية ، ومن ناحية أخرى بأعين المطامع لا سيما فى ذلك الأوان ، فان الجانب الشمالى كان كرسى عمان ، ومصب خيراتها ، ومحط ثمراتها ، ومدخل غزاتها ، كما علمت ذلك مما حدث عنه التاريخ جاهلية وإسلاما ، وأن بوارج الهند وفارس بدا منها على بحر عمان فساد ، فكانوا يخرجون غزاة للمارين فى البحر ، وللذين يظفرون بهم فى ساحل عمان ، وكان هارون الرشيد قد هلك بعد ما تولى غسان أمر عمان ، فرأى من الضرورى تأمين البحر لأن طريق المسلمين فى البحر كطريقهم فى البر ، يجب أن يكون آمنا مطمئنا من معرة المفسدين فى الأرض ، فخرج غسان من نزوى قاصدا صحار ، وكان الخروج إذ ذاك على الرواحل وعلى الأقدام ولذلك يستدعى أياما فى الطريق ، وأن السفر من نزوى الى صحار فى ذلك العهد كالسفر الآن الى الحج ، إذ يبقى فى الطريق أياما ، فاذا وصل صحار كأنه وقع فى بئر بالنسبة الى داخلية عمان ، فمتى تصل الأخبار عنه الى عمان الداخلية إلا بعد مدة لا سيما إذا كان المسير على الأقدام ، أو الرواحل العادية ، فاذا كان الأمر مُهماً فعلى الإبل المعدودة لهذا الشأن أو الخيل المهيأة لهذا ، المسومة عند أهل عمان ، قدم الامام غسان صحار لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٠١ إحدى ومائتين .

قال أهل التاريخ : وكان البوارج وهم كفار الهند يقعدون بأطراف عمان يسلبون المارة ، وينهبون القارة ، ويهربون الى ناحية فارس

والعراق فكانوا فيما بلغنا يهاجمون النواحى الشمالية من عمان ، كدبا وجلفار وما حولها من تلك الأطراف ، لعلهم ببعدها عن مركز الشراة العمانيين ، فرأى غسان رحمه الله أن ينظم لهم جندا يصادفهم فى البحر قطعا لفسادهم ، فاتخذ الزوارق ، وهو أول من اتخذها لتأمين البحر بعمان ، وهى ضرب من السفن ، فاتخذ منهما أسطولا لحماية شطوط عمان من القرصان الهنود وهو أول من اتخذها من أئمة عمان ، وأما الغرف فهو نوع من السفن يقرب من الشذاءات كما يسميها أهل البحر أيضا ، أى أن الشذاءات هى السفن الصغيرة المهيأة لغزو القرصان فى البحر ، فغزا الجيش العمانى قراصنة البحر أينما حلوا وينما ظعنوا ، كلما جاءوا الى جانب وجدوا شراة البحر على استعداد تام ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فهربوا وانقطع فسادهم وزال بغيهم وعنادهم •

قال الامام : وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشذاءات والغرف ، أى السفن الصغيرة لأنها أخف سيرا وأسرع جريا فى البحر ، وأيسر مؤونة إذ ذاك فى ذلك العهد ، ثم لما تم ما أراد رجع الامام الى نزوى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من رجب سنة ٢٠٦ ست ومائتين ، فكانت مدة سفرته الى صحار ستة عشر يوما فقط ، كان الصلاح فيها عظيما والانفعال سريعا والحمد لله • وبعد رجوعه رحمه الله ، قتل أبو راشد بن محمد بالأفلاج يوم الخميس لست من ربيع الأول من سنة ٢٠٧ سبع ومائتين ، وقتل صقر بن محمد بن زائدة بن جعفر الجلندانى ، وكان لقتلهما أسباب غيرة على الحق ، ذلك أن صقرا كان مستور الأحوال عند المسلمين ، وهو من ذرية آل الجلندى المتقدم ذكرهم ، ذلك أن صقرا كان قد بايع المسلمين على ابن عمه راشد بن النضر بن سعيد

الجلندانى ، وأعـان صقر المسلمين بالمـال والسلاح ، إذ كان من أعيان أهل عمـان ، وكان زعيما من زعمـاء آل الجلندى ، فلمـا أزال الله ملك راشد بن النضر وانتهى بوقعة المجـازة من الظاهرة وهرب المذكور راغما ، وتولى المسلمون الأمر كمـا قدمنا .

قال الامام : أذل الله الفاسق راشد بن النضر وغير نعمته ، وأظهر الله دعوة المسلمين وكلمتهم ، خرج على المسلمين رجل من أهـل الشرق من بنى هناءة ، وخرج معـه بنو هناءة بغـاة على الحق ، وكان هـذا الخارج هو راشد بن شاذان بن غسان بن سعيد بن شـجاع المحاربى الهنائى ، فألقى بعض الناس الى المسلمين أن أخا صقر بن زائدة عنـد البغـاة ، فاستنكروا ذلك واسترابوه ورأوه كبيرا من صقر ، حيث إنـه معهم بالحـال والمال والسلاح ، وأن أخاه فى جيش الباغى على المسلمين . ولمـا ذكر لصقر ذلك قـال: من يقول ذلك وإن أخى مريض عندى فى الدار ، وكان صقر يومئذ فى سمائل ، قـال : فلما هزم الله البغـاة أى المحاربى ومن معـه ، وظفر المسلمون بهم تحقق أن أخـا صقر كان مع البغاة ، فعند ذلك اتهموا صقرا بالمداهنة لمـا ستر عنهم أمر أخيـه ، وكان الامام يومئذ بنزوى ، وكان الوالى على سمائل يومئذ أبو الوضاح . قال : فرفع أبو الوضاح صقرا الى الامام مع سرية بعثهـا الامام لحمله ، أى صح ذلك الحال مع المسلمين ، وأرسل الامام الى صقر من يحمـله اليه بنزوى ليعاقبة أو ليستطلع حقيقة الرجل ، وخرج أبو الوضاح أى والى سمائل فى صحبة صقر المذكور الى الامام ، ولا يدوى خروجه هـل كان لقصـد الدفاع عن صقر إذ كان يبرئه من السـوء المنسوب اليـه فيعتذر عنه مع الامام ، أو لأمر آخر كان يكتمـه فى نفسه ، وفى أثنـاء

الطريق وافتهم سرية أخرى من الامام الى صقر بن زائدة ، وبعث معهم العلامة الكبير موسى بن على رحمه الله . لئلا يقع بطش فى غير المستحق ، أو لأن صقرا كان من الزعمـاء الذين لهم أهمية ، فيخشى امتنـاعه فيقع بينـه وبين شراة الامام أمر ، وكان موسى بن على الرجل الوحيد فى زمانه شرفا وفضـلا وعلما وعملا ، فالتقت هـذه السرية بصقر ومن معـه فى نجد السحاماة ، وهـو المرتفع أعلى وادى سمائل ووادى حلفين فبينمـا هم فى مسيرهم إذا اعترض الشراة صقرا فقتلوه ، فلم يكن للوالى أبى الوضاح ولا لموسى بن على منعهم من قتله .

قال أبو الحوارى : وبلغنا أن موسى بن على رحمه الله خاف على نفسـه ، فلو قال شـيئا لقتلوه ولم يكن من الامام انكـار ، أى على القاتلين وكانت تلك الأيـام الدولة فى أول شبابها ، وفى صـدر قوتهـا ونشاطها ، وجملة من العلماء يديرون شئونها ويقومون بمهماتها . قال : فيحتمل سكوت الامام رحمه الله تعالى أحد وجهين ، إمـا أن يكون قد صح أن صقرا بايع عليـه واستوجب بذلك القتل فأسر الى بعض الشراة أن يقتله ، ولم يتشهر هـو بقتله كى لا تكون عصبية ، وإمـا أن يكون قد احتمل القاتل معـه أن يكون قد قتله بحق علمه كمـا احتملوا ذلك فى قتل عيسى بن جعفر .

قلت : هـذا الاحتمال الأخير لا وجه له وإلا كان كل واحد يقول أنا قتلت فلانا بحق لى وليس هـذا بشىء ، لكن الاحتمال الأول أقرب الى الصواب ألا ترى الامام أرسل الى صقر سرية تحمله ثم أتبعهـا بأخرى تعززها ، فهـذا يدل على شىء قد صح عند الامام ، وقد سـبق أن أصل طلبهم له أنه قد تحقق أن أخا صقر مع البغاة ، وأن المسلمين لمـا

سألوا صقرا ناضل عن أخيه بقوله انه مريض معه فى الدار ، وهم قد تحققوا أنه مع البغاة ، فبهذا رأوا منه ذلك خيانة للمسلمين استوجب بها القتل ، وكانوا أشداء على أهل النفاق ، ونقول : ليت القوم لم يفعلوا فى صقر هذا ، وقد أعانهم بالمال والسلاح ، وايّدهم وقوّى دولتهم ، ولم تقم عليه بعدُ حجة إلا قوله عن أخيه ذلك المقال ، ولعل هناك أشياء لا ندرى حقيقتها وهم المبتلون بها ، وحاشاهم أن يقدموا على أمر كهذا إلا على صحة ، فان أمر القتل كبير لا سيما أن الامام لم يقل شيئا ، فهذا دليل على أنه منه وإلا ليس للشراة مثل هذا مع وجود الامام ، بخلاف قضية عيسى بن جعفر ، فان عيسى كان قائد الجيش ، وكل من قتل من المسلمين فقتله معدود عليه باتفاق أهل العلم فى قواد الجيوش ، كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام لهرقل : وإلا فعليك إثم الأريسيين • قال : وأما خوف موسى بن على على نفسه لو أنكر فلم يتحقق ذلك ، وإنما هو مجرد ظن من موسى فى الشراة ، ولعله لو عارضهم وهم مأمورون بقتله من الامام لرأوه معارضا للمسلمين ورادا لأمر إمامهم ، ويكون بذلك مؤيدا للباغى المالىء على المسلمين ، فلا يبعد أن يكون منهم شر كما ظنه وهو الفطن اللبيب ، وأما هو بحسب الظاهر مجرد ظن وخوف إذ قام الشراة بشدة على صقر ، ولما رأى المحاربى المذكور قوة المسلمين ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فألقى نفسه الى اليحمد رهط الامام وهم الفجح من أهالى الرستاق ، فقاموا به عند الامام وأخذوا له عهدا من الامام غسان رحمه الله لا يعود لفساد الأرض ، وكان الامام رحمه الله قد قبل منهم ذلك ، فلعل السياسة اقتضت تفويض الفجح فيه بالعفو عما صدرت منه تلك القضايا المعدودة فى التاريخ ، فانه قام على نزوى فانتهبها وهاجم

دمـا من شرقية الباطنة ، وكان منـه ما كان ممـا ذكره المؤرخون من قتل واليهـا وانتهابه لهـا ، وكان رأس بغى وعمود ضلال .

وذكر ابن رزيق قضية صقر بن زائدة وأن الامام أرسل سرايا وكتب لواليه الذى يحصن سمائل وهـو الوضاح بن عقبـة أن يسلمه للشراة ، ولمـا صلوا هاجمته الشراة فقبضوا عليه ، ومضى الوالى معهم وذكر مـا قدمنا من وصول السرية التى فيهـا موسى بن على شيخ المسلمين وعمدتهم فى الدين ، والأحوال أولى بهـا من كان مبتلى بهـا ، وأمـا المحاربى المذكور فهـو اشتهر بالبغى ، وفعل أشياء ينكرها العقل والنقل ، وتردد ذكره فى التاريخ والله يبتلى المسلمين بالبغـاة المجرمين ، فبعد مـا هاجم نزوى وانتهبها باغيـا وهاجم دمـا باغيا ، وعاث فى أرض الله بغيـا وعدوانا ، فهو أعظم جرما من صقر الذى لم يعد عليه إلا كون أخيـه مع البغـاة ، وأنه كتم على المسلمين أمره ، فبهـذا سيقت اليـه السرايا الواحدة تلو الأخرى حتى قتله الشراة فى شيخ الاسلام موسى ابن على ، والوالى أبى الوضاح قبل أن يصل الى الامام ولو كان من الامام أمرا صادرا شاهرا ظاهرا لكان من حق موسى بن على ألا يقتل فى وجهـه فكيف وهو يقتل فى أيديهم الطريق ، فلماذا جاء إذا موسى بن على رحمـه الله ، وهو علامة المسلمين ، ويترك المحاربى ويسكت عمـا فعله وهو أمـر عظيم ، وصقر لم يفعل بعد شيئا ، بل فعل غقد أعان المسلمين بالمال والسلاح ، فانظروا الفرق بين القضيتين ، نعم الذى يجب أن نقول عليـه أن الامام رأى قتل صقر فقتله ورأى العفو عن المحاربى فعفـا عنـه وله أن يعفو

عن الباغى فى أحوال عديدة لا سيما إذا رأى المصلحة فى العفو عنــه ولا يزيده العفــو عنــه إلا وبالا مع الله إن لم يتدارك أمره بالتوب الى الله والرجوع اليه عز وجل ، وحسن الظن بأئمة المسلمين وأهــل الصلاح فى الدين واجب ، وكلامنا على الفرض والتقدير والاحتمال الواجب على المسلم نحو أخيــه .

الإشـــادة بنزوى أيام غســـان

لا يخفى أنه لمـــا توالت الغزوات على مركز الزعامة العمـــانية فى صحار ، وتوالى الغزاة الأشرار من العرب والفرس وغيرهم على الإمـــارة العمانية ، ولم تزل الجيوش تســـاق من جهات شتى وكان مركز الامامة لا يزال فى قلق منـــذ قتل الجلندى وهلم جرا الى عهـــد غســـان الامام ومهاجمة قراصنة الهنـــد البوارج وغيرهم ، ومـــا كان قبل ذلك أيضـــا رأى المسلمون تحويل عاصمة الامامة من صحار الى داخلية عمـــان فى مكـــان يكون صالحا لاستقرار كرسى الامامة ، وأن كونه فى صحار لا يزال مهددا مرميـــا من أعداء عمـــان وأعداء مذهبهم بأسوأ العدوان ، رأوا نزوى أمنع لهم وأصون لزعامتهم ، وأقر لسلطانهم فانهـــا فى قلب الداخلية والى الشرق منها أقرب من الغرب ، وأكثر الغزاة من الجانب الشمالى الغربى دائمـــا فاتفق نظرهم الى هـــذا ورأوهـــا أصلح بلا جدال ، فأمروا أن يكون الامام بهـــا ولا يخرج منهـــا إلا لمهم يبدو أو لداع يســـتدعى الخروج ، وأن الغـــازى اذا جاء وبلغ خبره الامام أمكن أن يجهز له من يصـــده ويرده ويسد الثغور فى وجهه ، ويلتقيه بمن شـــاء من رجال عمان البواسل قبل أن ينال غرضا من الامام ، فان الامام فئة قومه وإليه يلجأ الخائف وإنه لنظر سديد ورأى حميد ، اعتمدوا له واتبعـــوا مقتضاه ، وإذ ذاك نظروا فى الجمعة فرأوها باقية لا تزال ثابتـــة الدعائم فى صحار ، يقـــوم بهـــا نائب الامام فيهـــا من قاض ووال ونحوهما ، وأن تقام فى نزوى مع وجود الامام بهـــا لأنها شرعت فى بيضة المسلمين ، وأن الامام هو بيضتهم ومطمح نظر العدو ، اليه دون غيره .

وخرجت فتاويهم فيهـا على هـذا فلم تزل الجمعة باقية فى صحار منـذ ذلك العهد ، كان بهـا امام أو لم يكن ، إمـا بنزوى ففى أيـام الأئمة ذلك المعنى الذى أشرنا اليه ، وها نحن الآن نطالب السلطان بنقلهـا الى مسقط لكونهـا الآن عاصمة عمـان ، ومنتدح أهل القطر ، وبهـا عرش السلطان حين اخترىت صحار ، وزالت عنهـا الصفات الحميدة وتغير الوضع فى هـذه العصور الأخيرة ، فان المذهب منهـا هم أن يتقلص ظله ، وانتقل الأمر السلطانى الى مسقط ، وانحل عز صحار وانهار صرحها العالى ، وأصبحت اسما بلا مسمى ، ولله فى خلقه أحوال ولكل شىء غاية ينتهى اليهـا ، وحق على الله ألا يرفع شيئا من أمر هـذه الدنيا إلا وضعه ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، ولقد قال الحكيم العربى :

وإذا نظرت الى البقاع رأيتها
تشقى كمـا تشـقى الرجال وتسعد

ونزوى صارت كرسى الامامة فى عمان منـذ العهد ، قـال الامام رحمه الله : وكان مقـام الامام بنزوى فى بيت الامامة فى العقر . قلت : هو الذى نسميه الآن نحن حصنا ، وهـذا يدل أنهم اتخذوا للامامة فى نزوى مركزا خاصا للزعامـة ، وقد لازم نزوى الامام الوارث بن كعب رحمـه الله ، ولم تكن قبله لذلك ، بل استمر بهـا الحال بعده ، وفى عهد الامام غسان سميت تخت ملك العرب ، أى فى عمـان خاصة ، فان تخت ملك العرب مطلقـا كان مكة ثم انتقل بمحمد عليه الصـلاة والسلام الى المدينة ، ثم الى الشـام أيام معاوية ، ثم الى العراق أيام بنى العبـاس وهكذا لكل جيل خصائص ، قال الامام : وفى زمانه أى زمان الامام غسـان رحمـه الله سميت نزوى بيضة الاسلام :

فافرق بهـا البيد حتى يستبن لهـا
فرق على بيضـة الاسلام عنوان

انزل فديتك عنهـا إن وجهتهـا
تحت الأئمة مـذ كانت ومـذ كانوا

قال الامام : قال فى بعض السير ولها مدائح فى كتاب سير العرب ، وفى كتاب سير العجم تركت خوف الاطالة ، قلت • ليتها لم تترك حتى نعلم عنهـا شيئا يحسن السكوت عليـه ، وليتنا نعلم الكتابين المشـار إليهما حتى نطلبهما ، وحكاية الامام بذلك لا تكفينا ولا تشفينا ، والخلاصة معنا أن نزوى عرش الامامة فى عمان ، ولن يتبدل عنهـا العمانيون عاصمة لإمامتهم مهمـا كانت الحـال فى عمـان ، فقد استوطنها الأئمة والعلماء والقضاء ، وكم حوت تربتها من امام وفقيه وزاهد وعابد :

فـان تيامنت الحوراء شاخصـة
لهـا مع السحب أكتاف وأحضان

فحـط رحلك عنهـا إنهـا بلغت
نزوى وطافت بهـا للمجد أركـان

هنـاك انزل وقبـل تربـة نبتت
بهـا الخـلافة والإيمـان إيمـان

انزل على عرصـات كلهـا قدس
للحـق فيهـن أزهـار وأفنـان

انزل على عدنات النور حيث حوت
أئمـة الدين قيمـان وظهـران

حيث الملائكة احتلت مشاهدهم
لهــا على الحل والتعريج إدمــان

أرض مقدسة قــد بركت وزكت
تنصب فيهــا من الأنوار معنــان

ميمونة بركــات اللــه تنفحهــا
واليمن يثمره عــلم وإيمــان

رست بهــا هضبة الاسلام من حقب
وإن قضت باستتار العدل أحيــان

قديمة الذكر عــاذ الدين عائذهــا
من يوم أصــبح توحيــد وقرآن

قامت بهــا قبــة الاسلام شامخة
حتى تواضــع بهــرام وكيوان

ولم تزل عرضــة للعــدل عاصــمة
للاســتقامة فيهــا الدهر ســلطان

كمــا أشهر الله فيها من حسام هدى
كأنهــا لســيوف الله أجفــان

كنــانة لســـهام الله مــا فرغت
مــذ كان للجور شيطان وســلطان

بحجــة الله قامت فى الشقاق لهــا
بدين ذى الثفنــات الحبر أيقــان

لسرهــا واختصاص الله قائمهــا
بالنصر والفتح برهــان فبرهــان

تعــاقبت خلفــاء الله منصبهــا
منــذ الجلندى وختم الكل عزان

وللإمام الحضرمى رحمه الله :

وكــم من إمــام حــل نزوى
وأعوانه فى الصين أو فى خراسان

يالنزوى وهــل لنــا بعد نزوى
وعليهـــا تعــاقب الخلفـــاء

والحقيقة مــا زال الأئمة بعمان يستوطنون نزوى الى هــذا العهد الذى نحن فيــه وقد لازمهــا الامام الخليلى رحمه الله تعــالى آخر عمره ، وفضل الموت فيهــا ليجاور إخوانه الكرام حتى وفقه الله لذلك المرام ، فمــات بهــا ودفن بجوار الامامين ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف رضى الله عنهم .

الإمام غسان يهتم بأحوال الأمة باطنا وظاهرا

عظمت النعمــة على أهل عمان ، واطمأن الناس برا وبحرا وكثرت الخيرات ، وعظمت البركات وبورك لهم فى الأثمــار ، وربحت التجــار وانبسطت الفضائل من الله عز وجل ، فكان الغيث مدرارا ، والعدل يورث الأمة عزا وشرفا ، ويعلى منــار الدين لأهل الوفاء ، فلم الأمطار فياضة على عمــان ، بحيث ترى الأودية جارية والصحارى خضرا والجبال كذلك ، وليس على الأمة مهم يزعجهم أو كارث يهمهم •

قال الامام : وفى زمانه أخصبت عمان خصبا كثيرا وصــارت خير دار وبقى الخصب من بعده عهدا طويلا ، حتى قيل إن فلج ضوت بنزوى بقى زمانا تسقى أمواله من جلبة خراسين ، أى إن نبع المــاء من خراسين بقى زمانا كافيا لسقى أموال ضوت من كثرة رش المــاء ، حتى إن الفلج ذهب ولم يعرف له أثر بأموال دارس ، أى إن الفلج هو فى الأصل منبعــه من أموال دارس ، ولمــا استمر الخصب أربعين سنة لم يعد يعرف أصــله أين هو فضــاع صوت القديم بذلك ، وهكذا بقية أفلاج عمــان وكان الامام غسان رحمه الله يخرج يزور قبر الوارث رحمه الله ، ويمشى على الغيل فى الوادى يفعل ذلك كل جمعة ، فيبتى هناك فيغتسل فى ذلك الغيل ، ثم يعود الى الجامع لأداء فريضة الجمعة ، ثم يرجع الى الحصن واتخــذ ذلك عادة ، وكان يتفقد الأحوال ويراعى بأحاسيسه نعم الله تعــالى ، فيرى المــاء صافيا كأنمــا سال ذلك اليوم ، حتى رأى فى بعض الأيام بالماء طحلبا فاقشعر جلده وتأوه ، وقال فى نفســه : لعل حدثا وقع فتأثر

منــه هــذا الماء ، فراجع نفســه فلم يجد لديهــا شيئا ، ونظر الى الأمة وإذا بهــا فى أوفر النعم وأكمل الأحوال ، ولم يزل يقول فى نفسه إن هذا أثر عن تغيير ، مع أن الطحلب عادة فى المياه إذا طال بهــا العهد ، فأحضر أهل الأموال ، وروى لهم بحرب الهنــد لأن البوارج الذين قاومهم الامام فى البحر من أهل الهند وقال لهم : أريد أحرب الهند وبيت المــال لا يكفى ، أى للمصاريف التى تستدعيها الحرب ، وأريد أن أجعل على التجار قرضا يكون أداؤه من بيت المــال ، قال أبو إسحاق : وهــذا القرض يعبرون عنه الأن أى فى الممالك الاسلامية بقرض الدفاع ، القرض الذى تقرضه الأمة لدولتهــا لأجل الحرب ، وهــذا أفتى به شيخ الاسلام سعيد بن خلفان للامام عزان بن قيس رحمهما الله •

قــال : فقال الامام للمستشارين فى ذلك وهم أصحاب الأموال : أشاوركم فى ذلك فماذا ترون ؟ فقال أصحاب الأموال : أيهــا الامام التجار يسعون بالفائدة أو هم يطلبون الفــائدة أى الأرباح ، وان قلت دراهمهم ضاعت المعــاملة بيننا وبينهم ، ونحن أرباب الأموال والقرضة علينــا بما تريد ، فقال : طيب ! وأسرهــا فى نفســه وقال لا غيرها هنــا ، ثم أحضر التجار وقــال لهم : أريد أحرب الهنــد ، وخزانة بيت المــال لا تكفى لمقاومة الحرب ، وأناظركم أريد أن أجعل قرضة على بيت المــال لتقويم هــذه الحرب من أرباب الأموال ، فمــا ترون : فقال التجار : أيهــا الامام أصحاب الأموال أهل حرث ، وأكثر الحروث غالبا لا تكفى مغرم مــا عليها ، والمراد هنا بالأموال النخل والزراعات على اختلاف أنواعها ، فى عرف أهل عمان ، قال : وليس فى أيديهم شىء ممــا يكفى لذلك ، ولكن نحن عندنا مــا يريد الامام • فقال الامام فى نفســه : هؤلاء كالأولين

لا غير عندهم ، ثم أحضر الوزراء وأرباب الدولة المسئولين فيهـا ، فقـال لهم : أريد أن أجعل قرضة على أرباب الأموال والتجـار فى بيت مـال المسلمين لحرب الهنـد ، فمـا ترون وهم قد علموا حركته السابقة على بوارج الهنـد ، ومـا كان مراده من ذلك كله إلا استكشاف أحوال الأمة ، وهل فيهـا من الأحداث شىء تكون عاقبته سيئة على المجتمع ، فقـال له هـذا الفريق الثالث : أيهـا الامام هـذا شىء وقع فى نفوسنا من قبل ، فقال فى نفسه رحمه الله العلة ها هنا ، وهى تكون غالبا فى أولياء الأمور ولذلك تكون أيضا سريعة التأثير فى الأمة ، لأن بيدهم نفوذا فى الهيئـة الاجتماعيـة •

قـال : قلما استقر عند الامام محل الغير قام فاستبدل بهم غيرهم ، أى عزل أولئك العمال الذين فى الدولة أعمال ، وجاء بآخرين غيرهم ، ثم خرج فى الجمعة الآتية وهو يريد زيارة الوارث ، وفى النفس التفات الى مـا وقع له فنظر فى الغيل فلم ير شيئا ممـا رآه سابقا ، فشكر الله على مـا وفق له من النظر فى مصالح الأمة التى هو مسئول عنهـا ، فأكرم بغسان وأكرم بأعماله فى عمان •

ولا شك أن معاصى بنى آدم لهـا أثر أثير فى جلب كل شر ورفع كل خير (ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل ومـا أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم من تحت أرجلهم) لآية وفى الحديث : إن معاصى بنى آدم لتدرك الضب فى جحره والطير فى وكره ، وكم لهـذا من أدلة عقلية ونقلية عرفهـا المسلمون ، وعوائد الله فى خلقه معروفة ،ورحمته واسعة •

وهكذا ينبغى الذى يتولى أمر الأمة فلا يغفل عن مصالحها الحسية والمعنوية ، ولو سكت غسان عن الحال التى رآهـا وبقى يحوقل فى نفسه ،

وقال : إن بدلت هؤلاء لا أجد غيرهم أو ربمـا كانوا مثلهم ، وحدث نفسه بمثل هـذه الأحاديث لجف المـاء ، وجف المرعى ومنعت السـماء قطرها والأرض نباتهـا وهلكت الأمـة :

أيغفـل عن سوائمـة مـليك
يسـمى نفسـه الراعى الأمينـا

وعلى هـذا الأسلوب ينبغى أن يكون أوليـاء الأمور ، وإلا كان موقفهم عند الله مخطرا يوم يسألهم الله عمن استرعاهم إياهم .

نسـألَ الله الهداية والتوفيق والعون على تقواه انه كريم رحيم ، فكر أيهـا العاقل فى أعمال غسان تجدها مثالا للنزاهة وقانونا للرعـاية حتى رأى المـاء زائدا عن عادته من غير مطر ، فضلا عن الطحلب الذى كان رآه الامام فى ذلك الحـال ، فلما انغسلت تلك السيئة التى انطوى عليها أولئك المشبوهين فى الأمة ، انغسل المـاء فى الوادى وزاد عن عادته ، ولم نعرف مثل هـذه الأحوال لغير غسان رحمه الله . مـا أيقظه فى أمته ومـا أكرمه على الله الذى كشف هـذه الأحوال له بحسن نيته، وأرشده للجهة التى يلتمس منهـا العلة التى خافها على المجتمع العام ، وكمـا تكون يولى عليكم ، والأمة على دين ملوكهـا ، فأعزز بأمة عؤلاء ملوكها وأهل الحل والعقد فيهـا رحمهم الله .

أعمال الإمام غسان فى عمان

اعلم أن للإمام غسان أعمالا اختص بهـــا وجعلها من بعده حجة يستند عليهـــا ، وقانونا يعتمد عليـــه ، ولا ريب فان أعمـــال الأئمة عمدة الأمة .

وغسان رحمه الله كان الحجر الثالث الذى قام عليه بنـــاء المسلمين لامامتهم بعمان ، بعد افتراق الأمم بجور الملوك والســـلاطين والأمراء المجرمين الذين لا يبالون بمـــا يأتون ومـــا يذرون .

كان الامام غسان أول امام قطع يد سارق بعمان تنفيذا لحدود الله وقياما بواجباته عز وعلا ، فانه لمـــا وصل صحار فى سفرته تلك جىء اليـــه بسارق سرق من حرز ، فقطع الامام يده فكانت لذلك هيبـــة عارمة فى قلوب أهل الســـفه المفسدين فى الأرض ، وكان بقية من آل الجلندى فى نزوى لهم بهـــا محلة كانت عقـــودا مبنية عليهـــا الغرف وتمر الطرق تحت تلك العقود المشـــار إليهـــا ، وهى مظلمة بعدم النوافذ فيهـــا ، وكان بعض السفهاء يختفون فى تلك العقود المظلمة للنساء ، فاذا مرت النساء خرجوا لهن ولعلهن المسترابات بحسب الظـــاهر ، فشـــاع هذا الحال حتى بلغ الامام فأمر بهـــدم تلك العقود ، أو يسرج فيهـــا أهلها سرجا طيلة الليل ، أو يخرجوا طريقا فى أموالهم للمـــارة بالليل قطعـــا لشأفة الفساد ، وألزم بنى الجلندى ذلك دفعـــا لبغيهم وفسادهم ، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، فأخرج أهـــل الأموال طريقـــا فى أموالهم بدل تلك الطريق المشـــار اليهـــا ، وزال المجذور . هكذا قال أبو الحوارى ، وقد أخذنا ذلك عنـــه بالمعنى ، وقد ذكرها الامام السالمى فى تحفة الأعيان ،

قال : كانت لبنى الجلندى بسمد نزوى محلة ولعـل موضعها المسمى الآن المقودية ، قال أبو الحوارى : وكانت هـذه الدار عقودا على الطريق ، والمعنى كانت الطريق مسقفة عليهـا غرف ويسمونها عقودا فى عرف أهل البناء عرفا شائعـا الى الآن ، وربمـا سموا تلك الطريق عـلى هـذه الصفة صباحا والصباح هو دهليز الدار يكون عليه البناء ، ويجمعونه على صبحات أى دهاليز قال على الطريق الجائز ، أى الشارع العام للمحلة المؤدى اليهـا والموصل منهـا الى غيرها ، وغالبا يكون لصيـانة المحلات أيام المحافات • قال : وأحسب أنه كان فوق العقود الغرف وكانت العقود يقعد فيهـا أهل الريبة • قلت : لم تكن مخصوصة بذلك بل تكون سببا للاختفاء فيهـا ، ويجد المفسـد فيهـا سبيلا لغرضه ، إذا لابد للنسـاء من الخروج لحوائجهن لا سيما أيام الخوف ، فان النسـاء تخرج بالليل لتنظر المفسد من المصلح ، والأعداء الذين يترصدون فى هـذا الأمكنة ، وتكون غالبـا مغلقة بأبواب مانعة ، وربمـا كان على الأبواب بوابون • قال : فبلغنا أن امرأة خرجت بالليل فى تلك العقود وهى مظلمة ، فاعترض لهـا رجل من الفسـاق فبلغ ذلك الامام فأرسل الى أصحاب الدار وأمرهم أن يهدموا العقود ، وحكم عليهم بذلك أو يسرجوا فيهـا بالليل حى يرى من يعقد فيهـا من أهل الريبة ، فأخرج أهـل الدار طريقا للنـاس فى أموالهم ، وكان الناس يمرون فى تلك الطريق الى أن خربت تلك الدار فرجع أصحاب الدار الى طريقهم فأدخلوهـا فى أموالهم وعمروها ، ورجع الناس الى طريقهم الأول فعد الناس هـذه من الامام غسـان خلاف المعتـاد ، حيث كلفهم أمر شاقا ، وكان الواجب تأديب المعتدى وعقوبة المقترف للإثم إلا أن الامام رأى أن هذه المفسدة لا تزول إلا بذلك •

قال الامام :ولهـذه الطريق رسوم وآثار سهيلى المسجد الجامع من

سمد نزوى • قال أبو الحوارى : ولو أهل الدار لم يفعلوا ذلك ولم يسرجوا فى المقود على مــا أمرهم الامام ، فلعله كان يهدم الدار • قال : وهو وجه من الحق والعدل ان شاء الله تعالى • قال : فهــذا غسان قد أمــر بهدم الدار — لهــذه المفسدة فكيف ولو كان فيهــا احد من البغاة لكان أعظم ذنبــا وأشد عقوبة •

ومنها مــا صار فى فلج الخطم من منح ، وذلك أن السـّيل الذى غرق فيــه الامام المرضى الوارث بن كعب رحمه الله ، أتى على هــذا الفلج فاجتاحه من أصله ولم يعرف له أثر بعد انقطاع الســيل ، اذا كان جائحا عظيما غير تخوم الأرض ، وسحب المبــانى والنخل والشــجر إذ كان تيــارا عظيما ولم يجد أهل الفلج سبيلا لإخراج فلجهم إلا فى أموال أهــل نزوى ، أى إن أهل نزوى كانت لهــم هنــاك أموال أى حدائق وبساتين بالقرب من مجرى الفلج ، فمر الامام القاسم بن الأشعث ، وهو أحد زعماء فلج الخطم أن يستر نفســه ، أى يختفى فى مكــان قرب مجلس الامام رحمه الله ، ثم أرسل الامام رحمــه الله الى القاضى الوحيد فى نزوى وهو العلامة المدعو سليمان بن عثمان ، فلمــا أتى اليــه قال له يا أبا عثمان مــا تقول فى فلج القوم مثل فلج نزوى فى أرض سمد ، وهى لبنى أبى المعمر ، فأتى عليــه السيل فاجتاحه فلم يقدروا إخراجه إلا فى أموال النــاس ، فهل لهم ذلك ؟ فقــال سليمان : نعم لهم ذلك ، فقال له الامام : لهم ذلك الثمن أم بغير الثمن ؟ فقــال سليمان لهم ذلك بالثمن • فقــال الامام الثمن يكون بمــا قال أرباب الأموال أم بقيمــة العدول ؟ فقل له سليمان : بل بقيمة العدول • قال فلمــا عرف الامام غسان رأى سليمان بن عثمان فى ذلك تمسك بــه فلمــا انصرف سليمان

أرسل الامام الى القاسم بن الأشعث فلمـا أتى قال الامام : اذهب فادع خصماءك فانطلق القاسم بن الأشعث ، فأتى بهم الى الامام وهم بنو زياد ، فلمـا حضروا معـه طلب القاسم بن الأشعث مجرى لفلجهم بالثمن ، فقال أهل نزوى ليس علينـا ذلك ، فقال لهم الامام غسان هـذا رأى سليمان ابن عثمان القاضى ، فانطلق أهل نزوى الى القاضى سليمان المذكور وأخبروه بمـا قال لهم الامام ، وقالوا له : إنه قال هـذا رأى سليمان بن عثمان ، وكان القاضى من أهل نزوى وله فيهم مقـام محترم • فقال لهم سليمان غرتى الامام أو غرتى غسان فانطلق سليمان فأتى الامام فقال : لقد رجعت عن رأى ذلك • فقال له الامام : فانى لا أقيلك وتمسك بذلك الرأى •

وقال الامام لأهل نزوى اذهبوا فأخرجوا لهم مجرى لفلجهم بالثمن ، فأبوا عن ذلك وامتنعوا فقـال الامام لأهـل منح : اذهبوا فأخرجوا فلجكم فان طلبوا الحق كان لهم ذلك ورأى المسلمين أو كمـا قال • فانطلق أهل منح فأخرجوا فلجـاً أى ساقية لفلجهم فى أرض أهل نزوى برأى الامام غسان ، ولم تكن ذلك برأى أهل نزوى ، وهم كارهون لذلك ، وهـو فلج الخطم • قال الامام : ذكر ذلك أبو الحوارى • قال : والفلج قائم بعينه فى أرض أهل نزوى فى يومه هـذا ، قال ولعله لا يزال الى يوم القيامة قال ولم يجبر أهل نزوى حتى يأخذوا حقوقهم من أهل منح أو يبرءوا منهـا •

هـذا نص القضية ولم يبحثا فيها ليفيدوا المطلع ، وذلك أن الفلج لـا كان فى الأصـل مستقرا فى تلك الأرض مجراه ، واختفى بذلك الحادث الذى هاجمه ولم يعرف أصـل المجرى كان لهـم ذلك ، وعليهم قيمـة الأرض التى يجرى فيهـا على رأى القاضى سليمان ، ووجه رأيه هـذا

لأن الأصل معروف فى تلك الأرض وبسبب الأحوال التى طرأت عليه حكم بالتضمين ، لأنه يقع الآن فى أرض مملوكة لأناس معروفين ، وأما رجوع القاضى فلأنه رأى وفى الرأى مجال للرجوع ، لأنه لم يكن نصا لم يجر الرجوع عنه ، فان للرجوع عن المنصوص عليه رجوع عن الحق ، والرجوع عن الحق لا يصلح بالإجماع .

ووجه عدم قبول الامام لرجوع القاضى عن رأيه المشار اليه ذلك فان الامام يرى ذلك الرأى فى القضية ، وأحب أن يكون من غيره وأنه وجه من الوجوه الجائزة التى لابد القول بها والقبول لها ، وإلا ضاعت مصلحة عامة لمصلحة خاصة ، وذلك خلاف المشروع ، وقول القاضى غرنى غسان معناه ، أراد ذلك منى أنا لالزام أهل نزوى رأى أنا دون رأيه ، فالامام تستر بفتوى سليمان بن عثمان . وقول الامام لأهل منح : اذهبوا فأخرجوا فلجكم فى أرض أهل نزوى أى لامناص من ذلك ، وقوله لم يجبر أهل نزوى على أخذ حقهم فانه صح فى الأثر من عرض له حقه ، فلم يقبله فلا حق له وهو وجه ، فانه من رفض حقه اليوم فكيف يعود يطلبه غدا بعد ما أضاعه بنفسه فمن يلوم فيه والحال هذا والله أعلم .

ثم ذكر الامام القضية أيضا فى شرح شمس الأصول فى خصوص باب الاجتهاد فى الجزء الثانى من طلعة الشمس صحيفة ٢٩٠ مائتين وتسعين ، وجعل ذلك من باب الاجتهاد وأن المجتهد إذا اجتهد فى حادثة وحكم فيها باجتهاده فحكمه فيها ماض لا يمكن نقضه ويثبت حكما شرعيا والعلم عند الله عز وجل .

وكذلك حبس الأمام غسان بن عبد الله صقر بن محمد بن زائدة

بتهمة اتهمه بهــا هاشم بن الجلندى ، وذلك أن هاشم بن الجلندى أصيب برمية جرحته ليلا فلم يعرف الرامى ، ولكنــه اتهم ابن عمــه صقر بن زائدة ، وكان صقر المذكور إذ ذاك فى سـمائل وكان منزله بهــا وكان هاشم بن الجلندى مع الامام غسان بدما ، فاتهم هاشم بذلك صقر بن محمد أنه أمر به من رماه ، فأمر غسان بحبس صقر فى سمائل ، فأنكر عليــه القاضى سليمان بن عثمان ذلك لأنه لم يدع أنه رمــاه ، بل ادعى أنه أمر من رماه فرأى الامام حبسه بهــذه الدعوى ، ووجهها تتبع عروق الفســاد ، أنه لا يكرم صقرا من أن يأمر بذلك ، واذا كان كذلك فالأمر بالفســاد فى الأرض مفســد تحل عقوبته ، وأمــا سائر العلماء يقولون لا تسمع هــذه الدعوى على المدعى عليــه لأنها لم تنص على نفس الأمر منــه ، فجعلوها من جملة أحكام الامام غسان فى عمان ، واجتهاده ظاهر رحمــه الله ، وأنه لغواص على الحقائق ، ولقد وقعت مثلهــا فى زماننا هــذا وهم الامام الخليلى رحمــه الله أن يقوم مقــام غسان ، لــكن لم يظهر الادعاء من أهل الحق ، وانمــا ظهر من بعض الناس الذين جعلهم الامام شركاءه فى الرأى ، ولكل أيام سياسة والحمد لله الذى عافانا ممــا ابتلى به كثيرا من خلقه ، وصقر بن محمد بن زائدة ظاهر حاله مستور ، فحبسه الامام أولا بتهمــة جراح هاشم ابن الجلندى ، وقتله بتهمــة أخيه أنه مع البغــاة من بنى هناة ، وأنه كتم على المسلمين أمر أخيــه والله أعلم .

قال الامام رحمه الله : أنكر عليه سليمان بن عثمان وقال : ليس له حبســه لأنه لم يتهمــه أنه جرحه ، وأنمــا اتهمه أنه أمر من جرحه . قال : فانمــا عليه يمين ولا حبس عليــه . قلت : حيث تسوغ عليــه

اليمين يسوغ الحبس ، لأن موجب اليمين هنـا التهمة ، واذا أوجبت اليمين أوجبت الحبس ، قال فلم يقبل غسـان ذلك حتى غضب سليمان وهجر الامام • قال بعضهم : لا أدرى كيف غضب على الامام وقد فعل ؟ قلت : لا أدرى أنا أيضا قوله ، وقد فعل من هو الذى فعل وماذا فعل إن كان يعنى الامام فعل الحبس فذلك هو الذى أغضب القاضى حيث انـه لا يرى الحبس على صقر ، وان كان يعنى القاضى قد فعل فلم يبين مـا فعل هـذا القاضى ، ولعـله يعنى لمـا قال باليمين فتح للامـام باب الحبس ، فلم يغضب على الامام بذلك ، قـال : ولعله شاهد مـا لم يشاهده ، وهـذا أيضا كلام مجمل كان ينبغى توضيحه ليكون مفهوما ، فان مـا ليس مفهوما لا يكون حجة عند المسلمين ، قال : والامام أحق بتحسين الظن ، أى فى أمور المسلمين ، قال الامام السالمى رحمـه الله : قلت ظهر وجه غضبه أو قال بسبب غضـبه وهجره من قوله انه ليس له حبس ، وانمـا عليه يمين • قال فهـذا سليمان لا يرى على صقر حبسا بذلك الدعوى وحبسه الامام رحمـه الله ، وسليمان لا يرى له ذلك فى نظره واجتهاده ، وكان قد أحب له السلامة منـه والتعفف عنه والمؤمن يحب لأخيه مـا يحبه لنفسه ، ولم يبحث الامام السالمى القضـية بشىء إلا بهذا وعندى تحقيقها هو ذلك الذى قدمته •

ومن أعمال الامام غسان أنه كان فى أيامه بصحار قوم من الشيعة ولعلهم بقية ممن خلفتهم الحرب بصحار ، وكان فيهم ناس معروفون ، ومنهم رجل اسمه بقية ، كان داعية الشيعة وداعيا الى التشيع ، وكان الاباضية يحترمون أهل لا إلـه إلا الله ، مهمـا كانوا مـا لهم يفارقوا أمرا ظاهرا ممـا ينكره الشرع ، طلب الامام بقية المذكور . وأظن كان

الطلب إذ كان الامام بصحار ، فجيء به اليـه فأمره بالخروج من صحار أصلا : لأنه يفسد الناس بلسانه ، وربمـا أضاف شرا الى شر ، فالأولى خروجه من بلاد المسلمين ، وأعطـاه أجلا أربعة أشهر ليقضى مـا عليه ويأخذ مالـه •

قال أبو الوضاح : إنه مات بصحار قبل تمـام المدة التى قررهـا له الامام • قال أبو محمد : كان بقية يقـال انه كاد يكون فتنـة • قلت : بل أشد لو بقى ، قال : وكان يظهر الاعتزال ويرضى الزندقة • قلت : حينئذ ليس هو على مذهب خاص فحينـا هو شيعى ، وآنا هو معتزلى ووقتـا هو زنديق ، بل هو دائما زنديق ، نعوذ بالله من سوابق الشقا • قال زياد ابن مثوبة : كان بصحار شيعة كان بقية أصغرهم • قال : وكانوا يشددون عليهم ، قلت : لعـل التشديد حين يطلقون ألسنتهم بسبب الشيخين ، فان ذلك لا يوافق عليـه أحد من أهل المذاهب إلا الشيعة يسبون أبا بكر وعمر سبا شنيعا ويخرجونهما من الاسلام بغير برهان من الله ولا دليل لهم على ذلك إلا هوى أنفسهم ، وان كان لهم دليل فليأتوا به إلينـا فنريهم الحق فيه من الباطل ان كانوا يفقهون ، وهـذه كتب علمائهم تعلن سبهم جهارا سباً يقولونه فى اليهود النصـارى : والله سائلهم عنـه ، ومن أعمـال الامام غسان رحمه الله استقضاؤه الأعمى ، وكان أكثر المسلمين لا يرون قضـاء الأعمى ، لأن غالب أحوال القضاء تتعلق بالنظر ، ولا يشذ عن النظر إلا القليل ، ولذلك لا يرون القضاء للأعمى ، وناهيك إذا كان لا يصلح لتصريف أملاكه أو لقضـاء ديونه واقتضاء حقوقه ، فكيف يصلح أن يكون قاضيا واستقضى غسان الامام مسبح بن عبد الله ، وكان أعمى فكان يقضى فى نزوى بين الناس أيام الامام غسان ، والقاضى بسـمع

الشهود ويقضى على الخصمين ، وهو لا يرى أحدا منهم ، فجعل المسبح قاضـيا على هـذا الحال من جملة أعمال هـذا السيد الهمـام إمام المسـلمين .

قال الامام : وبعض المسلمين لا يرى القضاء للأعمى . قلت : لقد أشرت لك الى بعض العلل التى تتعلق بالقضـاء ويتأخر بهـا الأعمى عن مباشرة القضاء وهـو الأولى والأسلم مـا لم تدع اليـه الضرورة ، ولعل الامام يرى المسبح هو البصير وغيره الأعمى . قال الامام السالمى رحمـه الله :

وأنا البصير وإن رأيتم أننى أعمـى أدب

وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن أم مكتوم على المدينة عاصمة المسلمين وهو أعمى ، واستقضى الامام الخليلى رحمه الله شيخنا ابن عبيد فى سمائل وهو أعمى ، واستقضى الشيخ العـالم عبد الله بن عامر العزرى فى نزوى ، والشيخ سالم بن حمد البراشدى فى سناو والله أعـلم .

ومن أعمال الامام غسان فى عمان أن عبدا أخذ من عمان وخرج به أخذوه الى نواحى فارس ، فبـذل الامام على ارتجاعه من بيت مـال المسلمين أموالا ولم يروا عليـه نقدا فى ذلك ، مع أن العبد مـال وهل ينجى المـال بالمال ، وعلى القول به هل ينجى بقيمته أو أكثر ، ولكن الامام رحمه الله يرى أن تنجيه نفس مسلمة واجب بمـا عز وهان ذلك أن بيت المـال جعل لمصالح المسلمين ، وهـذا من أكبر المصالح ، فان فيه

تنجية نفس مسلمة من إهانتهـا على الباطل مع أهل البغى والفساد ، وفيه صيانة الحوزة من أيدى العابثين ، وفيه تسكين النفوس الضعيفة من روعهـا ومـا تزهق به وعليه فلا عيب على الامام اذا بذل المـال الوافر على رد عبد أخذ اللصوص أو البغاة ونحوهم من المتمردين ، وألا ينبغى إهمال الأمة للعـادى عليهـا وإلا كان فى ذلك قصـود وتقصـير من الامـام ٠

ومن أعمال الامام غسان فى عمان أن الباطنة كما هى معروفة تقوم بالزجر على البقر والحمير والإبل ، لكن يشـق ذلك وقت النهـار للحر والعوارض التى تعرض ، فكـانوا يزجرون وقت الليل ، ولا مقـال فى الأحرار الذين يملكون أمرهم ، بل فى المماليك الذين يستخدمهم كثير من أهل عمـان وقت الليل وساداتهم نائمون على فرشهم وقت راحتهم ، فلمـا علم ذلك امام المسلمين رحمـه الله اشمأز منـه واستنكره وناقش فيـه حتى رأى أنهم إذا استخدموهم بالليل أراحوهم بالنهـار فوق الوقت الذى استخدموهم فيـه ، واقتنع بذلك إذ رأى أن الأمر لا يمكن فيـه إلا ذلك ، ولم يزل يردد رحمـه الله فى تأوه وتأفف قائلا : اللهم إنا عدلنا إلا فى عبيد الباطنة ، فانه يرى ذلك مخالفا للعدل الواجب وهو إعطاء الحقوق لأهلها ، إلا أن حقوق العبيد فى الباطنة لم يعطهم إياها كمـا ينبغى ، لأنه ليس للسيد أن يستخدم عبيده وقت الليل مـا لم تدع لذلك ضرورة ، على هـذا تخرج فتاوى المسلمين والله أعلم ٠

فتراهم جعلوا هـذا الوجه فى عبيد الباطنة من أعمـال غسان رحمه

الله ، وكان الامام رحمه الله على جانب عظيم من السياسة فى الأمة ، فلو قيل إنه لم يَبْلُغْه أحد فى سياسته لكان غير بعيد ونعنى بذلك الشرعية التى يقتضيهـا الدين والعدالة بحيث لم يبق الامام منهجـا من منهاهج الشريعة الى وقد أخذ حظه منـه ، انظر عمله مع سليمان بن عثمان فى فلج الخطم ، وانظر عمله فى قضايا صقر ابن محمد بن زائدة فى حبسـه وقتله ، وفى عمل الشذاءات لطرد بوراج الهنـد ، وفى عمله إذ جىء اليه بقوم أجرموا فى المسلمين ، وكانوا استحقوا القتل فى نظر بعض المسلمين ، فناظر الامام فيهم القاضى مسبح بن عبد الله فلم ير قتلهم وبقـوا فى السجن ، ثم ناظر المسلمون القاضى فى ذلك ، فرجع القاضى الى رأى المسلمين الذين يرون قتل هؤلاء ، ثم جاء القاضى الى الامام وأخبره بأنه رجع الى القول بقتلهم ، فقال له الامام : لا أقبل منك هـذا بينى وإياك حتى تقـوم فى المسلمين خطيبا وتعلن ذلك إليهم ، أى لأن المسـلمين قد علموا سابقا منك عدم القول بالقتل فمـا بالك اليوم تقول ذلك بينى وبينك ، فقـام القاضى وخطب فى الناس عن القول بعدم جواز قتلهم ، وأنه أجاز ذلك للامام ، وأنه رجع عن قوله الأول ، وفى هـذا سياسة من الامام فى تبرئة ساحته عن الخلاف والشقاق وتوجيه الارتيـاب فى عمل الامام ، فلله دره مـا أعلى نظره وأنفذ رأيه ، وهو العليم فى الفقه فى زمانه ، ولكنـه لا يفعل حتى يعطى كل مقـام حقه ، ولله فى خلقـه رجال يختصهم بهداه ويرشدهم لرضاه ، فبعد مـا أعلن القاضى قضـة القوم مـا هى ، وصرح بجواز قتلهم للامام ، أمر الامام بهم فضربت أعناقهم وأنفذ الأمر فهم ، فطهر الأرض من بغيهم وفسادهم ، ولله در

القاضى حيث تصلب وجاهر باعلان مـــا رأى من صحة الحكم بقتلهم ، وأنه أمر الامام بقتلهم رحمه ورضى عنهم ، إذ قاموا بحقوق الاسلام ، وقاوموا أهل الجرائم فى الأنام ، ولكل درجات ممـــا عملوا فكان الامام غسان بطلا من أبطال الاسلام بعمان وليثا من ليوثها العظام الذين تخر بين أيديهم جبابرة الأنام وتخضع لهم عتاة الأقوام •

نصائح العلمـاء للإمام غسان رحمه الله

لا يخفى على المسلم مهمـا كان أن الدين النصيحة ، وأنهـا واجبة بنص الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصـلاة والسـلام ، وعلى مقتضاها مشت خيار هـذه الأمة ينصح العالم الجاهل ، والمأمور الأمير ، والكبير الصغير ، وأهم شيء نصائح العلماء للأمراء فان الأمراء هم المسئولون من قبل الأمة ، والعلماء هم المسئولون من قبل الله عز وجل ، وإن كان عموم النصح مفروضا على الكل ، والى ذلك يشـير الحديث الصحيح ، بل والنص القرآنى كذلك . اللهم إلا إذا لم يكن مجـال للنصح أو تبين أن لا قبول ، فحينئذ يسقط وجوب النصح ويبقى الجواز ، وكلمة حق عند سلطان جائر لا تبعد عن المقـام ، ولذلك علمـاء عمان ينصـحون أئمتهم وأمراءهم ويناصحون بعضهم بعضـا ، ولمـا كان الأئمـة أهل دين وإيمـان وتقوى وخوف من الله ، ويرون لإخوانهم عليهم مننـا فيما قاموا به وعملوا عليـه يقبلون نصحهم ويلومون على عدمه خصوصا إذا وقع منهم مـا يخالف الحق ، فان كل أنشردتهم الحق لا غير ، فلذلك ترى لهم نصائح تحمل الى الأئمة الاخلاص والصفا ، وأحيانا التنديد عـلى الأفعـال المخالفة لسـيرة السلف الصالح ، وفى بعض الأحوال تراهـا ممزوجة بالتهديد والزجر والعنيف وهكذا .

وذلك لأن الأئمة يعدون العلماء شركاءهم فى الأمر وأعوانهم عليه ، والواقع هو لذلك وإذا كان القوم على هـذه الوتيرة فأكرم بهم وأعزز بمنهجهم ، فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم ولا يندم رئيسهم ، ولا يظلم أميرهم ولا يتهور زعيمهم ، أشداء على الكفار رحماء بينهم لا يهمهم إلا

أمر دينهم ، ولا ينظرون الى الدنيــا إلا نظر المــار فى الطريق فاذا ضلها سأل عنهــا ، فاذا عرفهــا لازمها ، وقد نصح علماء المسلمين إمامهم غسان ، منهم العلامة أبو مودود ، وحاجب بن مودود ، ومنم مبــارك بن جعفر ، ومنهم سليمان بن عثمان الذى تحدثنا عنــه سابقا ، ومســبح ابن عبد الله الأعمى قاضى الامام بنزوى ، ومنهم الحكم بن بشــير ، رمنهم مسعدة بن تميم ، والأزهر بن على ، وعلى بن عزرة ، وجعفر بن زيادة ، وعبد الله بن أبى قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن الهزبر ، والأشــعث بن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ، قال : وضرباؤهم ، والمعنى هؤلاء مشاهير العلمــاء أيام غسان بن عبد الله ، وبعضهم اشترك فى دولة الامام الوارث ، والامام غسان وبعضهم بقى الى عهــد عبد الملك بن حميد ، وبعضهم لحق على إمامة الامام المهنا بن جيفر رحمهم الله ، هؤلاء الذين حرروا النصائح والمراشد الى الامام غسان ، وأكرم بأمة هؤلاء أوليــاء أعمالها ورؤساء رجالها وزعمــاء أمورها ، إذا انتقدوا أمرا بادروه بسرعة شافية ، فــلا جرم إذا بقى الغيل لا يتكدر كأنه ذلك الحين نزل من السحاب فان أمة يقوم بأمورها خيارها ولا يجد الى الفســاد شرارها سبيلا لا يزال الخير لديهم (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، ومــا أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الآية .

نســأل الله الاقتداء بهم والاقتفاء لآثارهم ، إننــا لا نستطيع سرد مــا حرره العلماء من النصائح الى الأئمة فى تاريخنا هــذا ، فانه يطول بنــا ولكنا نشــير الى ذلك ، وان كان هنــاك أمر خاص أتينــا به لذلك الاختصاص ، وان كانت نصــائحهم مشحونة بالســياسات الشرعية ، والقواعد المرعية ، فانا نترك أكثرهــا إسراعا الى الأهم ، لطمنــا أن

كل امام له سياسة ، ولكل أمة رئاسة ، والخطب هنــا يطول لا ينبغى أن تطلق فيه القول ، فانه لا مجــال له عندنا إذ نحن معينون بتحقيق التاريخ ، ومــا يحتوى عليه من الأمور الناضجة والحائق الصــادقة التى لابد من العمل بهــا ، ولا ريب فان إيراد نصائح العلماء يفيد المطلع اهتمــام أهل العلم بأمور الدين وأن التناصح يرشد الى الموالاة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة . قالها ثلاثا ليعرب للناس بهذه الوجهة السامية .

وفاة الإمام غسان رحمه الله تعالى

عاش الامام غسان بن عبد الله الفجحى اليحمدى الأزدى فى إمامته بعمان خمس عشرة سنة وسبعة أشهر ، وقيل وتسعة أشهر بتقديم التاء المثناة من فوق إلا ثمانية أيام ، وقيل ولى الأمر فعاش فيه خمس عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما ، وقيل وسبعة أشهر وسبعة أيام ، ومرض رحمه الله يوم الأربعاء لثمان بقين من ذى القعدة سنة ٢٠٧ سبع ومائتين ، ومات يوم الأحد بعد صلاة الفجر لأربع بقين من ذى القعدة من السنة المذكورة أى سنة سبع ومائتين ، فكان مرضه رحمه الله خمسة أيام فقضى الله عليه ، وبوفاته أصيب المسلمون أعظم مصاب ، إذ انهد طود عظيم من أطواد الاسلام الذى ملا عمان هيبة تغمر الساحل والداخل ، ويخضع للحق بها كل جاهل وعاقل ، ولكن الدهر لا يسالم أحدا ولله من يقدم على الله مقدم هؤلاء القادة القوام فى عباد الله بأمره تعالى ، والله فى خلقه ظنائن يختصهم برحمته فيجعلهم هداة أمته وساسة بريته ، وبموته أقيم الخلف الصالح الذى يسد لك الثلمة ويملأ ذلك الفراغ الهمام السيد المهام عبد الملك الذى سيأتى ذكره ، وكان ذلك من توفيق الله لأهل عمان الذى اختصوا بهذه المنقبة التى لم تكن لأحد غيرهم من أهل عمان طيلة الأزمان ، ولهذا حسدتهم الأمم فى سائر الأقطار والحمد لله .

إمامة الإمام عبد الملك بن حميد العلوى

لا يخفى أن عبد الملك كان من الرجال الذين لهم الحل والعقد فى عمــان ، كان عبد الملك هــذا من أبطــال رجال المسلمين ومــا انتخبه للإمامة ولا اختاروه لهــا بعد غسان إلا لمــا رأوه من صلابته فى الدين وشدته على العتــاة المتمردين ، وكان عبد الملك من رجال دولة محمد بن أبى عفان ، ومن الدعاة لحرب راشد بن النضر •

قال الامام السالمى رحمه الله فى مقدمة دولة محمد بن أبى عفان : ويقال إن عبد الملك أو قال كان عبد الملك بن حميد يومئذ شابا ، أى عندما اتفق المسلمون على الخروج لحرب راشد بن النضر ، قال : وكان يدعو المسلمين على المبايعة على راشد بن النضر ، أى يدعو للخروج عليه وعلى حربه ، وفى ذلك الوقت هو فى قوة شبابه ، ثم وقعت الخيرة على محمد ابن أبى عفان أى فى ذلك الوقت لا سيما وقد جيء به لذلك من العراق، ولما رأوا من محمد بن أبى عفان خلاف المأمول ورأوا عزله عن الأمر كان عبد الملك معهم : فاختاروا الوارث بن كعب لتلك الأحوال الكريمة المؤهلة للوارث الشهم الهمام المقدام الذى تجرأ على قتل جندى السلطان الغشوم الجائر على عباد الله ، حتى مضت أيام الوارث المجيد ورأوا غسان الكفؤ الكــافى لحمل هــذه المهمة العظيمة ، وهى الامامة فبويع غسان وكان وفق أمل المسلمين ، فمشى بهــا غسان مشية الأمين المأمون ، وقام بواجب الدين خير قيــام ، فحمده المسلمون ولم يروا فيه غير الحق ، ولا انتقدوا شيئا من أعماله حتى جاءه ما لابد منــه يرفع له يده عنهــا قائلا له بلســان الحــال : أديت مــا عليك لهــا وقمت بواجبك فيهــا ، وأخذت حظك منها فهلم الى خير منهــا وأبقى ، فاختاره الله الى جواره وتوفاه الى رحمته ،

فكان الخلف الصالح لهـا هو عبد الملك بن حميد العلوى المرضى من بنى على بن سودة بن على بن عمرو بن عامر العلوى الأزدى ، وبنو على هؤلاء هم أهالى ينقل من الظاهرة ، وينتقل هـذه هى إحدى عواصم آل نبهان فى أيامهم ، وكان عبد الملك سيدا من سادات المسلمين ، بويع بالإمامة يوم الاثنين لثمـان ليال بقين من شوال من سـنة ٢٠٨ ثمـان ومائتين فى أيام المأمون بن هارون الرشيد ، وقيل كانت بيعـة عبد الملك بن حميد لثلاث بقين من ذى القعدة من السـنة المذكورة ، وهى سنة سبع ومائتين وذلك بعد مـا ولى الخلافة المأمون • قال أبو الحوارى : وقيل النقـل عن أبى الحسن البسيانى ، بايعوا لعبد الملك بن حميد على مـا بويع عليه غسان بن عبد الله ، وغسان إنمـا بويع على مـا بويع عليـه الامام الوارث ، وقد بويع الوارث رحمـه الله على مـا بويع عليه أئمـة العدل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى الشرى فى سبيه الله عز وجل ، وعلى إظهـار الحق وإخماد الباطل وعلى الجهـاد فى سبيل الله ، وقتال الفئـة الباغية ، والمراد بأئمـة العدل الذين بويع الوارث بن كعب على مـا بويعوا عليـه ، هم أبو بكر وعمر وأمثالهما من أئمـة المسلمين ، لأنه لم يكن قبل الوارث بعمان إمام إلا الجلندى ابن مسعود رحمـه الله •

وكانت هـذه البيعة هى الأصل فى الإمامة وعليهـا يدور محور إمامة المسلمين منـذ الخلفاء الراشدين ، قال الامام السالمى ، فسـار عبد الملك الامام سيرة الحق والعدل ، واتبع أثر السلف الصـالح من المسلمين ومن حيث انه تولى الخلافة وهو فى مؤخر عمره ، أى بعد مـا ذهبت قوة الشباب وبقى يسانده وقار الشبب • قال صارت عمان بـه خير دار • قلت : ولم لا تصير به خير دار إذ كان أميرهـا ذلك العلم

النزيه والفيصل الفقيـه ، العابد الزاهد الهمام المهمام ، عمدة المسلمين فى الحلال والحرام ، وحجتهم فى حقوق الملك العلام ، إذ عاش آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، قائمـا بحقوق شريعة الله ، عاملا بسنة رسول الله عليـه الصـلاة والسلام وبذلك تفقد الدنيـا كل مؤذ فى الدين ، وترى حولهـا كبكبة المؤمنين ، وزعامة المخلصين هـذا بالنظر الى أهل الحق والدين ، وأمـا أهل السوء والسفه فذلك ممـا يسأمون منه ولا يريدونه ، ولكنهم حجة فى شىء مـا ، إنمـا الحجة أهل الحق وهم الذين لهم فيهـا الأمر والنهى ، وقد صارت عمان فى عهدنا العصيب الذى كفرت فيـه الدنيـا أو كادت أن تكفر ، أفضل قطر فى بلاد الله ، حيث لا قناصل ولا نصارى ولا يهود ولا نفوذ لأجنبى مـا ، وأعلنت الصحف بذلك على اختلاف أنواعها وشهد بذلك الأجانب وغيرهم ، فهـذه تواريخ عصرنا هـذا ، تعبر عن ذلك مع فقر فى البلاد وقلة المواد وصوت عمـان عال فى الأفق مسموع ، تصغى اليه الآذان الواعية ، ومـا ذلك إلا للحق الذى هم عليه ، فمن جاء عمان أيام الأئمة رأى لوائح العدل ولوامع الشريعة ظاهرة ، ورأى كريم الأعمال وحميد الخصـال ، وصادق الخلال ومن جاءهـا فى غير ذلك رفع عنهـا مـا رأى كابن بطوطة الرحـالة فى أيام قنى نأهـان ، وترى العلماء يتمثلون بأيام بنى نبهـان ليؤنبوا بهـا غيرهم ، ممن لم يقوموا بواجب الدين من الأمراء والزعماء لأجل الرجوع الى الحـق والانصراف عن الباطل مهمـا كانت دواعيه ، وباتفـاق العلماء أن الامام عبد الملك سار بعمان سيرة الأئمة العدول ، وقـام بالحق قيـام القادة الفحول ، فلم يعب عليـه شىء من أعماله ، إذ تولى الأمر وهو مستحكم الأحوال كلهـا ، فهو كامل العقل صحيح الرأى ، عالى النظر فى سن الرشد والكهولة ، قال أبو الحسن : بايعوا لعبد الملك بن حميد على مـا بويع

عليه غسان ، فقـام بالحق الى أن كبر وخافوا على الدولة من الضياع ، وعلى الأمر التعطيل ، فقـام موسى بن على رحمـه الله بأمر الامـام عبد الملك ، وشـد أزره ، وكان إذ ذلك كمـا يقول أبو إسحاق شـيخ المسلمين يومئذ إمام العلمـاء ، وعلم من الأعلام المجتهدين ولم يزل على ذلك الى أن مات الامام .

قال أبو المؤثر : وحدثنى الثقـة أن عبد الملك بن حميد الامـام قد ضعف وسقطت قوته ، وثقل منـه السمع والبصر ، إلا أنه قد كان يسمع ويبصر ، أى يسمع الشيء اليسير ويبصر كذلك ، قال وقد كان فى عسكره القتـال ، أى ربمـا كان بين العسكر اختلاف يؤدى الى شق العصا ، ثم يصطلح بوجود القائمين المسددين للأحوال . قال أبو المؤثر : وكانت ضعفته فيمـا بلغنا أشد من ضعفة الصلت بن مالك ، قال : وسألوا موسى بن على عنـه وعن الواجب فى حقه الذى ينبغى أن يعامل به مـا دام فى ذلك الحال ، فأجابهم أن امامته ثابتة عملا منه بالواجب فى حق الامام من المساعدة مـا لم يدع داع يتبين منـه عجز الامام ، قال ولم يستحل موسى ابن على رحمه الله عزل الامام بذلك الأمر الواقع عليه من الله ، قال : وقال أبو الحسن : وكان بعض المسلمين أظن أنه المنذر بن بشير يصدر عن موسى ابن على إذا رآه لم يعزل عبد الملك ، وكان يقول هـذا الشاب يصدعنا إذا لم يعزل الجبل ، يعنى الامام عبد الملك ، إذ كانوا يرون عزله لمـا كان نازلا منزلة العجز الجسمى ، نظرا الى أن الامام إذا فَقَد قوتـه وجب عزله إذ يكون بذلك الحـال مقصر أو العاجز عن القيـام بالواجب يشهد عجزه عليـه ، فيجب عزله سواء كان حسيا أو معنويا ، وعلى هذا أكثر أهل العلم ، إلا أن موسى بن على لا يرى عـزل عبد الملك ، لأن

الأمور جــارية مستقيمة والأحكام نافذة ، وأمور المسلمين فى أيديهــم لا يعارضهم فيهــا معارض ، فأحب ألا ينكد عــلى الامــام حالا من الأحــوال •

قال وقال محمد بن الحسن : كتب موسى بن على الى الامام عبد فى أمر رجل ، ثم إن الرجل أتى موسى بن على ، فقــال رد الامام كتابك ولعله أراد أن يغريه على الامام بذلك المقــال ، فقال أبو على رحمه الله هو المأمون علينــا وعليكم ، قــال : وكان الامام عبد الملك يطرد المهرة ويطلبهم من عمــان لسفكهم دماء المسلمين فى بلادهم ، قــال : وكانوا يلقون بأيديهم ولا يقبل منهم • قلت : هــذا كلام لا يحسن السكوت عليه ، فانه إذا كان الامام وهم يلقون بأيديهم اليــه ولا يقبل منهم فماذا اذا يقبل وأنت تقول ويلقون بأيديهم ، ولا شك أنه اذا كان يطلبهم وهم يلقون بأيديهم اليه أن ينتصف منهم ، قال حتى أشار عليه موسى بن على رحمــه الله أن يقبل منهم ويؤمنهم فأمنهم • قلت : هــذا هو الواجب فى هــذا الحال قال : وكانوا قد سفكوا دماء المسلمين ولم يصرحوا على أى شىء سفكوا دماء المسلمين ، والظاهر أنهم قتلوا جبــاة المسلمين إذ خرجوا اليهم لجباية الزكاة ــ فتخالفوا وتقاتلوا وغلبوا على المسلمين هناك ، إذ توحدوا بهم والتفوا حولهم ، ولعل هناك جنايات من عهد المقتولين منهم مع راشد بن النضر فى وقعة المجازة ، إذ قتل فيها المهرة حيث هم كانوا الجيش وأكثر القتلى فى بنى نجو من أهل عمــان ، إذ كانوا عمدة جيش راشد بن النضر ، فقيت بينهم وبين أهل عمــان حزازات فى النفوس ، أخذوا بهــا أهل عمان عندما أرسلوا لقبض زكاتهم ، فكان المهرة يهددون أهل عمان بذلك كمــا سوف ترى ذلك فى إمامة الامام المهنــا بن جيفر ،

ومـــا عاملهم به الامام المذكور عند ذلك حتى أراهم قوة المسلمين تطـأ على كواهلهم •

ولم تقع أيام الامام عبد الملك حوادث مهمة ، بل كانت أيامه رحمه الله أيام سلم وراحة واستراحة ، إذ كفه الله عن أهل عمـــان العوادى المخوفة فأمنوا واطمأنوا فى بلادهم والحمد لله ، قال ان رزيق فى سيرته سار عبد الملك سيرة الحق والعدل والانصـــاف ، واتبع الأثر الصالح من السلف الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وصارت به عمـــان يومئذ فى أمـــان واطمئنان ، بويع يوم الاثنين لثمـــان بقيت من شوال سـنة ٢٠٨ مائتين وثمان ، ولم يزل قائمـــا بالعدل آمرا بالمعروف حتى كبر وزمن وضعف • قـــال : وفى زمانه كانت تقع الأحداث فى عسكره ، قـــال فشاور المسلمون الشيخ العالم موسى بن على فى عزله مع كبره ، وضعف بدنه وذهاب قوته ، فأشار عليهم أن يحضروا العسكر ويقيموا أود الدولة • قال : فحضر موسى العسكر ، وأقام أودهم أى ردهم عن اعوجاجهم ومنع الباطل ، وعبد الملك فى بيتـــه لم يعزلوه ولم يزيلوه حتى مات ، وهـــو لهم امام برىء من الطعن والريب ، وكانت ولايته الى أن ضعف عن القيام ثمانى عشرة سنة على الاتفاق ، إذ هو لمـــا بويع له بالامامة كان كبير السن واتفق الكل من المؤرخين أن الامام عبد الملك لم يختل شـــعوره ولا يتزعزع عقله ، ولا وقع فيه أى خلل ، بل كان ضعفه فى السمع والبصر وأعضاء الحركات ، ولكنه بقى فى إمامته مقبولا مطاعا تولى العلماء مصالح الجيش وعملوا بمـــا كان من حقوق الامام ، حيث كان موجودا ، فهـــم منفذون لأوامره لا يتبرمون منـــه ولا يرون فى أعمـــاله مـــا يرد ، ألا ترى ذلك الذى قال لموسى بن على : إن الامام رد كتابك ، قال له : هو

المأمون علينا وعليك تسليماً لأمره واعتمادا على نظره ، وذلك مما ينبغى ما لم يدع الى عزل الامام داع ضرورى لا سيما مع وجود أهلية القائمين بالأمر جزاهم الله خيرا عن اجتهادهم فى أحوالهم ، والله ولى التوفيق والتسديد .

وأما ما ذكره شكيب أرسلان فلم يصح عند المسلمين ، وليتهم عاملوا الصلت بن مالك رحمه الله بمـا عاملوا به عبد الملك بن حميد ، وكان حقيقا بذلك لكنهم اجتهدوا لله مع الأول ، إذ كان الوزير موسى بن على العالم الرضى الذى كان همته جمع شمل المسلمين والتفافهم حول راية الحق المبين ، ولمـا قام الصلت بن مالك كان الوزير الأكبر موسى بن موسى وأين فى النـاس كموسى بن على ، فكان موسى بن موسى بخلاف مـا كان عليه أبوه ، ومن سوء الحظ أن مات موسى بن على وهو شاب فخلفه موسى الثـانى ، فكان الفرق كمـا بين الثريا والثرى ، فموسى الأول محله محل امام عادل ، ولو بويع بالإمامة كان أهلا لهـا وأمـا موسى الثانى فكان زعيما غشوما أقرب الى الرئاسة منـه الى العدالة ولكن مقـام أبيه فى المسلمين أحله ذلك المحل ، ولكل درجات ممـا عملوا .

قوام دولة الإمام عبد الملك بن حميد

أعلم أن الله جعل المسلمين إخوانا وأعوانا لبعضهم بعض ، وجعل أعوان كل إنسان بحسب حاله وما هو فيه ، ومن حسن حظ الامام عبد الملك بن حميد أن جعل له أعضادا من خيرة الرجال ، وأنصارا من القادة الأبطال ، وفى مقدمهم الشيخ الولى العلامة الرضى موسى بن على السامى الأزكوى عمدة أهل العلم فى زمانه ، وقدوة أهل الفضل فى أوانه ، مرجع المسلمين فى المهمات الدينية ، وحجة القائمين بأوامر خير البرية ، وإليه يشير الامام النضر فى لاميته حيث يقول :

« واين فى الناس كموسى بن على »

ومن قوام دولة الامام عبد الملك بن حميد الشيخ الفاضل الثقة الجليل هاشم بن غيلان الهيمى من أهالى بلدة سيجا من أعمال سمائل ، كان هذا الشيخ رأسا من رءوس هذه الدولة الجليلة ، وكان هاشم ابن غيلان من المراقبين لكل ما يطرأ على الدولة من الأحوال الظاهرة ، ومن الناظرين فى سير الأعمال تدلك على ذلك رسائله الطويلة العريضة ، فيها النصح ممزوجا بالنقاش فى الفتيل والنقير ، بحيث لم يترك وجها يخشى عليه فيه من جانب الامام ، أو من جانب المأمومين عملا بواجب الوارد فى الكتاب والسنة ، وأكرم بدولة رجالها أمثال هؤلاء الفطاحل ، وما كان للمسلمين غرض فيما قاموا له وما قعدوا عنه إلا الحق ، لا يراعون حظوظ الدنيا ولا منازلها ، فانها أمور لا أهمية لها عند المسلمين ، ولم يقوموا لغرض دولة تجمع لهم أموالا أو تبنى لهم قصورا ،

أو تغدق عليهم أرزاقا ، فان ينفق كل شهر سبعة دراهم وربمـا فضلت عن قوته فيرد الفاضل الى بيت المال رحمهم الله ورضى عنهم .

ومنهم عمر بن الأخنس الذى صلى بالمسلمين صـلاة الجمعة فى الأيام التى مرض فيهـا الامام عبد الملك من غير أن يأمره الامام ، وكان الامام فى حال مرضـه موجودا بنزوى ، وكان موسى بن على حاضرا معهم ، وأجاز صلاتهم ولم ير عليهم نقضا ، أمـا ابن محبوب فرأى نقض صـلاة الجميع ، وكل واحد من الشيخين حجة يتعلق بهـا ، ليست من قبيل التاريخ فى شىء ، وإنمـا الذى هو من قبيل التاريخ هـو نقل صلاة عمر ابن الأخنس مع وجود الامام بنزوى مريضـا ، ولم يأمره الامام ، وبعد ذلك فليقل الفقهـاء أقوالهم ؛ ومن رجال دولة الامام عبد الملك وقوام أمرهـا : عزان بن الصقر ، وهاشم بن الجهم ، ومحمد بن علي ، ومحمد ابن موسى ، والأزهر بن على والعباس بن الأزهر ، وسعيد بن جعفر ، وأضرابهم ، وهم كثيرون متفرقون فى النواحى ، وفى مقدمتهم الشيخان العالمان موسى بن على وهاشم بن غيلان : فهمـا اللذان لا يزالان مراقبين الأحوال تمـام المراقبة ، وموسى بن على رئيس على هاشم فهـو قطب الرحى وعمدة الدولة ، وكان علامة جليلا ملأ اسـمه آثار المسلمين ، والله يختص برحمته من يشاء .

فأكرم بدولة هؤلاء رجالها وزعماء أعمالها وساسة أمورهـا الذين يراقبون الله عز وجل فى سرهم وجهرهم ، ويراعون مصالح الأمة على ضوء القرآن والسنة :

وإذا سـخر الإلـه أناسـا
لسـعيد فانهـم سـعداء

نصائح العلماء للإمام عبد الملك

ما زال علماء المسلمين وبالأخص المسئولين عن شئون الدولة يحررون النصائح للامام ليكون دائما على يقظة فى الأحوال ، وعلى اهتمام فى الأعمال ، وعلى مراقبة لحقوق ذى الجلال ، وعلى دراية كاملة من حركات أهــل الضلال ، وعلى الاستقامة فى الأمــور الدينيــة والدنيوية ، إذ لم يولوه الأمور ويهملوه ، ولا ليضعوا الثقل على واحد ويضيعوه ، بل هم معــه فى جميع الأحوال ، فانظر فى نصائحهم تجدهــا تلاحظ الفتيل والنقير ، معنية بأمر الدين قبل كل شىء ، ممــا يدلك على إخلاصهم لله عز وجل ، وحسن معاملتهم لإمامهم ، وحسن قيامهم بأمورهم ، فهــم الرجال الذين تحيا بهم الدنيــا وتسعد بهم الأمــة ، وتقوم بهم معالم الاسلام ، جزاهم الله خيرا وغفر لهم ، ولا فراغ لنــا نسرد فيه تلك النصائح التى قالوهــا ، ومن أرادهــا فهى دانية القطوف ناضجة الثمر غالية المقاصد ، وقد ذكر الامام السالمى رحمه الله أنموذجا منهــا مفرقا فى غضون التاريخ العمانى ، وأن فيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

وفاة الإمام عبد الملك بن حميد رحمه الله

من المصائب فى الدين ، موت علماء المسلمين ، وأئمـــة العلم والدين ، ولكن ســـنة الله فى عبـــاده التى خضع لهـــا كل جبار ، ورضى بهـــا الأخيار والأبرار ، جارية على الإجبار لا على الاختيار ، لتدل أهل العقول على عظم الملك الجبار ، وعجز العبيد عن البقـــاء وأن كثر الدرهم والدينار ، وعلت القصور والخول ، فكل ذلك لا أثر لـــه ولا اختيار ، فهـــو البرهان الصحيح لذوى العقول ، وأهل الاعتبار عى حقيقة التخلية والتنصل من كل أمل وكل جند ، وخول وانحصـــار الأمر الحقيقى للإله الواحد القهـــار ، فالعجز عن رد حادث الموت يخبر عن العجز والذل والحيرة والدهش ، وقطع النظر والعلائق كلهـــا عند البعث والنشور ، الى المليك الفرد فـــلا شفيع ولا مجير ، ولا مستجار يوم لا يكيف رعبه ولا يقـــاس خوفه ، تنتقى فيه المعارف وتنقطع فيـــه العلائق ، وينتهى فيه التوجه الى الله رغم الأحوال كلهـــا ، جاء عبد الملك رحمـــه الله مـــا جاء إخوانه والأنبياء والرسل قبـــله ، فتوفى الى رحمـــة الله الجمعـــة من شهر رجب لثلاث خلون منه سنة ست وعشرين ومائتين للهجرة : وكانت إمامته رحمه الله ثمانى عشرة سنة وسبعة أيام ، وذلك فى خلافة الواثق بالله ، فأصيب المسلمون بمصابة رزية فادحة ، ولكن كون ذلك محتوم يتسلى المســـلم عنـــه ، وبوفاة رسول الله ﷺ عزاء لكل مسلم ، وإذ ذاك بايع المسلمون المهنـــا بن جيفر بدلا من عبد الملك بن حميد :

والمهنـــا ومـــن كمثـــل المهنـــا
قوة لـــم تجىء بهـــا الأقويـــاء

إمامة الإمام المهنا بن جيفر اليحمدى

اعلم أن الامام المهنـا بن جيفر كان أعظم امام فى آل اليحمد بن حمى ، وإن عظمته كانت دينية ودنيوية ، وقد قام بواجبه فى عمان حتى عظم قدرهـا فى أيامه ، وعلا شأنها فى عهده ، وطار لها صيت فى البلاد العربية المجاورة لهـا .

وكانت بيعته رحمـه الله فى اليـوم الذى أصبحوا فيـه مصابين بامامهم المجيـد ، عبد الملك بن حميد ، فلمـا زال عنهم الجبل قـام لهم جبل أضخم منـه ، وذلك اليوم هو يوم الجمعة من سنة ست وعشرين ومائتين لثلاث خلون من رجب ، بايعه العلامة الجليل الذى طالمـا طالبوه أن يزيل عنهم الجبل ، وهو موسى بن على السامى الأزكوى ، عمـدة المسلمين فى أيامه ، وقطب دائرة الأعلام فى عهـده ، وذلك بعد مـا محض النصيحة وفرغ من مشـورة المسلمين الذين هم أهل الحـل والعقد ، فى ذلك العهد بايعه فرضى المسلمون بيعته ، إذ كان عمدتهم فى دينهم وحجتهم ، فى دنياهم ، وهو قطب الوقت إذ ذاك والعلم هو الذى يسود الأمة ، ويقيم أودها ويرفع أعلامهـا ، والقيام بواجب الشريعة فى الأمة أمر مفروض على الكل ، خلافا لأهل الأهواء الذين لا يرون ذلك ، كمـا بسطنا ذلك فى « العرى الوثيقة » ردا على المبطلين لواجب الإمامة فى الدين ، وكانت البيعة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويدخل فى هذين الوجهين كل خير فى الدنيا والآخرة ، وكل شر ، فان الحق مهمـا كان داخلا فى المعروف ، والباطل بأنواعه داخل فى معنى المنكر ، والأمر بالمعروف يتناول مصالح الأمة لهـا دينا ودنيا ، كمـا أن النهى عن المنكر

كذلك ، ولا أبلغ من دين الاسمين كتابا وسنة وعقلا ونقلا ، ولا يشـذ عنهما أمر أبدا مهمـا كان ، فقام الامام المهنـا فى عمان خير قيام ، عرفه أبطال الاسلام ، فوطىء رحمه الله آثار المسلمين ونهج منهج السلف الصالح فى الحل والترحال ، وسـار سيرة المسلمين ، ومازايلها قيـد شـعرة .

قال أبو الحسن رحمه الله : سار المهنـا سير السلف الصـالح ، وقام بالحق مـا شاء الله الى أن مات ، والمسلمون له مجمعون وبأمره يعملون ، والولاة فى أيامه هم الصادقون . قلت : إن دين الأمة من دين ملوكهـا ، فاذا كان ملك الأمـة المهنـا بن جيفر فكيف لا يكون الولاة صادقين فى أعمالهم ، صالحين فى أممهم ، مصلحين لشـعوبهم وكيف لا يكونون كذلك ، وأمرهم يرجع الى الصالح وراءهم والمصلح لأعمالهم ، يالتلك الأيام مـا أحلاها ،ولتلك الأعمال مـا أعلاها ، حيث يكون العامل يقوم بأعماله باسم الامام العدل كالمهنا :

للمهنـا ومـن كمثـل المهنـا
قـوة لـم تجىء بهـا الأقوياء

قال أبو الحسن لم نعلم أن أحدا أظهر عليه منكرا من عظمة المهنـا فى عمان ، كمـا قال الامام ، كان المهنـا رجلا مهيبا وكان له حزم فى رأيه ، وكان لا يتكلم أحد فى مجلسه ، شرف الوقار وعز سلطان التقى ، قال : ولا يعين خصما على خصم ولا يقوم أحد من أعوانه مـا دام هو قاعدا حتى ينهض ، هى هيبـة الاسلام تدهش كل من يرنو اليهـا والهدى روع العـدا .

وإذا ألبس الإله أحدا لبــاس عز وشرف ، فلا غروى إذا اندهشت له القلوب وذهلت له العقول ، فكم اندهشت لرسول الله عليــه الصــلاة والسلام ، ولعمر بن الخطاب الامام الرضى ، وكذلك غيرهم من أئمة المسلمين وعمدتهم فى الدين ، وكم عنــد على بن أبى طالب ذهلت عقول كثير من الناس ، وللحق هيبة عالية تذهل لهــا قلوب كثير من النــاس ، قال أبو الحسن : ولا يدخل أحد العسكر ممن يأخذ النفقــة إلا بالســلاح ، أى لا يدخل على الامام المهنا عسكره إلا وهم مسلحون ، حتى الهيبــة لباس الشراة وتيجان رجال الدولة ، وهو أيضا عنوان الحماس ، قــال وكان له ناب يفتر عنــه إذا غضب فتظهر له هيبــة عظيمة ، أى إذا غضب الى أن يظهر نابه فان له هيبة تأخذ من القلوب مأخذها .

قوة الدولة أيام المهنا بن جيفر

أعلم أن الامام المهنا بن جيفر رحمه الله ، جد فى تقوية الدولة فى عمان ، لإرغام الأعداء وكبح جماح أهل الباطل فيها ، فجمع قوته إذ ذاك ، فكانت مضرب المثل فى ذلك العصر ، كان رحمه الله كما يقول الامام نقلا عن الأعلام : اجتمعت اليه من القوة البرية والبحرية ما شاء الله •

قيل إنه اجتمع فى البحر أسطول عظيم ضخم بلغ ثلاثمائة بارجة حربية مسلحة بالسلاح العصرى ، تحمل راية الامام مهيأة لحرب العدو ، وإنها لعظيمة فى ذلك الوقت بالنسبة الى عمان فى الجزيرة العربية ، قال : وكان عنده فى نزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أول صارخ ، قال : فما ظنك بباقى الخيل والركاب ، فى سائر ممالكة • قلت : إذا كانت هذه قوة نزوى فقط وهى فى قلب عمان الداخلية ، ففى الثغور أعلى من ذلك أكثر وأجل ، قال العلامة الصبحى رحمه الله : بلغنى أنه كان عند الامام المهنا بن جيفر تسعة آلاف مطية • قال : ولعلها لبيت المال ، قلت : لا شك أنها لبيت المال ، فان المهنا لا مال له إلا أموال المسلمين ، وإذ ذاك فعمان لا جمارك فيها ، وإنما المراد ببيت المال الزكاة فقط ، وما يغنم المسلمون فى الفتوح من الكفار ، قال الصبحى المذكور : وكانت عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل ، قال : وهؤلاء بنزوى خاصة فكيف بعساكر غيرها • قلت هذا يكفى مقاسا على عساكر غيرها ، والله يرفع من يشاء ويؤيد من يشاء من عباده فله السلطان القوى وحده •

قال وكثرت الرعايا فى زمانه ، قلت : كيف لا تكثر والمهنا امام المسلمين ، وكيف لا تكثر والعدل فيها ناصب أعلامه ، فانه هو الذى ينمى الأمة ويكثرها كما يقل : إن العدل يعمر والجور يدمر ، وإذا كان الماء لا يكون له طحلب كما فى أيام الامام غسان ، فكيف لا يكون له نبات وزهر طيب وثمر حلو تعيش فيه الأمة ، ومن قوة إمامة المهنا أن المهرة كما هى ألصق بعمان ، لا تزال تابعة لعمان ذلك العهد ، وكانت أيام المهنا من أعماله ، وكان اتصال المهرة بعمان شائعا ولهم فى عمان معاملات ، ولا يزالون فى العواصم العمانية ، وكان للامام جاب خصيص لزكاة الماشية فى المهرة ، هو عبد الله بن سليمان رجل من بنى ضبة من خصوص أهل منح ، وكان يسكن عز قريبا من منح فخرج الى مهرة لجباية الزكاة كعادته ، حتى وافى وسيم بن جعفر المهدى ، أحد زعمائهم ، وكان قد وجبت عليه فريضتان ، فامتنع الوسيم من دفعهما معا ، وإنما أذعن بدفع فريضة واحدة ، وتغالظ هو وعبد الله بن سليمان ، فقال وسيم لعبد الله : إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة ، وإلا فانظر الى قبور أصحابكم .

قال الامام : ولعله يريد قبور من قتل هناك من الشراة أيام الامام عبد الملك بن حميد ، كما أشرنا الى النضية فى تاريخ الامام المذكور . قال الامام : فقد وقع بين الامام وبعض مهرة حرب ، فأرسل الامام إليهم السرايا حتى دوخهم ، وأذعنوا بالطاعة للامام ، وصاروا كسائر أهل عمان ، واختلطوا بهم اختلاطا مباشرا ، فلما سمع الجابى عبد الله ابن سليمان ذلك الكلام من الوسيم ، وعلم أنه اذا غالطه لابد هو مقتول ، والدار نائية والشقة بعيدة ، ورأى مجارات هؤلاء البغاة

على مــا يحبون ، يخرب أعمــال المسلمين ويحل بالأمور ، تأخر الجابى عن الأخذ والمطاولة ، وانسحب عن الجباية وكر راجعا الى عمــان ليبلغ الأمر الى إمامه بعمان ، وكان قد خرج معــه من عمان صاحب له جمال كان سفرهمــا على جماله ، فلمــا خرج عبد الله بن سليمان عز وطنــه المعروف ، وأرسل الجمال الى الامام ليخبره عن الواقع ، فقدم الجمال الى نزوى فوجد الامام فى مجلســه فى بيت الامامة ، فلمــا انفض النــاس وارتفع الامام من مجلسه المشــار اليه ،دعا بالجمال فى مكانه الخاص به ، فسأله عن عبد الله بن سليمان ، وكيف كان سفره ، فأخبره عن وسيم بمــا كان منــه فقال له الامام : اكتم الأمر ولا تخبر أحدا بمــا أخبرتنى به ، وأكد عليه تمــام التأكيد فى الكتمــان ، وكان الامام إذ ذاك فى غضب على وسيم ، فلمــا وصل عبد الله بن سليمان الى الامام سأله الامام عن خبر وسيم ، فأخبره بمثل مــا أخبره به صاحبه المذكور ، فكتب الى والى أدم ووالى سناو ، ووالى جعلان ، أن إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهرى فاستوثقوا منه وأعلمنى ، وكأنه يأتى غالبــا من هــذه النواحى ، وأنه لا يزال يأتى عمان لذلك أمر الامام هؤلاء الولاة أن يقبضــوا عليه لأنه كثيرا مــا يتردد على هــذه النواحى ، وأهل عمــان كذلك لا يزالون يختطلون بالمهرة ، ولعل وسيما لمــا رأى عبد الله بن سليمان انسحب خاف منه عند الامام ، فجاء مقتفيا أثره ليتسمع عن الامام ماذا يقول ، وأغلب الظن لديه أن أمر مهرة ناء عن عمان ، وأن أمر الزكاة غير كبير فى نظره ، كمــا أن ارتداد العرب بعد النبى عليه الصلاة والســلام كان من قبيل الزكاة ، وأن أبا بكر رحمــه الله تجرد لاخضــاعهم فسكنت نعرتهم ورسخ الاسلام ، فيهم وسرعان مــا كتب اليه والى أدم أنــه قبض على وسيم وأنه استوثق منه ، أى جعله فى وثاقه ، فأرسل اليــه

الامام أبا المقارش يحيى اليحمدى المعروف مع مجاعة من أصحاب الخيل ، ثم أنفذ اليه كتيبة أخرى ، فالتقوا بهم فى الطريق بموضع المنائف بالصحراء ثم أنفذ اليه كتيبة أخرى فالتقوا بهم فى قرية عز ، ثم أنفــذ اليــه كتيبة أخرى فالتقوا بهم فى قرية منح •

قال : فلم تزل الكتائب من الامام تتراسل الى الوسيم بن جعفر المهدى حتى وصلوا به الى نزوى فى أربع كتائب من جيش المسلمين ، وقد بلغت الأهمية من الامام بوسيم مبلغها ، فأمر الامام بحبسه ، ولعل ذلك كان حيث إن أخلاطا بعمان من سائر بلاد العرب يريد الامام أن يظهر لهم الشدة والقوة ، حتى لا تتأمل نفوسهم العتو على الحق والتمرد على العدل ، وان تذل نعرتهم وتنطفىء نخوتهم ، وتسير السائرة من عمان باهتمام الامام البالغ حده على المتمردين ، قال : فمكث لا يقدر أحد يذكر فيــه ولا يسأل عنه ، ولا يتحدث عن خبره حتى وصل جماعة من المهرة ، أى من أعيانهم فاستعانوا على المهنا بوجوه اليحمد ، قال : فجابهم الى إطلاقه وشرط عليهم ثلاث خصال ، أى واحدا منهــا فأجابهم الى أحدهــا وهى إمــا أن يرتحلوا من عمــان • قلت : وهــذا يحدثنا عن وجودهم بعمان وجودا محسوسا ، ولهم علاقات بالامامة ، ولعلهم يأتون لعطايا من الامام ؛ قــال : وإما أن يأذنوا بالحرب ، وإمــا أن يحضروا الماشية كل حول الى عسكر نزوى ، وتشهد على حضورها العدول ، أى من المسلمين أنه لم يتخلف منهــا شىء ، وتعدل الشهود المعدلون بأدم : فقالوا : أمــا الارتحال فلا يمكننــا ، أى حيث لهم أعمــال وروابط تربطهم بالمسلمين ، قالوا : وأما الحرب فلسنا نحارب الامام ، وأمــا الابل فنحن نحضرها ، أى وهــذا أهون الأمور الثلاثة • قــال : فعند ذلك أمر الامام بتعديل الشهود ،

فكانوا يحضرون إبلهم فى كل سنة تدور فى شهر خاص عين لإخراج الزكاة ، فكانوا يراعون ذلك الشهر ، فيأتون بماشيتهم الى نزوى ، وفى هـذا من إظهار المسلمين مـا لا مزيد عليه ، وتلك ثمرة القوة التى أرشـد اليهـا القرآن الكريم فى قوله : (وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة) ، (وأن لى بكم قوة) ، (فأعينونى بقوة) وإنهـا لهى كرسى الملك وعرش الزعامة ، وعى قدرها تبلغ الدعوة فى الناس ولهـا يخضع العتاة .

اعمـــال الإمام المهنـــا مع البغاة وأهل الفساد

اعلم أن أعمال الامام المهنــا مع أهل الفساد والبغى شديدة ، وربما كانت قاسية لاقتلاع جذور البغى والفســاد من أهلهــا ، فانظر الى معاملته وسيم بن جعفر حيث أودعه الحبس حول ســنة لم يقدر احــد يذكره عند الامام ، وبعد ذلك لمــا وافقهم على إطلاقه مع تعهدهم للامام عنه بالاذعان والطــاعة ، شرط عليهم تلك الخصــال مع أن الجانى واحد منهم ، وإن كان زعيما فألزمهم قبول إحدى تلك الخلال ، مــا ذلك وأيم الله إلا لتأييده وتدعيمه بالدعائم القوية ، فأذعنوا لأخفها وطأة ، وهــو سوقهم مواشيهم من مهرة الى منح وتروى لأداء الزكاة ، وكان أن يقصدهم الجابى الى أمــاكنهم فسبب ذلك تهديد وسيم لجابى الامام ، وهــو عبد الله بن سليمان الضبى من أهالى عز ، ومنهــا أن رجلا طعن رجلا فى جسده ولعله بحديدة حتى أدماه على مــا يظهر من كلام الامام رحمــه الله ، فأمر الامام بالطاعن فجلد تسعين سوطا، وقال : تسفك دماء المسلمين على بابى ، وكان على الطاعن أرش طعنته وتأديبه بمــا يقتضيه نظر الامام ، فأدبه رحمه الله بسوطه تسعين جلدة .

قال الامام السالمى رحمه الله : وذلك على قول من لم يجد للتعزير حدا ، وإن زاد عن قدر الحدود ، وهو قول من أقوال المسلمين وعليــه كثير من علماء المسلمين ، لأن جعل التعزيز والتنكيل والتأديب موكول الى نظر القائم بالأمر من إمام ووال وقاض ونحوهم ، وعليه أن رأى أن يزيد على الحدود المقررة فله ، لأن الشارع حدد وأطلق ، فمــا حدده فلا يمكن مجاوزة تحديده ، وما أطلق علماء المسلمون أنه موكول إليهم ، ألا تراه

يقول للأزواج فى ضربهم لزوجاتهم إذا خالفنهم (فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فــلا تبغوا عليهن سبيلا) فجعل غاية ضربهن الطاعة لأزواجهن ، وإن كان أكثر العلماء يرون أن التعزير لا يتجاوز أقل الحدود وهو تسع وثلاثون جلدة ، لأن أقل الحدود حد العبيد وهو نصف حد الحر أربعون جلدة ، فاستعمل الامام رحمــه الله الشــدة فى التعزير ، ليسود الأمن وتطمئن الأمة فى أحلاس بيوتهــا ، لا يعدو بعضها عــلى بعض ، وقد عمل بمثل الامام المهنــا رحمه الله الامام الصلت بن مالك ، فى تقريره لعبد الله ابن نصر ، إذ ضربه خمسين سوطا ، وإن قيل لعله اقتدى بالامام المهنــا ، قلنا هــذا أيضا ممــا يؤيد عمل المهنا ، لأنه لو لم يكن حقا مــا اقتدى به الامام الصلت ، والعلماء إذ ذاك متوافرون ، واليهم حل الامامة وعقدها ، ومــا الامام إلا كواحد منهم إلا فيمــا كان خاصا به ، أى من خصوصيات الامامة والغرض من هــذا كمــا قلنا زجر الامة وردعهــا ٠

فلله در الحق مــا أعلاه وما أسده نظرا ومــا أهداه ٠

ومن شــدته على أهل البغى والفساد أيضــا مــا عامل به بنى الجلندى ، فان بنى الجلندى كمــا سبق فى علمك أيهــا القارىء الكريم ، إنهم كانوا يعدون أنفسهم ملوكا فى عمان ، وأن لهم مــا ليس لغيرهم ، وكانوا كلما لاحظوا فرصــة أو رأوا غفلة ، هاجموا مركزا من مراكز المسلمين بعمان ، فتقوم الامامة الحالية فتقمعهم كمــا فعل بهم الامــام الجلندى بن مسعود رحمه الله ، إذ ضرب أعناقهم وقاموا فى أيام زعيمهم راشد بن النضر وخرجوا على دولة المسلمين ، فقام لهم رجال الحــق فأرغموهم على الرجوع اليه ، ووقعت وقعة المجازة من الظاهرة فدوختهم ،

وفرقت بهم فى البلاد وهكذا ، ثم قامــوا فى أيام الامام المهنا بن جيفر فهاجموا تواما أى البريمى ، ذلك لأن الوالى كان غير آمل أن يهجم عليه عمانيون ليحتلوا البلاد ، وعلم الامام عليهــا ، وصولة الامام المهنــا معروفة ، وهى لا شك أنهــا مرهوبة ، ولعلهم ظنوا أن الضعف بدأ يدب فى جسم الامامة ، لأن المهنــا أخذ فى السن ، وبدأ الضعف الجسمى يحتل منه قواه ، فسولت لهم أنفسهم ذلك •

وقال الامام : وفى أيامه أى المهنا تحرك بنو الجلندى ، قال : ورأسهم يومئذ المغيرة بن روشن الجلندانى ، قال وشايعهم ناس من أهل الفتنة ، فدخلوا توام ، وكان أبو الوضاح واليا بهــا للامام فقتلوه رحمــه الله ، فقــام الامام لقمعهم ، وجهز لهم جيشا ولى قيادته الصقر بن عزان ، وأمر على أبى مروان رحمـــه الله ، وكان واليا على صحار ، بأن يخرج بمن عنده معهم ، فســار أبو مروان بجيش من صحار وفيهم المطــار الهندى ، وكان من أبطال الرجال ، وكان أميرا فى جيش صحار على الهنود ، وكان للامام جيش فى صحارى من الهنود خاصة ، كان المطــار قائدهم ، فكان الجيش اثنى عشر ألفا ، فهاجم الجيش البريمى ودارت رحى الحرب بينهم ، فأنى لآل الجلندى الوقوف فى وجه ذلك التيار الجارف ، فقتل من قتل منهم وانفضوا فى الأرض هاربين ، وانتصر الجيش عليهم انتصــارا كليا • قال الامام : فقتل من قتل من البغاة ، وهزم الله جمعهم ، وهرب من هرب منهم وفرق الله شملهم •

قال : وعمد المطار الهندى ومن معه من سفهاء الجيش الى دوربنى الجلندى ، إذ كانوا متأهلين فيهــا آمنين مطمئنين ، وبذلك اغتروا فأحرقوها

بالنـــار ، وفى الدور الدواب مربوطة من البقر وغيرها ، والرجل من السرية يلقى بنفسه فى الفلج حتى يبتل بدنه وثيابه ، ثم يمضى فى النـــار ليقطع عن الدواب حبالها وتنجو بنفسها من النـــار ، قال الامام : فقيل أحرقوا خمسين غرفة أو سبعين غرفة لبنى الجلندى ومن معهم ، فهربت النساء من تلك البيوت لائذات بالصحراء على وجوههن ، يختفين فيهـــا روعة من الجيش ، فلبثن بالصحراء مـــا شاء الله ، وكان الجيش يشـــدد الوطأة إذا رأى امرأة حاملة طعاما أو ماء أراقه وأتلف الطعـــام لعله لرجال هناك ، فاضطرت النســـاء من الجوع ، وكان الجيش مخيما بالبريمى حتى إن أمة انطلقت الى القرية بالليل تلتمس طعاما وشرابا لسيداتها فى الصحراء ، فحملت ما وجدت سويقا وماء فى سقاء من أسقية اللبن ، فحملت فيـــه ماء وحملت السويق معهـــا ، ولعلهـــا أيضـــا حملت بعض الأثواب للنساء ، فرآهـــا رجل من رجال الجيش متوجهة الى النســـوة بذلك الســـويق ، وسقاء المـــاء فأدركها الرجل ، فعمـــد الى السويق فأخذه فصـــبه فى الرمل وعمد الى المـــاء فأراقه ،ثم انصرفعنهن وخلى النســـوة بضرهن . قالأبو الحوارى : فلم يقل لنـــا أحد إن أبا مروان أمر بذلك ولا نهى عنـــه ، قال : ولعله قد نهى عنـــه ولم يسمع . قلت : يحتمل ذلك أشياء أخرى منهـــا لعله علم عنهن ضررا على المسلمين ككونهن عيونا للبغـــاة أو محاربات أو جارمات على المسلمين ، ولم يفعل فيهن شيئا إلا أخذ السويق والمـــاء ، ولم يستحله أكلا أو شربا ولعل أبا مروان أيضـــا لم يعلم بذلك ، فكيف يقـــال مـــا نهى عنه ، ولعله من معرة الجيش وأنى بأبى مروان العلم بجميع مـــا يفعله الجيش من أحوال ، مع أن قيادة الجيش كانت الى الصقر بن عزان ، فمـــا وجه لوم أبى مروان ووقت الحرب تقع من الجيوش أشياء قد لا يعلم بهـــا القواد والمسئولون إلا بعد مدة من

وقوعهـا ، وقد قضى عليها فيتدارك الأمر مـا أمكنه ، وربمـا سكت عن ذلك فى ذلك الحال سياسة يقتضيها الحال .

والخلاصة أن الامام دوخ آل الجلندى هنا بعد مـا رأوا أنهـم قادرون على الخروج ، إذا توفرت عليهم النعم وشايعهم على ذلك من غره هواه ، وقاده الباطل لمـا يهواه ، فكانت عاقبة أمرهم خسرا ، وبعد الفراغ من الأعمـال تداول المسلمون القضية انتصارا وانتقادا ، فأرسل الامام رحمـه الله من ينظر فيما أحرق على أهل توام ممن لم يدخل فى فتنـة آل الجلندى ، ويقوم أموالهم بالأثمان . قال الامام ، نقـلا عن أبى الحوارى : ثم بلغنـا أن الامام بعث بعد ذلك رجلين الى توام الى القوم الذين احترقت منازلهم ، فدعوهم الى الانصـاف ويعطونهم مـا وجب لهم من الحق أ هـ .

وقد تداول العلماء هـذه القضية فيما بينهم نقدا وردا ، وذكرها الصائغى فى نظمه وحررها الامام السالمى فى جوهره ، فكانت برهانا لمثل هـذه الأحوال التى تقع من مغرات الجيوش فى كل جيل ، والحجة أعمال أهل العدل لا أفعال أهل البغى والباطل ، فيجوز كسر قوة أهل البغى والفساد بهدم البيوت وقطع الأشجار ، وتخريب الديار ، وكل مـا يوهن الباغى : (مـا قطعتم من لينـة أو تركتموها قائمـة على أصولهـا فباذن الله وليخزى الفاسقين) حتى لا تكون لهم قوة يرجعون إليها يوما مـا ، فاذا تبين هدم بيوت غير المستحق أو قطع نخلهم وأشـجارهم ، فعلى المسلمين ضمانه فى بيت المـال ، لأن الخطأ فى الأموال مضمون عـلى كل حال ، إن لم يحل الشرع إتلافه ، وقد قام الامام رحمه الله على آل

الجلندى فقمعهم ، ثم قام لمن لم يدخل فى بغيهم وقوم أموالهم ودوابهم وبيوتهم ، وليس عليه فى دين الله إلا ذلك .

ومنهـا أن الامام المهنا لمـا كان شديدا فى أعماله مع أهـل البغى والفساد ، كان ولاته أيضا كذلك لأنهم كمـا فى الحديث على دين ملوكهم ، ومن ذلك كان أبو مروان واليـا على صحار ، كمـا علمت ذلك وكان شديدا . قال الامام : كان أبو مروان يشدد على الناس المخالفين أن يظهروا بدعتهم كالقنوت ورفع الأيدى فى الصـلاة ونحو ذلك ، ومنـه تقديم تكبيرة الاحرام على التوجيه ، لأن هذا كله ممـا خالفونا فيـه ، قال الامام : قلت إلا تقـديم تكبيرة الاحرام على التوجيه ، فان فيـه قولا بجوازه فى المذهب ، لكن لم يعملوا به أى عملوا بمـا هو الأرجح عندهم ، وهو أن التوجيه من سنن الصلاة ومن مقدماتها ، وأمـا نفس الصلاة فقد حصرهـا الشارع صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : أولهـا التحريم وآخرها التسليم ، فكانت الصلاة بهـذا النص الصحيح محصورة بذلك ، فتبين أن مـا كان بينهما داخلا فى حكم الصلاة ، ومـا عداه فلا . قال الامام : وإنما عمل به المخالفون أى تقديم التحريم فى الصـلاة ، فصار شعارا لهم ، فلهـذا شدد عليهم الوالى المذكور .

قال أبو إسحاق فى تعليقه : إن مخالفينا يمنعون متى اتخذوا مسائلهم دعاية الى مذهبهم ، وفتنوا أهل المذهب فى دينهم ، ويدلك على هـذا ما سبق لك ممـا كتبه العلامة هاشم بن غيلان رحمـه الله الى الامام ، لمـا ظهر القدرية والمرجئة وغيرهم بصحار أيضا وفتنوا الناس فى دينهم ، فانه كتب الى الامام بمنعهم أو إخراجهم من صحار ، بل من عمان ، أما الذين كانوا على التزام السكينة ولا تخشى منهم بادرة ، فانهم فى حرية

مذهبهم دون أن يصدهم عنه أحد • قال : ولما كانت صحار العاصمة البحرية ، ومشهورة بسوقها يومئذ صـــار الأوفاض التى ترد اليهـــا من كل أرباب المذاهب والدسائس كثيرا مـــا لعبت هنالك ، وكلفت الامامة شيئا عظيما من المـــال والرجال ، وهددت الأمن ، لهـــذا كان رجال الدولة بعد ذلك يتخذون الحيطة الضرورية للمفاجآت وكذلك الواجب :

ومن رعى غنمـــا فى أرض مسبعة
ونام عنهـــا تولى رعيهـــــا الأســـد

واعلم أن عمان كلها مـــا كان فيها إلا إباضى صحيح العقيدة صالح العمل ، حتى اختلط بهم من قومنـــا أخلاط أخذوا منهم كل غث ، وكيف لا ونفس المجاورة دليل العدوى وسبب لهـــا ، والصبر يفسد العسل ، وقرين الســـوء لابد أن ينال منه مقارنه • واعلم أن هـــذا الدين لا تحفظه إلا بشدة كشدة عمر بن الخطاب رحمه الله :

ولو كان لين القـــول يظهر دعوة
لكـــان رسول الله حـــلو المنـــاطق

ولكنهم لم يخضعوا له حتى رأوا السيف أحمر يلمع فى الأفق ، ويقطر دما ، فحينئذ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ملكت فأسجح •

ولا ريب فان الامام المهنـــا صان الدين بتلك الشدة ، وحفظ البيضة بتلك الصرامة ، ولله يومه بين أيام الدهر بعمـــان • قال أبو إسحاق رحمـــه الله لو سلك بقية الأئمة بالامامة مسلك الامام المهنـــا رضى الله

عنــه ، لكانت عظمة الامامة بالغــة أوجهــا ، وكان من الدول العظمى الى اليوم ، فرحم الله أولئك الرجال العلمــاء الذين أبصروا منهم الحق فأيدوا الامامة ، ونصروا الامام على عدوه الى أن لقى الله وهــو فى عز الاسلام راضيا مرضيا ، ولكل درجات ممــا عملوا ، والله يتولى من عباده الصالحين .

حزم الإمام المهنــا ويقظتــه فى الأمور

كان الامام المهنــا بن جيفر رحمــه الله على جانب عظيم من الحزم ، وعلى منتهى حدود الفطنة من اليقظة ، وبذلك قامت له هيبــة فى عمان ، حتى اهتزت لهــا الأرجاء والنواحى ، وحتى التزمت المهرة لهــا سوق ماشيتها من المهرة الى نزوى ، وكيف لا وثلاثمائة سفينة تمخر عباب البحر حاملة للعلم العمــانى ، محافظة للبحر من القرصنة ، وخمسة آلاف فرس مهيأة لأول صارخ ، وتسعة آلاف ناقة لهــا أهميتها فى ذلك الوقت ، معدودة لرد كل باغ على المسلمين بغير حق ، وإنى أنقل لك عن الامام السالمى رحمه الله أكثر من غيره ، لأنه الموثوق به عند الخاصة والعــامة المقبول عند الأمة قبل غيره ، قال فى تحفة الأعيان :

كان الامام قد أسن وكبر حتى أقعد فاجتمع الى موسى بن على جماعة من الناس ، وهو أى موسى بن على قاض للامام المذكور ، وهــو شيخ المسلمين ومرجع الفتوى ، وهو يومئذ شيخ الاسلام ووزير الامام ، ورأس أهل الحل والعقد ، يرجع اليــه بالمشورة خصوصا فيمــا يتعلق بشئون الدولة والبيعة والخلع ، همــا أكبر شىء إذ ذاك فى نظر المسلمين ، فقالوا له : إن هــذا الرجل يعنون الامام قد أسن وكبر وضعف عن القيام بــذا الأمر ، يعنون الامامة ، فلو اجتمع الناس على إمام يقيمونه مكانه كان أضبط وأقوى على ذلك ، قــال فخرج موسى الى الامام ، فلمــا دخل عليه جعل يسأله وينظر حاله ، فعرف الامام معنــاه وفهم مراده بذلك ، فقال له : يا أبا على الى والله لئن أطعت أهل عمــان على مــا يريدون ،

لا أقام معهم امام سنة واحدة ، وليجعل لكل حين امام ويولون غيره ارجع الى موضعك فمـا أذنت لك فى الوصول الى ، ولا استأذنتنى ولا تتم بعد هـذا القول ، هـذا مـا فهم الامام من الشيخ الولى موسى بن على ، وإنه لحق لا يجهله من مارس الأمور وتنبه للمحذور ، والمعنى لو فتحنا هـذا الباب لأهل عمـان لوقع التلاشى فى الأمر ، فالأولى أن نسد الباب قبل أن يتسع الخرق على الراقع •

وكان من سياسته وحزمه ويقظته لعواقب الأمور مـا ذكره الامام فى صحيفة تسع وخمسين ومائة ، قال من خيف على الدولة منـه أكل ماله فى السجن ا هـ • ومعنـاه أن من خاف الامام ضياع دولة المسلمين منـه تناوله فأودعه فى السجن ، وبيع ماله لطعامه ، وهـذا من أعظم مـا أذل به الامام من خاف منـه الضياع فى الدولة ، وأن هـذا من الحزم بمكان لا يخفى على أهل السياسات الدولية ، ونترك النقاش فيه لمحل آخر ، بل واجبنا الآن من هـذه الناحية توضيح حزم الامام ، وبديع سياسته فى المقـام ، ولولا ذلك لمـا قامت عظمة الاسلام فى عمـان ، وحسبك أنهم لقبـوه صاحب الناب ، وكانوا يهددون به البغـاة ، فيهتزون له رعبـا ، وليت أوليـاء أمور المسلمين كذلك كلهم ، ولو كانوا كذلك لمـا لعبت الخلاعة دورهـا • وأقول بحق لم تعرفعظمة ولا هيبـة الإمام فى آل اليحمد كعظمة المهنـا وهيبته ، وذلك يرجع الى حزمه وعزمه وحسن يقظته فى الأمور التى ابتلى بهـا ، فكان لنـا به مزيدوصف فى شخصيته الموقرة ، ولكن الدهر لا يرضى ببقـاء أحد طيلة أيامه ، وأن المهنا بن جيفر بمنزلة قيد الأرض فى آل يعرب ، فانه جمع هيبة الدين والدنيا وعظمـة البر والبحر ، وناهيك بجيش فى البحر تحمله ثلاثمائة سفينة ، وفى البر تحمله النياق والخيل •

ولا شك أن ضبط الممالك تحتــاج لمثل نحو هــذه الأعمال ، فأكرم بالمهنـــا وبأعماله فى عمـــان ، ولو دونت لأخبارهم وأعمالهم لكانت منتهى العظمة الدولية ، ومـــا دون منهـــا ضاع ، وبقينـــا نلتمس ذلك من ابن رزيق الشـــاعر الذى يريد أن يكون من أهـــل العـــلم المؤلفين ، ومن سرحان بن سعيد الأزكوى وتاريخه ، لا نجـــده إلا فى المكاتب الأجنبية ، وقد بـُدّل وغير ، ومن العوتبى الصحارى ومن منثور الفقهاء فى آثارهم عند مدحهم لمن يرضون أو قدحهم لمن يتهورون ، ومن المفهوم الذى تدل عليه إجماليات أقوالهم ولو دونت الأخبار لـــما احتجنا الى ابن الأثير يقول فينا الغث والسمين ولا صاحب المروج •

وفاة الإمام المهنا بن جيفر رحمه الله

كان من قدر الله عزوجل لما خرج العالم الوحيد موسى بن علي من عند الامام المهنا في تلك الحال التي قام بها الطالبون لعزل المهنا بدعوى أنه قد شاخ وعجز عن القيام بأمور المسلمين ، وأن شيخوخة المهنا أقوى من شباب غيره ، ولكن طبع بني آدم الملل ، ولو لم يطل العهد ، فلما رجع العلامة الجليل موسى بن علي توفاه الله في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول من سنة ٢٣٠ ثلاثين ومائتين ، وكان ولد ليلة عاشر من جمادى الآخرة سنة ١٧٧ سبع وسبعين ومائة ، فيكون قد عاش رحمه الله ثلاثا وخمسين سنة ، وهو بهذا قد مات في أول نضوج معارفه ، واستكمال شعوره واستفحال عقليته ، وقيل كانت وفاته في سنة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين ، فيكون قد عاش فقط أربعا وخمسين سنة . قال الامام : والأول أثبت . قلت : فان صح الثاني فيكون .. رحمه الله الأول أصح لأدلة جلية وبقي الامام بعده متأثرا بوفاته تأثرا لا مزيد عليه ، وكذلك لأسباب عديدة لا يجهلها إلا القدم الغبي .

وتوفي الامام المهنا رحمه الله يوم الجمعة والناس في المسجد ، قد حضروا لصلاة الجمعة ، فبعد الأذان الأول جاءهم خبر وفاة الامام ، ولم يقولوا في صلاتهم شيئا ، فصلوا جمعتهم ظهرا ، وقاموا لتجهيز إمامهم ، وكان صلى بهم ذلك اليوم خالد بن محمد المعدي ، قال الامام : وفي الأثر كان الامام مريضا ، وقم الخطيب على المنبر ، فبينما هو في الخطبة إذ جاء رجل فأخبرهم بموت الامام ، فقطع الخطيب الخطبة وصلى على النبي ﷺ ، ودعا ونزل من المنبر وصلوا أربع ركعات ، قال : وأحسب أنه

كان فى المسجد محمد بن محبوب، ومحمد بن على ولم أبصرهما ، ولكن توهمت ذلك لأنهم اجتمعوا فى بيت المشــورة ،يتشاورون فيمن يقدمونه إماما ، وكأنهم أحسوا بموت الامام فى ذلك المرض ، قال وأحسب أنه قد كان فى المسجد هلال بن منير وذلك لست عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٧ سبع وثلاثين ومائتين •

فصلى عليــه ابنه جيفر أى كان امام الصــلاة على والده رحمه الله ، ولا تسل عمــا ألم بعمان من دهش وروعة لوفاة الامام حفظ البحر والبر بهمتــه العلية ، وعزيمته القوية ، ورعايته الوفية ، تحت ظل الديمقراطية الاسلامية والحمد لله الذى له الملك كله وله الأمر سبحانه من قادر كريم يفعل مــا يشاء ويحكم مــا يريد له الخلق وله الأمر •

إمامة الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصى

لمـا رأوا حالة الامام المهنـا بَطَل الاسلام يحيط به الحمام ، كمـا أنه على كل نفس لزام ، ورأوا أمرا لابد منـه وهو إقامة إمام ثان يخلف الأول فى المسلمين ، ويقوم بحقوق الله والدين ، اجتمعوا فى بيت المشـورة وقادتهم العلماء الأمجـاد والسادة الأجواد ، أقطـاب الهدى وعمدة أهـل الاهتداء ، وهم محمد بن محبوب بن الرحيل القرشى المخزومى ، والمعلى ابن المنير الفشحى ، وعبيد الله بن الحكيم ، وبشـير بن المنـذر ، ومحمد ابن على ، ومعهم من خيـار أهل العلم الذين نشـأوا فى ذلك الجيل الكريم الذى أحاطه ورباه المهنا بن جيفر رحمه الله ، وهم زياد بن مثوبة والمنذر ابن بشير ، ورباط بن المنذر ومحمد بن أبى حذيفة ، وهاشم بن الجهم وعلى بن صالح ، وعلى بن خالد ، والحسن بن هاشم ، وأبو المؤثر الصلت بن خميس ، وزياد بن الوضاح ، وسليمان بن الحكم ، ومن معهم من خيار المسلمين ، ولله عهـد يجتمع عليه مثل هؤلاء الأماجد الأبطال أخيار الأمة وعلماؤها فى ذلك العهد ، نظر هؤلاء الرجـال الفطاحل فيمن هو الذى ينبغى أن تعقد عليه بيعة الامامة ، فوقعت خيرتهم على الصلت ابن مالك ، فبايعوه يوم الجمعة عند غروب الشمس ، وذلك بعد الفراغ من دفن الامام الراحل لست عشرة خلت من ربيع الآخر سـنة ٢٣٧ سبع وثلاثين ومائتين ، وهو نفس اليوم الذى مات فيـه الامام المهنـا رحمه الله ، وقام بالبيعة له العلامة الجليل بشـير بن المنذر رحمه الله ، ومحمد بن محبوب رضى الله عنـه .

قال أبو المؤثر : كنـا فى المشورة لمـا مات المهنـا ، فوقع فى ثوبى

دم فذهبت أغسله فرجعت وقد بايعو للصلت بن مالك ، أو قال انقطعت الأمور فسأله محمد بن محبوب قائلا له : أين كنت أو ما أخرجك من الناس ؟ قال فقلت : وقع فى ثوبى دم فذهبت أغسله ، قال فاستتابنى أى أتهمه فى خروجه أنه وقع فى نفسه أمر لم يذكره لهم :

وإذ سخر الإله أناسا
لسعيد فإنهم سعداء

قال ابن رزيق فى سيرته : بايع المسلمون الصلت بن مالك رحمه الله وكان يومئذ رئيس المسلمين فى العلم والدين الشيخ العالم العامل القطب الفهامة محمد بن محبوب رحمه الله ورضى عنه ، بايعوا الصلت على ما بويع عليه أئمة العدل من قبله ، قلت : كان قبله أربعة أئمة عدول ، وكان الصلت الامام الخامس : وكانت البيعة له على نسق البيعة لإخوانه المتقدمين •

قال الامام : وكان المشهور فيهم أى الذين بايعوا الصلت محمد بن على القاضى ، ولعله أخ لموسى بن على ، وسليمان بن الحكم ، ثم ذكر الذين سبق ذكرهم ، قال :ومنهم أناس من أهل العلم والفضل ، وإن لم يبلغوا مبلغهم فى العلم منهم بشير بن المنذر ، وكان سيدا من سادات المسلمين بعزمه وقوته على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فبايعوا الصلت بن مالك رحمه الله مع من حضرهم من المسلمين ، وقدموه عليهم ، وسلم الناس لهم وسمعوا وأطاعوا ، ولم يخالفوا فى ذلك ، قال أبو قحطان : أجمعوا على إمامة الصلت بن مالك وولايته وولاية من قدمه من المسلمين • قال : وأجمعوا على نصرته وتحريم غيبته والامتناع

عن طاعته ، قال : وقيل فى موضع آخر ثم ولى الصلت بن مالك وكان يومئذ بقايا من أشياخ المسلمين وفقهائهم رحمة الله عليهم ، وإمامهم يومئـذ محمد بن محبوب رحمـهالله وغفر له ، فبايعوه على مـا بويع عليه أهل العدل قبله ، فسـار الصلت بن مالك بالحق فى عمان مـا شاء الله ، حتى فنى أشياخ المسلمين جملة الذين بايعوه ، لا نعلم أن أحدا منهـم فارقه ، وعمر الصـلت بن مالك فى إمامته مـا لم يعمر امام من أئمـة المسلمين فيمـا علمنا ، حتى كبر ونشـأ فى الدولة شباب وناس يتخشـعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ويبطنون حب الدنيـا ، ويأكلون الدنيـا بالدين ، فلمـا طال عمر الصلت بن مالك رحمة الله عليهم ، ملوه لمـا كبر وضعف ، وإنمـا كانتضعفته من قبل الرجلين ، وأمـا السمع والبصر والعقل واللسـان فلم نعلم أنه ضـاع منه شىء ولا نقص منه شىء هذا كلامه نقله عنه الامام فى تحفته .

قال : وسيأتى أنه كان يبرأ ممن عزل الصلت . قال : وكان أبو مروان رحمـه الله تعالى واليـا للمهنا على صحار ، كمـا سبق . قال : فعزله الصلت فخرج أبو مروان الى نزوى ، فأقام بهـا حتى توفى ، وولى ابن مالك صحار محمد بن الأزهر العبدى ، وقدم محمد بن محبوب صحار فى سنة تسع وأربعين ومائتين ، فولى القضاء بهـا من قبل الصلت بن مالك فنعم الوالى ونعم المتولى ، وأكرم بابن محبوب إذ ذاك السـيد العليم الموقر جرثومة الفضل والشرف ، وبصحار فى عهـدة وهى المدينة الجليلة يرف عليها العلم الأبيض تحت ظل سادة المسلمين أهـل الفضل والشرف ، ومن ورائهم الصـلت بن مالك الذى لا ينكر فضله ولا يجهل مقـامه .

الامام الصلت يجهز جيشاً لاسترداد سقطرى

أصلت الصلت للمعادين إصليت انتقام فبادت الخصماء

كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلهـا تحت راية إمام عمان ، حتى جاء النصارى بأسطولهم فهاجموا سقطرى على غير علم من إمام عمان ، وهى فى شقة بعيدة إذ ذاك ، ولا طريق لهـا من البر والبحر لا يمكن عبـوره إلا فى الموسم الخاص ، وبذلك أخذوا الفرصـة لهذا العمل ، ومن للامام ومن لأهـل عمان أن يعلموا بمـا فى تلك الأجواء ولا برقيات ولا مخابرات ولاطيارات ولا بواخر إلا التى فى المواسـم المعروفة ، وكان القاسم واليـاً عليها من قبل الامام بعمـان ، فاتصلت الأخبار بالإمام بعد مدة طويلة ، وكان من جملتهـا قصيدة أنشأتها امرأة من أديبات سقطرى تستنهض بهـا الامام وتستغيثه على هؤلاء العائثين فى البلاد ، وتخبره بالواقع بعبارات تذيب القلوب الجامدة، وتحرق الأذهان المتوقدة ، وتحرك المشاعر الواهية ، بأشبه بكلام الخنسا ولا ريب للأدب تأثير فى القلوب أشد من تأثير النار فى جزل الغضا ، تقول فيها

قل للإمام الذى ترجى فضـائله
ابـن الـكرام السـادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم
كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الاسلام مقفرة
بعد الشرائع والفرقان والكتب

وهكذا ذهبت تذكر الأحوال الحاضرة بعد الأعمال الغابرة ، وتندد بالحوادث الجائرة والأفعال الخاسرة ، وتستثير حفائظ المسلمين على ما أصابهم من أولئك الطغاة المتمردين .

فانهم لما هجموا على البلاد قاومهم الوالى فقضوا عليه وعلى من معه ، وتولوا أمر البلاد كأنها لا زائد عنها ولا رادع ولا راد ، فدمروا البلاد وهدموا المنازل ، وخربوا المعاهد حتى عم البلد الكفر ، فلا إسلام ولا داعى اليه ، ولا أذان إلا نواقيس النصارى ، وانتشرت فيها الفوضى وفضت الأبكار ، ومزقوا كل ما قدروا عليه فى بلاد المسلمين ، وفعلوا الأفاعيل المنكرة والحال هم آمنون مطمئنون يفعلون ما يشاءون ، وهكذا شأن العدو إذا رأى فرصة فى عدوه فلما تحقق الامام الصلت حقيقة الأمر هزته أريحية الدين ، وأشعلت ضميره القوى ، وهزته ولا هز العواصف لعالى الغصون ، فأجابها بلسان الحال بمثل ما أجاب المعتصم المرأة المغربية ، فكانت هذه أخت تلك ، فقام لجمع الرجال الصناديد الذين يهشون للجهاد هش الإبل العطاش الى الماء ، فانتقى شرارة الرجال ، وجهزهم تحت قيادة محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال البطلين المنتخبين ، وعهد إليهما عهدا عظيما لا تسل عما حوى من فقه ، وما انطوى عليه من واجب ، وما حرر فيه من آراء ، وما بين فيه من سياسة ، وأودع فيه من أوامر ونواهى وما جمع فيه من أفكاره المتقدة وحماسه المزدحم ، غيرة على انتهاك الحرم ، ولو كان القرآن من كلام الآدميين لقلنا إنه قرآنهم ، وقد حوى ذلك الكتاب من الآثار ما يبهر الأفكار ، كما اشتمل على خمس وثلاثين آية كل آية يحتمل شرحها مجلدا ضخما ، ومن الأحاديث النبوية احتوى على معانى أكثر من مائة حديث ، لها قيمتها الفقهية ، وفيه من التحريض

شىء يقيم الجائم على ركبتيه ، ويرد الشارد الى الحق ، ويجعل الجبان شجاعا فى دينه ، بحيث لا يرى للموت قيمة ولا للحياة ثمنا حتى يدوس على هامة الكفر برغم أنفه ، وقد قدر لهم عقيدتهم حتى لا يتزعزع عنها أحد ولو أطبقت عليه السماء والأرض ، فاسمع قوله رحمه الله :

وقولوا كما قال إخوانكم لوضربونا حتى نبلغ الغاف من عمان لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل ، وأنهم حزب الشيطان وأنتم حزب الرحمن ، وبين حكم ما يغنمون وكيف يفعلون فيه فى كتاب يصدق عليه اسم مصنف لاحتوائه على تلك التقارير الدالة على غزارة علمه وسعة فقهه وحسن سياسته، فلله در امام كالصلت الكريم ما أعلى نظره وما أوفى عمله وأصدق فعاله ، وإنه ليحق أن يجعل درسا فقهيا يلقن الطلبة فحواه ، فانه لم يبق من أحكام الفقه شيئا إلا ذكره خصوصا فيما يتعلق بأحوال الحروب ، وقد استهله بجواهر التوحيد ، وتعظيم الملك المجيد ، وبث فيه من المواعظ ما تنفطر له الأكباد ، وترق له الأحجار القاسية ، ووصى فيه بالتقوى ، ودعا فيه الى الصبر على البلوى ، فهو حجة المسلم المخلص لربه ، وعماد الشجاع المجاهد فى دينه ، وكان القائد لهذا الجيش محمد بن عشيرة ، وينوب عنه سعيد بن شملال ، وكل واحد منهما يقوم مقام صاحبه إن حدث بأحدهما حدث ، وفى مقامها حازم بن همام ، وعبد الوهاب بن يزيد ، وعمر بن تميم ، وعرضت تلك الأساطيل لحمل أبطال عمان ، فكانت مائة بارجة وبارجة حربية مهيأة لغزو العدو ، وهى التى أحاط بها الامام المهنا ابن جيفر البحر العمانى ، فلا تزال سابحة فى البحر ليلها ونهارها ، تمخر عباب اليم عليها راية عمان البيضاء رمز الايمان والتقوى ، وشعار الرشد والهدى، فساحت تلك الأساطيل الضخمة حتى أحطت أشرعها

على الجزيرة ، ولا تسأل إذ ذاك عن فرح المسلمين ، وضيق المشركين لما رأوا ذئاب عمان وأسودها تنزل من تلك البواخر تنادى بالجهاد ، وتقتحم حدود البلاد ، بالأسياف الحداد ، فكم عين باكية ، وكم دمعة شاكية وكم طعنة نجلاء نافذة ، تزهق روح طعينها حتى تمزق المشركين ، واجتمع شذاذ المسلمين وعسكروا بها للاطمئنان ،وكبح جماح العدوان ، حتى جرت المياه فى مجاريها ، وثبتت قواعد الشريعة على مبانيها ، وارتفع صوت عمان على ربوعها •

قال العلامة أبو إسحاق : المراد بهؤلاء النصارى الحبشة ، والظاهر أن عهد الاستعمار البرتغالى للشرق لم يكن منذ ذلك العهد ، والعبارة تفيد أن هؤلاء حاولوا الاستيلاء علىالجزيرة من قبل ، ولكن لا قبل لهم بقوة الامامة ، أو كانوا هم من سكان الجزيرة ، فتعاهدوا مع الامام ثم نقضوا عهدهم ، قال : ولم يسبق لهذا هنا ذكر ولعله إغفال من المصنف ، يعنى الامام السالمى رحمه الله ، قال فقوله : خانت النصارى ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين ، مشعر بهذا • قال ذكر محمد على الزرقانى فى تاريخه المسمى عمان صحيفة ثمانين ،أن الحبشة تغلبت على سقطرى فى عهد الامام الصلت ، فأرسل أسطولا مؤلفا من مائة سفينة استعادت سقطرى ، وطردت الحبشة من الجزيرة •

قال ياقوت الحموى : وفيها أى سقطرى من جميع قبائل المهرة ، وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى ، قال : ويذكرون أن قوما من بلد الروم طرحهم بها كسرى ، ثم نزلت بهم قبائل من مهرة وتنصر معهم بعضهم الى أن قال : وسكنها قوم من المهرة وقوم من الشراة ، قال : وظهرت بها دعوة المسلمين ، ثم كثر بها الشراة فعدوا على من بها

من المسلمين ، وقتلوهم وأنت خبير أن اسم الشراة مخصوص بجيش عمان ، وكأنه يشير الى هذه القضايا ، فان الشراة قتلوا البغاة فى سقطرى وتولوا أمر البلاد ، فان دعوة المسلمين ظهرت فيها بأهل عمان ، لما استولى العمانيون على مهرة وحضرموت ونواحيها ، وسقطرى وما يليها ، وكأن النصارى المذكورين هم الأهالى الذين ذكرهم الحموى ، وأنهم من الروم وأكثر الروم نصارى ، فلعل القوم كانوا على عهد مع أئمة عمان ، ثم سولت لهم أنفسهم على أن يستبدوا بالبلاد لبعد الشقة العمانية ، وقيل كان بها قوم من اليونان ، وهم أيضا نصارى ، ولما احتلها العمانيون بقى النصارى على نصرانيتهم بالعهد ، فلذلك قال الامام : خانت النصارى ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين ، وهى جزيرة عظيمة وبها نخل كثير وفيها أمم ، فرجعت سقطرى تحت راية الشراة ، ونصر الله الامام وأيد الله أهل الحق على أهل الباطل ، وذلك فى عهد قيام دعوة أئمة عمان .

وكان الصلت بن مالك رحمه الله عاصر المتوكل على الله جعفر بن ابراهيم ، ثم الواثق بالله هارون بن جعفر المتوكل على الله ، ثم محمد المنتصر بالله ، ثم أحمد المستعين بالله بن محمد ، ثم أبى عبد الله محمد المعتز بالله ، ثم جعفر بن هارون الواثق بالله ، ثم جعفر المهتدى بالله ابن هارون ، ثم أبى القاسم أحمد المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله ، وفى عهد هذا توفى الامام الصلت ابن مالك ، فهؤلاء الملوك الذين ذكرناهم عاصرهم أئمة المسلمين بعمان ، ولم يكن بينهم وبين أهل عمان بشىء منذ عهد هارون الرشيد الذى هم بحرب عمان ، لما قتل العمانيون ابن عمه عيسى بن جعفر أيام جاء عمان مهددا بغزو عمان ، فكفى الله العمانيين شره ، وشر من بعده ، الى أن

قام المعتضد بالله ، وقام محمد بن بور والى البحرين على عمان ، كما سوف ترى ذلك إن شاء الله فى محله .

وطول مدة الامام الصلت فى الامامة لم يتحرك عليه أحد من الملوك ، وذلك توفيق من الله حتى تحرك عليه أقرب النـــاس اليه ، وهم قومه وأهل دينـــه ووطنه ، وكان بينهم مـــا كان ممـــا دونه العلماء وطال خطبه لديهم ، والأمر لله عز وجل يفعل مـــا يشاء ، ويحكم مـــا يريد ، فتبين أن شراة الامام الصلت بن مالك هم الذين احتلوا مدينة سقطرى ، ونشروا فيهـــا الاسلام ، وعلموا أهلها الحلال والحرام ، وأقاموا فيهـــا منـــار العدل ، وحسبنا إشارة ياقوت الحموى عنهم برهانا على ذلك ، فان التاريخ العمانى الموجود لم يفصل لنـــا شيئا عن هـــذه البلاد ، ولا عن النصارى المشـــار اليهم ، وتواريخ الافرنج لم تتحدث عن الشرق ، إلا فى حدود القرن السادس الهجرى ، وهو القرن الثانى عشر الميلادى ، والتاريخ العمانى قد ضاع أكثره وبقى كلمات مبعثرة هنا وهناك .

الإمــام الصلت بن مالك يتأثر بالسن

وتبنى عليــه الادعــاءات

لا ريب أنه مهمــا كان يؤثر فى الانســان كل آن ، مــا طال الزمان كان تأثيره على الانسان بغير نكران كما قيل :

أليس ورائى أن تراخــت مــنيتى
لزوم العصا تحنى عليهــا الأصابع

وهذا أمر طبيعى معقول لا ينكره أحد من الناس فيما علمناه :

إن الثمــانين وبلغتهــــا
قــد أحوجت سمعى الى ترجمــان

وهــذا من أدلة عجز الانســان ، وأن الكمال لله وحده ، فهــو الذى لا يعتريه النقص ولا تلم به الأحداث ، بلغ الامام الصلت من الكبر عتيا ، وإذ ذاك اتجهت الأذهان نحو الامامة فرأى فريق القيــام على الامام ليعتزل ، وان لم يعتزل يعزل ، وكــان هــذا الحال عند العمانيين من الصفات اللازمة لهم ، وكان المحذور ضياع دولة المسلمين أن يقع فيهــا خلل أو يطمع فيهــا أهل الأهواء أو يرى البغى بضعف الامام فرصة تخوله الأمانى للزعامة ، فيقع بذلك شق عصــا المسلمين ، وقد علم ممــا سبق قيامهم على الامام عبد الملك لمــا أسن رحمه الله ، قاموا يحاولون عزله ولا زالوا يؤنبون العلامة الجليل موسى بن على بقولهم هــذا الشاب لم

يعزل عنا الجبل ، وهكذا حتى وقع بين الامام عبد الملك وموسى بن على ما وقع ، مما فهمه الامام من نقاش الشيخ العلامة مختبرا حال الامام ، فرد عليه الامام بقوله : اذا أطعت أهل عمان فانهم يريدون كل يوم إماما ، وما أذنت لك فى مجيئك ولا استأذنتنى ونحو ذلك الكلام ، لكن الامام بقى فى إمامته لأن الوزير الخطير لم يرض أن يزيل الجبل ، ولما رأوا الامام الصلت بدأ به الضعف اهتموا بأمر الدولة ، وظلوا يدرسون الوضع الحالى ، وهم بين راغب لعزل المذكور بنشاط ، وبين معارض بنشاط ، وبين متوسط فى الأمر ، وكان الصلت واعى الذهن متقد البصير ، يهمه أمر الدين لا أقل من الثائرين عليه لعزله ، وكان واجبهم شد أزره والعون على مهماته ، فان أمر الدولة فى أيدى رجالها ، ما كان الصلت بن مالك إلا واحدا منهم ، وهيهات أن يعارضهم فى صلاح يقومون به فى الأمة ، لكن الآراء اختلفت والأنظار تباينت ، وبذر الشقاق .

رأى الصلت له طلائع كأنها رؤوس الشياطين ، فكان الرأى السديد ركوب أهون الأمرين ، وكان الصلت وافر العقل يرى الحقيقة من خلف الستار ، وعلم أنهم غير تاركيه لما يدرى من طبعهم ، وكان موسى ابن موسى بن على الزعيم المقدم فى أهل عمان احتراما لمقام أبيه العلامة المطاع ، فى الخاصة والعامة ، رأى موسى الثانى له فى الأمة ما لأبيه المرضى ، فقام محاولا تلك المنزلة فسار الى نزوى لهذه المهمة ، وتابعه من الناس الذين هم على رأيه عبيد الله بن سعيد بن مالك الفجحى ، والحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى ، وفهم بن وارث الكلبى من كلب اليحمد ، والوليد بن مخلد الكندى ومن شايعهم حتى نزلوا بفرق ثغر نزوى ، واشتهر خبرهم ، وبلغ الامام اجتماعهم ، هنا تحقق الامام عزيمة القوم ، ولعله رحمه الله لما رأى القوم مهتمين بأمر دينهم ،

وبشئون دولتهم سره ذلك ، فقيل إنه خرج من بيت الامامة قبل أن تصله دعوتهم ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سـنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وكان قد مضى له فى الامامة خمس وثلاثون سـنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يومـا .

قال الامام : ولمـا خرج الصلت بن مالك من بيت الامامة ، بلغ ذلك موسى بن موسى والذين معـه بفرق ، فبايعوا راشد بن النضر ذلك اليوم ، وهو يوم الخميس . قـال : وتفرق رأى المسلمين يومئذ ، وفسـدت أمورهم واختلفوا فيمـا بينهـم فى الرأى ، ووقعت الفتنـة ، وذلك فـان قوما كرهوا امامة راشـد بن النضر ، ولعلهم لا يرونـه أهـلا للامامة ، وبعضهم كرهوا نهـوض موسى بن موسى ويرونـه استبدادا بالأمر ، وامتنع من بيعـة راشـد عمر بن محمد الضبى ، وموسى بن محمد عـلى ، ولعـله ابن أخى موسى ابن عـلى ، وعزان بن الهزبر ، وزعر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم ، وشاذان بن الامام الصلت بن مالك ، ومحمد بن عمر بن الأخنس ، وغدانة ابن محمد ، وأبو المؤثر الصلت ابن خميس ، هؤلاء العلمـاء الجهابذة الأجلاء قادة الأمة وهداتها . قال لم يزالوا مستمسكين بامامة الصلت بن مالك الى أن مات رحمه الله . قلت : من المشاكل العويصة حيث ان الامام تخلى من الإمامة واعتزل الى بيتـه الخاص به مسلما للأمر ، ويبقى هؤلاء الأشياخ الأجلاء متمسكين بامامته ويعتبرونه إماما ، وليس فى يده من الأمر شىء حسبى الله أنا أجهـل تحقيق المقـام على هـذا الأصل ، قال : وبلغ الخبر بموت الامام الصلت إذ مات رحمـه الله ليلة الجمعة بالنصف من ذى القعدة سـنة ٢٧٥ ، ودفن يوم الجمعة ، وكان صلى عليه عزان بن تميم ، فلمـا علم القاضى

عمر بن محمد خرج الى نزوى فتكلم قائلا : اليوم مات إمامكم فتمسكوا بدينكم ، أى كأنه يراه باقيا على إمامته ، ولا يرى إمامة راشد بن النضر . قال : وحدث يعقوب بن غيلان عن الفضل بن الحوارى أنه دخل نزوى أيام راشد بن النضر ، فاذا هم على سبع فوق (إنا لله وإنا اليه راجعون) ، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

ولا شك أن بذر الشقاق قد وقع ، ولابد أن يثمر الافتراق والنظر فى العواقب ، يجب قبل الدخول فى الأمر وإلا كان فيه الدمار ، وكان ذلك رأى العين حتى آل أمر أهل عمان على التلاشى ، إذ طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، فعوقبوا بشر ما اكتسبوا كما سترى أيها القارىء من ذلك العجب ، فان أهل العلم بعضهم يعذر موسى وراشدا ويلتمس لهم المسوغ والمبرر ، ويحملهم على أحسن الأحوال عنده ، وبعضهم يباين المذكورين ويتأول فيهم التأويل الذى يطبق عليهم القضايا السيئة ، وبعضهم أشكل عليه الأمر ويقول كيف اعتزل الصلت قبل قيام الحجة ، ويعلم ما عندهم ويجمع المسلمين له ويعتذر اليهم ، ويتخلى من الأمر بين أيدهم ، وكيف يقوم القوم لعزل إمام ثبتت إمامته بالاجماع ، ولم يقترف حدثا ؟ وهكذا صار النقد والانتقاد والاعتراض بين هؤلاء الأطراد ، والحقيقة من التمس عورات أخيه وجدها ، فان كل انسان له زلات وسيئات ومشكلات يعلمها فريق ويجهلها آخر ، وهكذا من يحمل أخاه على أحسن الأحوال يسلم من معرة القيل والقال إن لم ير كفرا بواحا أو هوى متبعا أو إعجابا برأى ضال ، وقد نهى الله ورسوله المؤمنين الافتراق والتنازع ، ولكن اذا أراد الله أمرا كان ، ولا ينفع فيه نصح ناصح ، ولا يؤثر فيه عقل عاقل ، واذا جاء القدر عمى السمع والبصر .

فالفريق الداعى الى عزل الصلت بن مالك يقول : ان الصلت صار الى حد الضعف والزمانة العجز عن القيام بالامامة ، وخاف المسلمون ذهاب دولتهم وزوال نعمتهم ، وكان موسى بن موسى فى وقتــه هو شيخ المسلمين وامام أهل الدين، فلمــا صاروا بفرق مكثوا بهــا ، وقد اجتمع بموسى أخلاؤه وساروا لينظر المسلمون فيمــا فيه عز الدين ، ولمــا قروا بفرق بقيت الرسل فيمــا بينهم والامام ، فقال الامام : ما يطلبون ؟ فقالوا قد صرت الى حد الضعف ، ويخافون ذهاب الدولة ، ويسألونك أن تعتزل حتى يقوم رجل يحيى به الله هــذا الدين ، أو نحو هــذا الكلام ، قال : انظر فى ذلك ، فبقوا أياما ينتظرون رأيه ثم عزم على الاعتزال وحول مــا فى منزله الى المنزل الذى تحول فيــه ، وأرسل اليهم أنى قد اعتزلت ، فينظر المسلمون • قال : وممن أرسل اليهم الحسن بن سعيد وحضر قوله هذا الحسن من شاء الله من الشراة ، وشهدوا أنه أرسل الحسن بحضرتنــا غير مجبور ولا مقهور ، ثم برز الى الناس وودعهم وداع تارك للأمر معتزل بنفســه : عمــا كان فيه من الأمر ، وأمرهم بحفظ العسكر الى أن يصــل القــوم •

قــال : من قال الى ان يجىء موسى ، وقال من قال : الى أن يجىء إمامكم ، وكان عنــه فى العسكر خلق كثير ، قال فناظره من ناظره قائلين له تترك إمامتك فزعق بهم على مــا بلغنــا ، ولم يلتفت اليهم ، فعنــد ذلك انفلت من شاء الله من الناس الذين كانوا معــه الى موسى بفرق ، وجاء الى موسى رسوله ، وكتــاب عزان بخطــه يستحثهم بالتعجيل الى العسكر ، وكان أمره وأمرهم الى المسالمة ، وعاش بجوارهم الى أن مات رحمــه الله ورضى عنه ، عاش خادما للمسلمين ، ومات وهم عنــه

راضون ، وشهد أيضـا ببراءته من الأمر الحسن بن سعيد المذكور ، ومحمد بن القاسم ابن مسبح •

وقال فى موضع آخر صحيفة ٢٠٠ : فأمـا الصلت فانه ضعيف وصار الى حد العجز عن حمايته وعزل نفسـه ، وتبرأ الى المسلمين من إمامته ، وكان اعتزاله شاهرا ظاهرا ووضحت براءته من الامامة بالبينة العادلة عندما • قال : فلما اعتزل ولى المسلمون راشد بن النضر ، وبعث الصلت ابن مالك اليه بخاتم الامامة ، ومفاتيح الخزانة ، ولم يعارضـه فى شىء قلت : وهـذا يدل أنه كانت لهم فى الامامة اعمـال خاصة كالخاتم والكمة والسيف ، فكأنهـا خاصة بالامامة ، ولم ندر مـا صفة هـذا الخاتم وما وظيفته ، وكذلك الكمة ، ولم ندر ممـا هى • قال : وعاش الامـام الصلت فى جوار الامام الجديد قريبـا من سنة الى أن مات • قال : وليس يذهب عليكم مـا كان له من أعوان ، ومن الاجابة والقدرة من أهـل عمان ، لو كان مقهورا أو أراد القتال • قلت : إذا كان بهـذه المنزلة فكيف يقال انه عاجز وضعيف ، أمـا إذا كان لو أراد القتـال استطاعه وأن له على ذلك أعوانا يجيبون دعوته ، فليس بعاجز ، لأن الامام من أصله لا يباشر الحروب بنفسـه إلا شذوذا ، أمـا قتل الامام الجلندى ، فلأن الجيش كله فنى حتى بقى هو والقاضى ، وهو دليل أنه لا يباشر القتال ، وإنمـا كان الجلندى باشر القتال ، إذ بقى فريدا مع القاضى ، وفضـل رحمه الله الموت مع إخوانه فى رضى لله عز وجل ، قال الذى يتحدث الامام السالمى عن الذى يتحدث عنـه فى تحفته ، وعندنا أن موسى كان يريد عز الدين أى وان لم يوفق فالتوفيق شىء آخر ، وصلاح المسلمين الذى أراده موسى ليته كان على غير هـذا الوجه •

قال : والذى عرفناه من رأيه وعزمه فى آخر عمره أنــه كان يريد اجتماع المسلمين مع أهل العلم فى الدين والرأى الموثوق بهم حتى ينظروا فى أمر الصلت بن مالك ، وراشد بن النضر ، وعزان بن تميم ، فحيث كان الحق تبعه وإنه راجع الى الحق فى ذلك والى رأى المسلمين . قال : وكان موسى قد كتب الى من كتب اليه من المسلمين من أهل سلوت فى آخر أيامه قلت : هذا يدل أن موسى بن موسى ندم على مــا صار ، وأراد الرجوع الى المسلمين والتسليم إليهم ، وعدم الاختصاص عنهم ، وقال فى موضــع آخر ، وكتب أى الصلت الى عزان بن تميم بخطه يذكر اعتزاله ويستحثنا على التعجيل ، فلمــا صح عندى أنه برىء واعتزل اتفق المسلمون هنالك على مــا كانوا اتفقوا عليه ، فهــذا أمر الصلت بن مالك وليس عندى فيــه شك أو ريب .

قال وفى كتاب عن الفضل بن الحوارى قال فى الصلت بن مالك : إن الناس فيه فرق : فريق قال اعتزل ، وفريق قال عُزِل وفريق قال استحق العزل ، وفريق قال لم يستحق العزل . قال : والظاهر الشــاهد أنه قد اعتزل لأنه ترك العسكر وتخلى عن المسلمين وعن بيت مــا لهم وسلاحهم ، وترك سجنين مخوفين قال : وركب بعيرا وخرج حتى نزل دار ابنــه من غير ألا يلقى من القوم حجة مــا يريدون أو نصيحة أو عزلا أو دعاء الى توبة ، وقال لمن بقى فى العسكر : احفظوا عسكركم حتى يأتيكم امامكم ، وقال قوم : أتانا كتاب ممن تخلف على العسكر أن يعجلوا الى العسكر ، والمراد بهم جيش نزوى خاصة . قال الامام : قد اعتزل فقــدم القوم اماما وساروا حتى نزلوا العسكر ، وقدم امام مكانه ، وبعث اليهم بالخاتم والكلمة وآلة الامامة ، وكأنهــا أشياء تختص بشعار الامامة ،

قال ولم يقل لهم بينى وبينكم الحق ، فانى لم أعتزل • قال فأى اعتزال أبين من هــذا من غير أن يرى حربا ولا اختراط سيف ولا هدا بمعصــا ولا رميــا بحجر ،فان قالوا اعتزل تقية خاف على نفســه ، فأئمة العدل القاطعة للشرى لا تسعها التقيــة ، وعليهــا الجهاد حتى تقتل أو تقل ، كمــا قال الله تعالى • فان قالوا كمــا قلنــا قد صار الى حد ضعفــه وعجز عن الامامة وجاز له الاعتزال ، ولو أنه خرج هاربا فلحق بالرستاق أو بالجبل وترك دولة المسلمين ، وقال لم أعتزل أو خرج الى جلفار وأبعد وحده وتخلى عن الأمر ، ثم قال : لم أتبرأ كان على المسلمين أن يدعوا دولتهم ويضيعوها أو يقوموا بهــا ، مع أنهــا حجة ضعيفة داحضة ، واعتزاله كان شاهرا ظاهرا ، فهو إذا تحول من موضع ولم يكن له إلا أن يعرج بعسكره وخيله ورجاله ، وبيت ماله ويدعو القوم الى الحق ، ويكون اعتزاله الى موضع يرجو فيــه الأصلح للمحاربة والاعتذار الى آخر ما أطال فيه •

فهذه دعوى موسى بن موسى ، وراشد بن انضر ، وهى محتملة للحق والباطل ، ومــا تعودوا الكذب ومــا يستحلونه ، وترك إنكار الصلت على موسى وراشد يسوغ لهم احتمال الصحة لمــا ادعوه عليه ، لأن ترك النكير ممن له النكير حجة ، فلو باع رجل مال رجل وهــو فى المجلس لا يغير ولا ينكر ، وهو حر بالغ عاقل قادر على الإنكــار غير خائف ولا متق ثبت البيع عليــه ، ولا يقال للبائع انه تعــدى على غيره ، أو أنه ظلمه أو غصــبه ، فظهر من ذلك احتمال صحة مــا ادعاه هؤلاء •

قال الامام السالمى رحمه الله : وأما دعوى المتبرئين ، أى من موسى ابن موسى وراشد بن النضر وأعمالهم •

قال أبو قحطان : نشأ فى الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع يظهرون حب الدين ، ويبطنون حب الدنيا ، ويأكلون الدنيا بالدين ، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ، ملوه لما كبر وضعف ، وإنما كان ضعفه من قبل الرجلين ، وأما السمع والبصر والعقل واللسان فلم نعلم أنه ضاع منه شيء ، قال : فلما ذهب أعلام المسلمين وفقهاؤهم وأهل الورع ومن يطلب الآخرة ، وبلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يختبر أهل عمان كما اختبر من قبلهم ليعلم المطيع من العاصى ، وقد علمهم من قبل أن يخلقهم ، ابتلى الله أهل عمان برئيس وعلماء من علمائهم ، كما ابتلى غيرهم ، فلما اختبرهم قل بصرهم وزالت عقولهم ، وحاروا عن الحق ، وخالفوا سيرة المسلمين إلا قليلا ، أنقذهم الله . قال : فخرج موسى بن موسى من أهل بيت علم وورع أى والده موسى بن على وحده على ابن عزرة ، وكانوا أعيان قومهم وعيون أمتهم ، وأراد أبو قحطان بالرئيس المشار اليه موسى بن موسى المذكور . قال : فقام موسى بن موسى فى أهل عمان يتكلم بلسان فصيح ، ويهتف ويصيح فى مجلسه ، وفى المجامع أى يتكلم بكلام فى الدولة وأعمالها ، ولعله رأى أشياء ، لا تنبغى ، وما من دولة على عهد الدنيا إلا وهكذا حالها ، كما فهمنا ذلك من سير المتقدمين وتواريخ الأقدمين ، والمعول على الحق ، وله أصول وفروع لا تزال معروفة ، وكل شيء ليس عليه أمرنا فهو رد .

قال أبو قحطان : ومرة يطعن فى الامام والقاضى ، أى موسى بن موسى قال : ومرة يطعن فى الولاة والقضاة والشراة ، ومرة يطعن فى غيرهم ممن يقوم بأمر الدولة ولا يوضح على الامام حدثا أحدثه ، ولا على

أحد من أصحابه ، ولا يسم للامام بمفكرة ولا يبين مـا يدعو إليـه إلا أنه يظهر أنه ناصح للدولة وأهلهـا ، ويصـل الى الامام ويتكلم بما لو كان غير الصلت بن مالك لحبسـه فى السجن أو يوضـح على مـا يقول برهانا ، أويمسك لسـانه عن شتم أهل الدولة ، ولكن الصلت كان رفيقـا بأمته ، أى يرى لموسى بن موسى مقاما محترما عند الناس ولا يحب أن يكدر صـفوه ، ويحتمل فى نفسـه احتسابا لله ، ولا تخلو دولة من هنات ، وليت موسى إذ يرى خللا على الدولة يصلحه من حيث يعلم الامام ، ومن حيث لا يعلم ، أو يقـوم على الامام باخوانه المسلمين وينتقـد على الامام ويسمع هل للإمام جواب معقول أو مقـال مقبول ، أو عذر صحيح شرعا يسوغ له ذلك •

قال أبو قحطان : وكان يجله لموضع والده موسى بن على رحمـه الله ، قال ولم يكن يأمل فيـه هدم الدولة • قلت : ومن رأت لنفسـه مـا ليس لهـا هكذا تقول له نفسـه ، فان المسلمين كانوا يجلون موسى بن على لصـلاحه ، ويحترمونه لفضله لا لتعاظمه عليهم ، وللقدح فى أعمالهم ويرى أنه احق بذلك منهم ، وليقـل فى نفسـه ابتلينا بعد ذهاب علمائنا وأخيارنا ، وعلينـا أن نسدد ونصلح ويشد بعضـنا عضد بعض حتى يوفق الله الأمة لمـا فيه صلاح دينهـا ، لا أن يتكلم مطلق اللسـان بغير مبالات فى المجالس ، كمـا يذكرون عن هـذا الشيخ الرئيس أصلح الله شئون الرؤساء •

قال أبو قحطان : ولم يكن يأمـل أى فى موسى بن موسى هـدم الدولة ، لأنه كان يظهر أنه يسعى فى عزها وعز أهلهـا ، وإذا هو يسـعى فى هدمهـا وفسادها للذى سبق فى علم الله عز وجل ، قلت : لعـل ذلك

اجتهاده ومـا كل مجتهد موفق ، قال : فلم تزل الأيام ترى به ومجالسه تغلظ وهـو يوشب ، أى يكبر على الدولة ، ويسـعى فى هدمهـا وهدم عزهـا ، ويظهر أنه يريد إعزازهـا حتى انتهيت به الأيام أن مجع الأعراب والطعام من النـاس ، ومن يسرع الى الفتنـة ، قال : فتبعـه الناس على منـازل مختلفة من رجل قد أغضبته أحكام المسلمين ، وأوعز بـه فهو يطلب عزتهم ، وآخر قد حسـد من له فى الدولة درجة رفعية يطمع أن ينـال مثلها ، وآخر يتعبد بغير بصر فيظن أنه محق ، وأنه يطلب حقا ولا يدرى أنه افتتن ، قال : فجمع بن موسى النـاس وسار بهم الى فرق ، فوقعت الفتنـة فى أهل عمان ، قال وكان موسى أشد فتنـة على الناس ، فانهم قالوا : إن وشل فرق قد تحول بدعائه عذباً وذلك بعد مـا وصل موسى فرق ، ودعا الله أن يجعله عذبا ، قال وحتى قيل لو استنبىء بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاستنبىء موسى، قال ولا يمكننا أن نذكر كل مـا قيل فيه ، قال فلمـا وصل موسى فرق يطلب عزل الصلت لا يذكر غيره اعتزل الصلت من العسكر الى بيت ولده شاذان ، واستخلف فى العسكر من استخلف ، قال : والذىذكر لنـا عنه أنه قال : إنمـا اعتزل الصلت خوف أن يقع سفك دم بلا حجة ، وأنه لم يحضر من يحتج به قال : وفى كتاب الصلت الى الجهوربن سنجة يخبره كيف كان اعتزاله .

قال : وذكرت الذى كان فى قضـاء الله وقدره من سير هـذا الرجل موسى بن موسى ، ومن كان معه ، وقصدهم فى ذلك لمـا أراد الله حتى اعتزلت من الموضـع ، وبلغك من نهب أموال بيت المـال وجعلوه دولا ، وكل مـا وضعت من ذلك فقـد فهمته عنك إن شاء الله ، واعلم يا أخى أن هـذه الدولة كان لهـا رجال لهم حلوم راجحة عالة ، وقلوب سليمة كانوا على أمر واحد يطأ الأخر أثر الأول ، وقد كانت بينهم الأعتاب ،

فلم يبلغ بهم الأمر الى مثل هـذه الغاية ، فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم ، ثم خفنا نحن وانتم من بعدهم ، وبليت بهذا الأمر من غير محبـة منى فيـه ، ولا طلب له إلا أن طلب ذلك من طلب الى من أفاضل المسلمين وأهـل الفقه فى الدين ، ورغبت فى طلب الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة الحق ورجوت نصرة المسلمين على ذلك ، فكان يومئذ من قد عرفت من أشياخ المسلمين فقمت بهـذا الأمر مـا شاء الله والمسلمون لى أعوان ، ونحن وهم على أمر جامع الى أن ذهب أهل الفضـل ، ومن يحب الحق وأهل العدل ، ونشـأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم فى الدنيـا ، وطلبوا الرئاسة فيهـا ، وكان موسى هـذا يصل إلينـا يقول : إنه يأتى ينصح ويكاتب الناس ، ويؤلب على الدولة ، ومرة يظهر الشتم لأهل الدولة ، ومرة يطلب خلاف ذلك ، فلم تزل الأيام ترقى به وهو يدعو النـاس إنمـا يطلب لهم الصـلاح وإظهار الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويطلب إلينـا مطالب لا أراهـا ولا أعرفهـا من الحق ، ولا مقاربة لذلكوأنا أدعوه الى كتـاب الله وسنة نبيه وآثار أئمـة الهدى وخيار المسلمين ، ولمـا يجتمع اليه رأى المسلمين فيقول ويرسل الى ألا أنظر الى قول فلان ولا أرضى إلا أن تنزل الى قولى ، ورأى عدله فلم أر ذلك من الحق ، ثم ، حشـد وسار الينـا بمن أجابه ، وكتب الى من شاء الله من المسلمين ، حضر من حضر ، وزحف القوم إلينا وتقارب بعضهم من بعض ، فأمرت الشراة ومن كان على هـذا الفىء بالشخوص ، وضـع العسكر ، وأن يجاهدوا على الدولـة فكرهوا ، فأمرتهم بالتقدم فتأخروا ولم يصلوا ، فكتبت الى عمر بن محمد القاضى بالخروج الى ولم يخرج ، وخرجت اليه ولم يخرج ، وصرت أنا فى حد من عرفت من الضعف ، وخفت أن يصـل القوم ويدخلوا العسكر

وتلقاهم الرجال فيقع الحرب بينهم ، وسفك الدم وأنا فى البيت بلا حجة ولا أمر يكون فى إظهار الأمر ، فخفت سفك دماء الناس ، فرأيت أن تحولت الى بيت ولدى بلا ترك للامامة ولا بخلع لها ، ولا طوقنى الله من هذه الأمانة ، فأمرت بحفظ مال المسلمين وحفظ السجنين ، وأمرت عزان بن تميم بالقيام فى ذلك ، فلما بلغ ذلك دخلوا وزعم موسى أنه عقد للامام برأيه وكسروا بيت المال ونهبوه وأذهبوه ، وأطمعوا فى هذه الدولة عدوها وفعلوا ما لم يرض الله به وما اختلعت وما تبرأت .

قال : هذا ما أخذنا من كتاب الصلت بن مالك أكتب لكم الكتاب كله لطول الكلام . قال : ولما اعتزل الصلت بن مالك اغتنم الفرصة موسى ابن موسى ، وعقد لراشد اماما قبل أن يدخل نزوى ، ويسأل الصلت عن اعتزاله ويحتج عليه فيه أعن خوف اعتزل أو عن ضعف عن القيام بحق ما طوقه الله أو امتناع يحدث لزمه منه الحق ؟ إن كان موسى يدعى عليه ذلك ولا سأله حجة ، ولا عرض عليه التوبة ولا سمى له مفكرة ، ولكنه عقد على راشد إماما على أهل عمان بالغلبة والجبرية ، وقعد قاضيا له طلبا للملك والدنيا ، فوطىء موسى وراشد ومن اتبعهما إثر الصلت بن مالك ، وولوا ولاته وأنفذوا أحكامه ، كأنه ميت ولا نعرف هذا من سير المسلمين ، قال : فان كان الصلت بن مالك محقا فقد كفروا ببغيهم ، قال فلما استقر الأمر لراشد وموسى لبثا فى ملكهما ما شاء الله ، وهما وليان لبعضهما بعض ، راشد امام وموسى قاض له ، يدعو له بالامامة والنصرة على عدوه ، وكان فى قرب ولاية راشد خرج عليهما نصر بن منهال وفهم بن وارث أبو خالد ومصعب ، وخالد بن سعوة وناس كثير وكان فهم وأبو خالد ومصعب ممن خرج على الصلت

ابن مالك وحضرا بيعـــة راشد وبايعهم فخرجوا عليـــه بعد ذلك ، وأرسل إليهم الجيوش ، وكان موسى وليـــه وذلك يدعو له بالنصر ، أي يطلب له من يناصره على الخارجين عليه ، قال فلم يزل موسى مع راشد حتى بلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يبـــدى من عورتـــه ويهتك من ستره ، فخرج على راشد من بعد مـــا قدمه واختاره .

إمامة راشـد بن النضر اليحمدى

كان راشد بن النضر وموسى بن موسى ضدين للصلت بن مالك ، وكانا يريانه فى أعينهما قذى يحاولان إزالته ليفتحا عينيهما فى عمان ، ويتوليا الأمر عنه نظرا الى أن الصلت عاد عاجزا لا يقدر على دفعهما ، ويرى موسى أنه الرجل الوحيد مالا ورجالا وشرفا وأنه ابن العـلامة المحبوب المؤيد ، وأن الصلت لا يصلح وأنهمـا أعرف بالأصلح وتخيلا فى أنفسهما خيالات غرتهما ، وكانا مغرمين بحب الرئاسة والترفع على المسلمين ، وتآمرا على الصلت بن مالك ، وهو على مـا يظهر رجل حليم تقى رضى محق فى أموره سائر فى الأمة سيرة من تقدمه من الأئمـة وقورا لا يهزه النزق يخشى الله أن يسأله يوم القيامة فيعجز عن الجواب ، فانه لمـا تحقق ضعفه الجسمى ورأى الخلل فى جنده ، والملل فى أنصاره ، وخلو الزمان من أهل الحق المناصرين له والقائمين بأمره ، ورأى تقحم موسى بن موسى على الأمر ، ورأى السواد الأعظم معـه وهم عادة يكونون كذلك ، ودعـا قومه للخروج الى قتال القوم فلم يجد آذانا صاغية ، والتمس من الذين يأمل فيهم القيام والمناصرة فلم يفعلوا شيئا ، وأمر على الباقين من الشراة ورآهم يتعللون بمعاريض الكلام ، تيقن ضياع الأمور من يديه ، وموسى وراشد قد عسكرا فى فرق ، والأمة تنساق إليهمـا زرافات ووجدانا ، رأى نفسه هنـا مضاعا متروكا على غير جرم ولا سبب ، ولا احتج عليه أحد ولا ناظره أحد ، ولا خاطبه أحد إلا أن جانبه يسرى فيـه الضعف وجانب خصمه يسرى اليه النشـاط ، ولا شك أن الحال قاض بسقوط الأمر من يديه الى خصمه ، فقـال مـا يريدون فقيل خلعك عن الامامة ، فعند ذلك خرج من بيت الامامة تاركـا للأمر عالما بأنه غير مراد ، وحب

الجديد وترك القديم أمر تقضى به العادة البشرية ، ولعلهم يجدون عند الإمامة الجديدة خير لهم من الحال الذى هم عليه ، ومن طبع الناس الميل إلى الجديد ألا تراهم إذا جاءهم غازيا انقلبوا اليه على من كانوا معــه انقلاب الحية لتتمكن من اللسع ، فالصلت بن مالك تحقق الرغبة فى غيره والترك له ، فماذا يفعل ، فكان خروجه وهو إمام باق على إمامته لكنه مخذول بغير موجب ، فلما استقر عند خصومه خروجه عقدوا إمامتهم لراشد ، ورأوها فرصة سانحة واغتنموا الأمر غير منافسين فيه ، فكان عقد الإمامة لراشد على هذا الأساس وإنه لداع إلى التلاشى والاختلاف ، وكأن موسى بن موسى غير بصير بسياسة الأمور ، وإنما إعتمد على مــا رأى له من مقام فى الناس ، ومنزله عند الرؤساء ، فصال لذلك على الأمر من غير رؤية ، وهذا الحال هو الذى سيكون وبالا على موسى وراشد ، قال الإمام رحمه الله فى راشد وهو من اليحمد من الفجح وهو إمام موسى بن موسى ، وفى نفس هــذه العبارة ما يفهمه الأذكياء فإنه لم يقبل إمام المسلمين ، وإنما سماه إمام موسى بن موسى ، قال : بايعه هو ومن معه بفرق لما بلغهم أن الصلت بن مالك خرج من بيت الإمامة ، فزادهم ذلك قوة ونشاطا فى صددهم وذلك يدم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ٢٧٢ اثنين وسبعين ومائتين .

قال : وكره قوم إمامته منهم عمر بن محمد القاضى ، قلت : هــذا القاضى هو الذى دعا به الامام الصلت ليناظره فى الأمر فلم يجبه ، ثم سار إليه الإمام بنفسه إلى منزله فلم يخرج له ، قال وموسى بن محمد بن على ابن عم موسى المذكور ، وعــزان بن الهزبر ، وأزهــر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم وشاذان بن الإمام الصلت ، ومحمد بن عمر بن الأخنس وغدانة بن محمد وأبو المؤثر وغيرهم من لم يسم لنا ، ولم

يزالوا متمسكين بإمامة الصلت بن مالك الى أن مات . قلت : ما معنى تمسكهم بإمامة الصلت ، والصلت قد خرج من الأمور راغما ، وأصبح فى بيت ابنه وهم يدعون أنهم متمسكون بإمامة الصلت ، وقد تخلى من الأمر فما بالهم لم يقوموا مع الصلت ويقولوا له أنت صحيح الإمامة ، ولا يسعك الترك لها ، ونحن معك فما معنى هذا التمسك هل تعين عجزهم فيكون لهم عذراً ، هل قاموا بالصلت على عدوه هل آزروه ؟ هل غلبوها على الأمر ؟ هل تبقى إمامة مع العجز ؟

إنى أخالك بعد الموت تندبنى   وفى حياتى ما زودتنى زادا

لما قام موسى بن موسى وراشد بن النضر على الإمام ونزلوا فى فرق فأين هؤلاء الذين كرهوا امامة راشد ، وتمسكوا بإمامة الصلت بن مالك ، وهم أجل من موسى شأناً ، وأوسع علما وأسبق عملا ، وأولى بالأمر ، أيكفى يكرهون إمامة راشد وبيعة موسى بن موسى ، وهم قعود فى بيوتهم والحق يرغم ويداس .

قال أبو المؤثر : الصلت بن خميس أرسل موسى الى راشد بن النضر ، فبايعه على غير مشورة من المسلمين ، وما حضره يومئذ أحد ممن يثق هو به لفتيا مسألة إلا ما شاء الله . قلت : إما أن تكون صحيحة فليس لهم أن يكرهوا الصحيح فى دين الله ، وإما أن تكون غير صحيحة ، وليس لهم السكوت عن ذلك إلا أن تكون تقية ، قال وكان فيما بلغنا بعضهم كارهاً لفعله مشيراً إليه بغير ما فعل ، ولكن غلبتهم الكثرة أى هالهم أمر موسى فخافوا . قلت : لهم أن يخافوا فى بيوتهم ولا عبرة بالكثرة فإن مثل هذا الحال لا يكفى فيه الاختفاء فى البيوت ، إذ هو أمر جامع فعليهم أن يقوموا حتى يتعين عجزهم ، فيكون لهم عذرا عند المسلمين ، قال

وكان ساعد موسى فيما بلغنا فهم بن وارث وعبد الله بن سعيد ، وهما غير أمينين ولا رشيدين • قلت : لما كانا كذلك كان الخروج عليهما من اللزوم بمكان إذ غير الأمين وغير الرشيد ليسا من الحق فى شىء ، قال فلما استوليا على الأمر ودخل داخل على راشد ، فقال راشد : انصحونى فإنى أقبل النصيحة ، فظن أنه عند قوله • فقال الناصح : أرسل إلى نفر من المسلمين فقل لهم إنكم لم تشهدوا هذا الأمر ، وهما خيار أهل بلدهم معهم شىء من علم وفقه ، فقال له : أرسل إليهم ، فإذا اجتمعوا عندك فقل لهم إنى قــد دخلت فى هذا الأمــر ، فإن كنت مصــيباً فأعينونى وآزرونى ، وإن كنت مخطئاً فتوبونى ، فقال له اكتب هذا الكلام ، أى قال ذلك راشد للناصح الذى نصحه اكتب ما قلت لى فكتبه له كما أراد ، فلما اطلع موسى على النصيحة المشار إليها ردها موسى ولم يرض رأى المسلمين ، أى لم يرض موسى ما قاله الناصح فيكون المسلمون شركاءه فى الرأى ، قال فلما رد موسى النصيحة قال لهم قائل : إن الإمامة لا تقوم إلا بمشاورة المسلمين ولا تقوم بمشاورة أهل الإحن ولا بأهل المعصية ، ولا سفك الدم ولا بأهل الأطماع • قال : فغضب موسى على أهل العلم واستخفهم ، قــال : ثم من أتى قبلهــم الى الذى أهدى اليه نصيحته جند من جنود الشيطان ، فأخــافوه وأرعبوه ، أى أخافوا الذى أدلى بالنصح لراشد بن النضر ، وكان بنفسه قال : انصحونى فإنى أقبل النصح •

قال : ودخلوا منزله فكف الله شرهم وبأسهم ، ثم انه أتى الى راشد فما استتاباه من ذنب ولا لزمته عندهم عقوبة الا أن قالا له بايع • فقال لراشد : أبايعك على كذا وكذا بشروط لله على الأئمة ، لــم يكن موسى يبصرها ولا يعلمها ، فأبى راشد أن يبايع على ذلك ، وقبض كل واحد يده

منهما على غير بيعة ، فقال جلساء السوء : بايعه على الجملة • فقال الرجل : لا لكل زمان حكم ولا أبايعه إلا على التفسير ، قال : وهم يعلمون تفسيرا ولا جملة لو سئلوا عن ذلك لم يهتدوا • قال : إن الرجل قال لموسى بعثتم الينا من جنودكم من أخافنا وأرغبنا ، فقال : إنا لم نبعث أولئك ، قال ثم وقعت رمية فى الدار التى سكنها راشد ، فقالوا كسرت جرة من صبى كان يرمى سدرة أو يرمى طائراً ، قال : فاتهموا بتلك الرمية ابنى محمد بن الصلت ، والصلت بن مالك أيضا على غير سبب فيما بلغنا ، قال وقد قيل : إن غيرهما الذى رمى ولا نبرئهما ولا نحقق عليهما ، قال : فعظم شأن تلك الرمية ، فأمر الناس فأحرقوا بعمهما شاذان بن الصلت ، قال : وقد بلغنا عن الثقة وصح معنا أنه كأن بعض من هو من حزب الصلت يقول لموسى : نحن نأتيك بالغلامين أى ابنى محمد بن الصلت ، فكفوا عنا هذه البعوث ، ولم يلتفت موسى إلى ذلك •

قال : وقد بلغنا أن عزان بن تميم كان يقول • يا قوم نحن نأتيكم بهما فلم يلتقوا الى ذلك حتى أحرقوا بهم ، وما حارب المسلمون عدوهم من أهل القبلة بالنار قط ، قلت هذا من غرائب الأعمال أن صبيا رمى بحصاة كسر بها جرة يحرق بالنار ، وهو مسلم أو ولد مسلم أقل إن لم نقل ، ولد الإمام الصلت ، فقبل كل شيء أين المروءة ؟ وإذا عدمت فأين حكم الله عز وجل الذى أنزله على رسوله عليه الصلاة والسلام ؟ ألا يسع ابنى الصلت بن مالك الصبيين الذين لم تجر عليهما الأحكام بعد ،

وإذا جرت فأين الحكم اللازم فى القضية ، أيعامل المسلم بهذا وليس من الحق فى شىء ما بالنا نفعل ذلك ونحن نروم امامة شرعية تخالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أمته فهذه الأعمال بحسب ظاهرها فرعونية نعوذ بالله منهـا .

ليست الإمامة منها فى شىء ولا سمعنا عن أحد من أهل الإسلام تكون أعماله كذلك .

الأعمال المشتركة بين موسى وراشد فى عمان

أعلم أن راشد بن النضر وموسى بن موسى كانت أعمالهما فى عمان فى حال اشتراكهما فى الأمر من حيث إن راشداً له اسم الإمامة ، ولموسى معناها ، كان كل ما يفعلانه فى عمان مشتركاً بينهما ، ومن ذلك ما كان فى ابنى محمد ابن الصلت المقدم ذكرهما ، فإن راشداً وموسى كلاهما يعد كل واحد يؤيد الثانى ، وكذلك ما وقع على ناصح راشد بن النضر حتى ناله بسبب ذلك النصح ما ناله ، ثم إن موسى جعل يستكتب كاتب الصلت ، أى اتخذه كاتبا كما كان فى عهد الصلت ، وهو كان يعيب الصلت ويعيب تلك الدولة ، وهذا منها ولم يعلم أنه استتابهم فكيف نعيبهم أمس ، وقد رام قلع تلك الشجرة من أصلها ، واليوم يتعلق بأغصانها ويستظل بظلها ، وكان يعيب نفس الكاتب ، ثم أجاز شهادته بعد فى ثلاثمائة نخلة جعلها أحد الناس صداق امرأته ، شهد لها بها ذلك الكاتب بعينه ، وحكم بشهادته موسى فى نفس الدعوى ، فتراه يقبله شاهداً فى هذه الدعوى ، وهو بالأمس لما مع الصلت ابن مالك فأما أن يكون ذلك العيب حقا فلا يحل له قبول شهادته حتى تصح توبته ، ولم يذكر أنه استتابه ، وإن كان ذلك العيب باطلا فيلزم أن يتوب منه موسى بن موسى ومن تابعه فيه ، هذا سبيل الحق عند المسلمين ، قالوا واستعانوا بسعيد بن محمد على قصص جروح لا يؤتمن عليها إلا أهل العلم والورع فى الدين والبصر والأمانة وهو اليوم كاتب لراشد وموسى ، كان يعيب الصلت بصحبته •

قال : ثم إن موسى قرب شاذان بن الصلت ، وكان يعيبه ويعيب أباه فجعل يهاديه يهدى هذا إلى هذا ، ويهدى هذا الى هذا ، قال : ثم إن فهم

بن وارث ومصعب بن سليمان خرجا بمن خرج معها من أخلاط الناس أهل الرستاق وغيرهم حتى نزلوا بالروضة ، موضع نحو فرسخين من نزوى ، أو يزيد بقليل ، وراشد بن النضر بنزوى وكل فريق يدعو إلى قتال الآخر لتكون السيادة له والسلطة فى يده ، والأمر اليه لا الى غيره وحب الرئاسة هو الشهوة الخفية .

وذلك أمر لا يرضاه مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، لأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، وهو هنا يقتله . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار . وهكذا إذا اقتتلا على الدنيا أما على الدين فلا وليس للدين هنا نصيب وإنما هو التكالب على الدنيا .

الروضة تتعرض لقتال عنيف بين أهل عمان

كان من قدر الله الجارى به قلم القضاء فى الأزل أن يكون بين أهل عمان قتال عنيف بموضع الروضة من ناحية تنوف ، وسبب ذلك الاختلاف وسوء السياسة بين إخوان مسلمين فى عقر دارهم ، يختلفون فيقتتلون لغرض غير صالح ، ومقصد غير صحيح : قال الامام : وذلك أن جماعة من اليحمد أرادوا عزل راشد بن النضر ، وكان من وجوههم فهم بن وارث الكلبى من كلب اليحمد ، ومصعب وأبو خالد ابنا سليمان الكلبيان ، وخالد بن سعوة الخروصى ، وسليمان بن اليمانى ، وشاذان ابن الامام الصلت ، ومحمد بن مَرْجَمَة وغيرهم من وجوه اليحمد ، فاجتمعوا بالرستاق وكاتبوا مسلما وأحمد بن عيسى بن سلمة العوتبيين الصحاريين ، وسألوهما أن يبايعا لهما فى الباطنة من العتيك من بنى عمران ، ومن كان على رأيهم من آل مالك بن فهم ، وهم كثيرون فى الباطنة منتشرون فيها ، فكاتبا نصر بن منهال العتيكى الهجارى من ولد عمران ، وكان من الزعمـاء فى أيامه واستجاشا سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، من ولد سليمة بن مالك بن فهم فسألوه المعونة ، وكان سليمان شيخا مطاعا فى قومه بالباطنة ، وكان يسكن مجز من صحار ، وله فيها أموال ومساكن ، وكان نصر بن منهال رئيسا تقدمه العتيك فى الباطنة ، وتطيعه فاستحضر إليهما وبايعهما على نصرة شاذان بن الصلت ومن معه من اليحمد على عزل راشد بن النضر ، فأجابهما على ذلك .

قلت : هنا بدا دور الفتنة يتحفز للنهوض ، وقد أيقنت أنها كائنة لأن عملهم الذى عاملوا به الامام الصلت بن مالك لابد أن تكون له عاقبة ،

حتى ختموا ذلك بإحراق ابنى محمد بن الصلت على غير جرم ، ولا يحرق بالنار المسلم مهما كان ضلاله وفحشــه ، فأراد وجوه اليحمــد احضار الغلامين ليعاقبا على ما اتهما به ، وماذا الذى اتهما به رمى حصاة على طائر أو على سدرة ، فوقعت على بيت راشد بن النضر فكسرت جرة ، فكان عقابهما أن يحرقا بالنار ، وفى وجه أبيهما الصلت بن مالك الذى تخلى عن الأمر لموسى وراشد من غير حرب ، ونزل فى بيت ولده شاذان ، وأن شاذان هذا واطأ القوم وسار معهم ، وآخر الأمر رأوا الأحوال على هذا المنهج ، فضاقت قلوبهم واشمأزت نفوسهم ، وأصبحوا يلتمسون الغوائل للانتقام من هذا الامام ، وان كان منهم ومن أبناء جلدتهم ، لكن سوء المعاملة يجرح القلوب ويثير الضغائن :

وإن الضــغن بعــد الضــغن
عــليك ويظهــر الــداء الدفينــا

فقام نصر بن منهال الزعيم الكبير فى أيامه بالباطنة ، وسليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى الزعيم الثانى ، فقام المذكوران وتحمسا على الواقع وخرج نصر بن منهال الى قبائل الباطنة من العتيك وهم كثيرون أهل عدة وعدد وبأس ، ولهم أموال طائلة ، وخرج سليمان أيضا معــه ليحرك أرهاط قومه ويستثير حفائظهم ويلهب احساسهم ، فطاف على آل مالك بن فهم من سليمة وفراهيد وغيرهم من سائر أولاد مالك ابن فهم ، ومن التف عليهم من القبائل ، ومن تأثر بأعمال راشد بن النضر ، وصاروا جميعا يدا واحدة ولسانا واحدا ، واتصل القوم بالشيخ شاذان ابن الصلت ، وفهم بن وارث ووجوه اليحمد وأهل الرســتاق ، فأكدوا والبيعــة لهم واجتمع جيش ضخم فيه أبطال الرجال وقائده الحقيقى شاذان بن الصلت ،

لأنه المصاب فى أبيه وابنى أخيه وفى نفسه ، وكذلك فهم ابن وارث الذى كان أولا معهم حتى رأى ما رأى مما سئم منه حتى طاش عقله .

قال الامام : وخرجوا الى نزوى على طريق الجبل ، وعرف جمعهم هذا بالحرب الرستاق فساروا وغرضهم الوحيد عزل راشد بن النضر ، ولا شك أن الأخبار عنهم قد طارت الى راشد ومن معه ، وعلى كل حال فانهم لا بد أن يقوموا للقاء العدو الزاحف (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) (وليقضى الله أمرا كان مفعولا) ، ولتكون الروضة تاريخاً لهذا الحادث . قال الامام : الخبر قد اتصل براشد بن النضر ، فلما صاروا بالروضة من تنوف من حدود الجوف ، وجه اليهم راشد ابن النضر السرايا والجيوش ، فانه لما بلغه الأمر الذى يحاوله هؤلاء ، وكان يعلم مـا سبق منه وأنه لابد مـن اثارة شر عـلى ذلك ، اهتم بجمع الرجال واستنهاض أعوانه وأنصاره وأهل طاعته ، فساقهم خيلا وركابا ورجالا ، وكان من قواده يومئذ عبد الله بن سعيد بن مالك الفجحى ، والحوارى ابن عبد الله الحدانى السلوتى ، والحوارى بن محمد الداهنى فكبسوهم فى مكانهم ليلا وهم نزول بالروضة ، ولعله على غير دعوة والحرب خدعة ، والغافل مأخوذ على غرة ، فدارت رحى الحرب بينهم ، واختلط الرجال بالرجال ، والعدو بالصديق والجبان بالشجاع ، والحابل بالنابل ،حتى انكشفت الوقعة عن قتل ذريع وقتل فى الوقعة أعيان اليحمد وأعيان آل مالك ابن فهم .

قال أبو المؤثر : كان راشد بنزوى ، فوجه اليهم قوادا ليس فيهم فقيه ولا أمين على حجة ، ولا بصير بسير المسلمين فى الحروب ، فلقوهم قبل وصولهم الى الروضة وسايروهم حتى نزلوا جميعا الروضة ، جند

راشد وجند فهم بن وارث وشاذان ، وقد أمن بعضهم بعضا ، فلما نزلوا الروضة بات الفريقان أمنا بعضهم من بعض ، ثم ان راشد بعث من عنده جندا أى غير الجند الأول • قال : وعندهم قواد لا فقه لهم ولا فهم ، وفيهم عبد الله بن سعيد قائد الفتنة ورأسها : والخطيئة فى عدد من الناس أخلاطا منهم متمسك يحسب أن الطاعة لزمته ، فخرجوا بين مارق وفاسق (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ، فهجموا عليهم فى بعض الليل ، ففزع بعضهم من بعض ، ووقع بينهم القتال ، فقتل بالليل عند مهايجة القتال رجل من جند راشد ثم تحاجز الفريقان الا أنه بقى بقية من الرماة بين العسكرين ، قال : ودوار أصحاب راشد بفهم وأصحابه شرقا وغربا وأعلى وأسفل ، أى أحاطوا بهم من جميع الجهات ، فلما أصبحوا لقيهم رجل من صحار يقال له غيلان بن عمر ، وقد كان غزا فى سرية من قبل والى صحار ، فلقى القوم فسار حتى نزل معهم الروضة ، ولقى منهم فهم بن وارث وغيره من أصحابه ، فجعل يكلمهم ويكلمونه ، ويدعوهم ويدعونه الى السلم وهم يجيبون الى ذلك ، والناس متفرقون الى أن شبت الحرب فيما بينهم من ناحية العسكرين بعيدا من موضع فهم وغيلان ، فتواقع الناس للقتال • قال : فحدثنا غيلان وكان صدوقا فيما علمناه ، أنه كان يكف الناس عن القتال ويحجزهم حتى تعب بدنه وصوته من شدة ما كان ينهى عن القتال ، فغلبه الناس على أصحاب فهم وتفرقوا عله ، وقتل من قتل فى المعركة وفرقهم فأدركوه فأسروه وناسا من أصحابه ، وقتل نصر بن منهال وهو شيخ ضعيف وكبير ضعيف عن القتال • قلت : معلوم أن الحرب كالنار تأكل ما لاقته من كبير وصغير ، وإذا شبت الحرب كالنار إذا اتقدت يصعب إطفاؤها حتى تلتهم ما حولها ، قيل إن نصرا قتل وهو نائم •

قال العوتبى : وقعت بينهم وقعة شديدة ، ومقتلة عظيمة ، ورجال كثيرة من أهل الورع والعفاف ، وكانت الهزيمة على اليحمد والعتيك وبنى مالك بن فهم ومن معهم ، فأما اليحمد فانهم كانوا عارفين بالموضع فتعلقوا برءوس الجبال بعد أن قتل منهم جماعة ، وأسر من أعيانهم من أسر ، وأما العتيك وبنو مالك بن فهم ، فصبروا فى المعركة حتى قتل نصر بن منهال ، أى زعيمهم ، وقتل ولداه أيضا المنهال وغسان ، وأخوه صالح بن المنهال العتكى ، وقتل من ولد مالك بن فهم حاضر بن عبد الملك بن بلال السليمى ، وابن أخيه المختار بن سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، فى نفر من قومهم ، وقتل من آل فراهيد بن مالك بن فهم خداش بن محمد الفراهيدى ، وأخوه جابر بن محمد فى جماعة من قومه ، وأسر سليمان بن عبد الملك ابن بلال السليمى ، وأسروا من اليحمد فهم بن وارث الكلبى ، وخالد بن شعوة الخروصى وغيرهم ، فحبسهم راشد بن النضر سنة أو أكثر ، ثم سئل فى شأنهم موسى بن موسى وجماعة من وجوه أهل عمان ونزوى فأطلقهم ، وكانت الدائرة على هؤلاء فدقتهم الحرب دق العصف ، فقتل سادتهم وأعيان قومهم كل واحد أكبر من الثانى ، وأسروا أيضا أعيان منهم وانفض جمعهم ، وتمزق جيشهم ، وذهبوا على وجوههم ، وكانت القضية والامام الصلت بن مالك حى موجود فى نزوى فى بيت ولده شاذان ، ثم مات بعد وقوع هذه الحادثة الرابعة التى كسرت أعمدة اليحمد ، وسرت العصبية فى أهل عمان بسبب هذه الفتنة ، وتعصبت القبائل كل تعلق بأناس لينال ثأرا من خصمه ، وطار خبرها فى شرق عمان وغربها والى البصرة ، وفيها قام ابن دريد يحرض قومه على القتال ويستنهضهم للقتال ، وهيجت الناس بعضها على بعض لأمر أراد الله انفاذه فيهم ، بسبب اختلافهم على امامهم ، وهو القائم بأمرهم ، المجتهد فى اصلاحهم ، ولا بد للباذر أن

يحصد ، وكل يخرج فى وقته والنبات له مواقيت يخرج فيها حصاده ، وهذه ثمرة الاختلاف فنعوذ بالله منه .

فكان لذلك أثر حار ، فتجمع اليحمد وبنو مالك بن فهم والعتيك ومن معهم ، وقلوبهم تغلى حقدا على راشد بن النضر ومن معه ، وقرروا المصير على الحلو والمر ، وعلى الموت الساحق أو النصر ، والتف اليهم من لـه عصبة فيهم ، ومن كان بقلبه مثقال ذرة من الخير لهم ، ولم يزالوا من كل حدب ينسلون على أن يمحوا العار الذى لحق بهم ويأخذوا الثأر ممن قضى على اخوانهم وعشيرتهم ، ولو كان فى ذلك هلاكهم .

الهجوم على دار الإمارة بنزوى

لما تقرر رأى القوم على مهاجمة خصمهم ، رأوا أن دار الامارة أحق بالهجوم ، وكما أن القوم باغتوهم فى الروضة فهم يبيتون مباغتة راشد بن النضر فى دار امارته ، وتكتموا بما أمكنهم فأتوا الى نزوى بعددهم وعديدهم ، ولعل راشدا يظن أن القوم لا يعودون لمثلها ، لأن أجنحتهم قد قطعت وزعامتهم قد سحقت ، فلم يكن بخلده أنهم يقومون له مرة أخرى ، قال المؤرخون العمانيون : إن اليحمد تجمعت وبنو مالك بن فهم والعتيك ، وقد ألهب ضمائرهم ابن دريد وأمثاله ، وهيجوهم على الأخذ بثأرهم ، فساروا توا الى دار الأمارة بنزوى غير مبالين بما يلاقون ، ولعلهم أكثر ما قرروا الموت •

قال : فأسروا راشد بن النضر بعدما هزموا أعوانه ، وفضوا عساكره وعزلوه عن الامامة ، ووقع اختيارهم جميعا لعزان بن تميم الخروصى ، فبايعوا له وتولوا الأمر فى عمان ، وذكر الامام السالمى رحمه الله فى تحفته قصيدتين من قصائد ابن دريد التى يحرض بها قومه على أخذ ثأرهم أعرضنا عنهما لأنهما لم يصلحا للرواية فى التاريخ لتحريفهما وتعقدهما وعدم المرجع الذى يمكن تصحيحهما عليه • وأول احداهما :

نبأ نابه وخطب جليل
بل رزايا لهن عبء ثقيل

وأول الثانية :

إنما فازت قداح المنايا
يوم حازت خصلها بتوفا

عزل راشد بن النضر عن الامامة

قال الامام السالمى : وذلك بعد ما مضى له فى الامامة أربع سنين وثمانية وخمسون يوما ، قال : وسبب ذلك تحرك قلوب أهل الضغائن وكثرة الحقد عليه بقتل من قتل بالروضة من وجوه الأزد ، وتحريض ابن دريد عليه ، ووافقته موسى بن موسى لهم فى ذلك .

قال أبو قحطان : خرج موسى على راشد من بعد ما قدمه واختاره فخلعه وفسقه وبرىء منه ، ودعا الى حربه من غير مخالفة لراشد منه ، ولم يحدث حدثا حتى يستحق به معه الخلع فى دينه لأنه كان يراه اماما ففعل به مثل ما فعل بالصلت بن مالك رحمه الله سواء بسواء ، ودعا الى عزله وألب عليه . قال : قد كنا سمعنا أن راشدا خرج الى أزكى يسترضيه فلم يدرك رضاه ، قلت : على هذا يتبين أن موسى بن موسى مشوش الأفكار سريع التقلب ، لأنه بالأمس حاقد على الصلت ويتكلم عليه وعلى أعماله ، وينتقد على عماله ويطلق لسانه على أهل الدولة مطلقا لا يبالى بأحد ، حتى قام على الصلت وعسكر بفرق حتى اعتزل الصلت الأمر ، وأقام مكانه راشد بن النضر ، وخاصم معه وحارب ، وقاتل وهدد ووعد وتوعد ، ثم انقلب على امامه يؤلبه ويثلبه ويقوم عليه بالخلع ، ولم يحجه فى شىء ولم يقم عليه دليلا فى شىء ، بل يصول عليه ويهاجمه بغير مبالاة ، وهذا من مستغربات الأحوال واذا به عندى كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : وانه لعلى ما ترين أحمق مطاع ، فان الدين لا يكون ألعوبة وأحكام المسلمين لا تحل ولا تعقد على غير أساس ، والحق لا يكون باطلا وان تقلب عليه

الدهر ، وهكذا العكس فما لموسى بن موسى وهو الرجل الوحيد فى زمانه ، يبنى ويهدم بغير روية ولا هدى من الله ، لما سلم العمانيون من العدو الأجنبى جعلوا بأسهم بينهم بغير موجب وخبطوا فى فتن تقضى عليهم وتدمر كيانهم ، فان سفك الدماء على غير وجه شرعى يفسد الدين والدنيا ، فانظر الى قتلى الروضة متى ينطفى جمر حقدهم ، ومتى يسكن روع القاتل لهم ، ولهم أنصار وأتباع ، ولم يكن على طريق صحيح يجيزه لهم الشرع • قال : وأخذ موسى فى عزل راشد من غير أن يظهر عليه حدثا يعرفه الناس ، إلا أنه يدعو الى عزله كما كان يدعو الى عزل الصلت بن مالك ، بل كان الصلت على ما يظهر معه خيرا من راشد ، لأنه خرج على الصلت بن مالك ولا نعلم أنه خلعه ، وأما راشد فقد كان يفسقه على ما سمعنا ، فسار موسى ومن اتبعه حتى نزلوا فرق ، واجتمع شاذان ومن أجابه فى موضع معاضدين لموسى ، وكان الحوارى بن عبد الله ، والوليد بن مخلد ومن أجابه فى موضع يقال له سندان ، فى أعلى من الموضع الذى كان فيه شاذان ومن معه ، مناصرين لراشد ، وكان راشد فى موضع الامامة وموسى فى فرق ثائرا على راشد بعد أن كان والاه ، أى وولاه وأقام دولته وشد عضده وناصره وحمله على أعناق العباد •

قال : وافترق موسى وراشد والحوارى بن عبد الله ، والوليد بن مخلد من بعد الألفة والأخوة ، لأنهم كانوا تآلفوا على عزل الامام الصلت بن مالك ، وبايعوا راشدا وصاروا حربا لأعدائه وعادوا أعداءه ، فموسى الآن يطلب عزل راشد ، والحـــوارى والوليد يطلبان نصرته ، قـــال : فلو كان أمرهم رشيدا فى الأصل لكان الوليد والحوارى مصيبين فى نصرهما لامامهما ، ولكان موسى مخطئا إذ نكث على امامه ولكن أمرهم فى الأصل كان لغير الله ، فلم يجمع الله شملهم •

قلت : والله انها لمصيبة من أعظم المصائب ، إذا كان مثل هذا الأمر يصدر منهم لغير الله ، وهم علماء المسلمين وعمدة الأمة فى الدين ، فيقومون لسفك دماء المسلمين بغير حق ، قال : ورد بعضهم على بعض ، قال : واجتمع موسى وشاذان بعد العداوة نعوذ بالله من الفتن ، قال : فسار الحوارى والوليد ومن معهما يريدان نصر راشد وقتال شاذان وأصحابه ، والله يعلم ما أرادوا ، فالتقوا من قبل أن يصلوا راشدا ، فهزم الحوارى والوليد ومن معهما ، بعد أن قتل من قتل من أصحابهما وسار شاذان وأصحابه ، فأخذوا راشدا من موضعه بلا حرب وضربوه وحبسوه ، ووصل موسى ومن معه الى العسكر ، وقد اجتمعوا من غير توبة ، وقدموا عزان بن تميم كما أشرنا الى ذلك سابقا اماما والله أعلم بأمورهم .

قلت : هذه أحوال أشبه بالتلاعب ، فلما لم يعجبهم الصلت بن مالك ألقوه وراء ظهورهم غير مبالين به ، ثم قدموا راشدا وسفكوا الدماء ، وقتلوا المسلمين الطالبين لخلعه ، فصرعوا فى الروضة أعيان أهل عمـــان وأخيارهم ، ثم فعلوا الفعلة الشنعاء بابنى محمد بن الصلت بسبب رمية حجر رميت فى بيت راشد بن النضر ، حتى أحرقوهم بالنار ، ولا إنكار ولا توبة ولا رجوع على أصل فى الدين ، على حسب قواعد مذهب المسلمين ، واليوم يعاضدون موسى على راشد ، وانما كان رأس الأمر كله موسى ، فما هذا الحال الذى يمشى عليه هؤلاء ، أما حاذروا سخط الله عليهم إذ يمشون فى عباد الله بمثل هذا الحال المؤسف الذى إذا اطلع عليه أعداء المسلمين ، لا بد أن يسخروا منه (والله لا يرضى لعباده الكفر) (وإن تشكروا يرضه لكم) فهذا ينافى شكر الله عز وجل الذى هو طاعته ، والدين لا يحمل ألعوبة والحق لا يكون باطلا ، والباطل لا يكون حقا ، والأهواء هى

المهلكة ، والدين ينافى الدنيا إذا لم يمش أهلها على الصراط المستقيم ، وكفران النعم يورث البوار ، وهذا منها والعياذ بالله ، وما كان الإباضية يرضون بمثل هذه الأحوال ، فان المجرم يلزم تتوبيه وتوبته بحسب حاله ، فأما الامام ومن فى معناه فتوبتهم أن تكون علنا فى مجامع الناس ، لأنها تنبنى على أحكام دينية ، فان الله ما ترك المسلمين يروحون ويغدون كما يشاءون غير مناقشين ولا مسئولين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فان الله لا يهمل مثقال ذرة ولا أدنى منها مهما كان ، وهذه الأفعال ، وما سيأتى ذكره من الأحداث التى يفترقها راشد بن النضر وزميله الوزير ، وما يأتى بها قومهم من الأعمال التى لم تعرف فى دين الله عز وجل ، ولا ارتضاها أحد ممن له أدنى مسكة من عقل ، فان الامامة نزيهة عن عبث الناس ، وبعيدة عن السفاسف ، فانها لم تقم الا لتكون ضدا للظلم وضدا للظلمة وضدا للجور وأهله ، ولم يعرف فى مذهب المسلمين فضلا عن أعمال صفوة الأمة الا أن راشدا كان سلطانا لموسى بن موسى ، يقضى كل واحد منهما غرض الآخر ، وكان موسى على ما يظهر رجلا غشيما وزعيما متغطرسا ، كان يحاول الرئاسة التى هى الزعامة لا الامارة الدينية ، مع أنه كان على يقين من سيرة أبيه موسى بن على فى عمان ، إذ كان القدوة الصالحة لهم ، وكان راشد بن النضر توصل الى الرئاسة بالزعيم موسى بن موسى ليقضى غرضا كان له فى نفسه ، وحب الرئاسة هو الشهوة الخفية ، التى هلكت بها أمم وانهارت من أجلها عروش ، وسوف ترى وتسمع عن راشد بن النضر ووزيره موسى بن موسى أحوالا ، وترى لهم أعمالا فى الأمة توجب عزل راشد وتخرجه من الولاية ، إذ كانت له ولاية إن صحت تلك الأعمال ، والدين لا يقوم على أساس الباطل ، والجور والظلم لا يصح معهما دين مهما كان •

اعمـــال راشد بن النضر فى حال إمامته بعمان

اعلم أن راشد بن النضر لمـــا تولى الأمر بعمـــان ، كانت أعمـــاله كلهـــا سيئة وهى التى تصدر منـــه أو من وزيره أو من قائده ، أو أى عامل من عمـــاله ، ولا ريب فان الرعية على دين ملوكها .

كان راشد المذكور إماما لأهل عمـــان على رغم أهل عمـــان ، إلا على موسى رشرذمة معه ممـــا شايعه من أهل عمان ، من الذين طال عليهم عهـــد الصلت بن مالك ، فتمنوا زواله لنحل محله امام جديد ينالون معه مـــا لم ينالوه مع الصلت ، ولو كانت الدولة همتهم لشدوا عضد الصلت وقوموا أموره ، وقاموا معـــه وهم جميع ، ولكن لا ريب فان الله عز وجل بسط لبنى إسرائيل كل خير ، وأطعمهم المن والسلوى ، وهم فى أطيب النعم وأوفر الفضل ، وإذا بهم يقولون لنبيهم عليه الصـــلاة والسلام :

(ادع لنـــا ربك يخرج لنـــا ممـــا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) الآية . وأهل عمـــان هكذا كان عملهم هنـــا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، فكانت أعمال الامام المزعوم راشد بن النضر من ثمره ، وفى بعض كتب الله المنزلة قوله فى آخر الآية : من ثمارهم تعرفونهم . فكانت المفاسد فى عمان شاهرة ظاهرة ، من نهب أموال ، وقتل رجال ، وأخافة الطرق ، وانتشار الجهل ، وخمود العدل ، وتطـــاول الباغى على الآمن الوادع ، وأى بغى أكبر من حرق ابنى محمد بن الصلت بن مالك ، وهما صبيان لم يبلغا حد التكليف ، ويحرقان بالنار مع أن أهلهما يتقدمون بتقريبهما الى الامام المذكور ،

ليحكم فيهما الحاكم بما يرى من حق وغيره ، ولم يقبل منهم وهما قد رميا رمية حجر لطير كان على شجرة سدر ، أو رميا السدرة نفسها فوقعت الرمية فى بيت الامام فكسرت جرة فكانت عقوبتهما أن يحرقا بالنار ، وهذا من عمل صاحب الأخدود نعوذ بالله من شر البغى •

ومن ذلك عقر جمال القوم المقتولين فى الروضة ، وقيل إن جملة المعقور ستة عشر جملا وفرسا ، ونهبت أموالهم ودوابهم وثيابهم ، قال : وليس هذا من عمل المسلمين ، ولا من سيرتهم فى أموال أهل القبلة • قال : ورفع لنا الثقة أن الرجل من أصحاب فهم كان يتلجأ فيوضع عليه السيوف ، وكان الرجل يأتى مستسلما منقادا مذعنا مسلما للأمر ، فيدفع إليهم سيفه فيأخذونه فيقتلونه ، ولم يظهر من موسى إنكار ولا تغيير ، ولا من راشد ابن النضر الامام • قال : وقد بلغنا أن لحوم الإبل المعقورة بيعت فى سوق نزوى قريبا من موسى وراشد أو لم يستطع المسلمون إنكار ذلك • قال : وقد كانوا يغيبون على الصلت بعض أحداث من سرايا كانت تطرأ فى أطراف عمان ، لا يدرى كانت أو لم تكن ، أى لم تثبت صحة وقوعها ، ولم يعيبوا على أنفسهم الأحداث الشنيعة وهى قريبة منهم ، يكادون يعاينوها بأعينم •

قال : ثم استقام الأمر لراشد واشتد سلطانه بعمان ، وقد تكون الأحداث بأطراف عمان من المهرة ونحوهم ، فربما يضربون الرجل ويستاقون الإبل ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، وما قاومهم راشد ولا جرد لهم من يرد بغيهم عليهم ، وكأنه لم يهتم من شأنهم فلم يبعث لهم سرية واحدة أبدا ، وإنما كان شدته وسطوته على أهل الرستاق من

حولها ، إذ رأى الثورة عليه من هنــا ، ولم يسأل عن رعيته . قال : ومن أعمــاله فيمــا صح خبره معنا : أن رجلا وقف بباب السجن فتنــاول كتبا الى الفضــل بن الحوارى ، والأشعث بن محمد النضر ، وهمــا يومئذ من أصحاب راشد ومن حزبه ، فاطلع بعض جنود راشد على ذلك فأخذوه بالكتب ، وساروا به الى راشد ، فلمــا عرف الكتب الى من هى أمر به فحبس فى السجن . قــال فبلغنا أنه ضرب مع ذلك فلبث فى السجن مــا شاء الله ، ثم أخرج فدخل من دخل على راشــد ممن أنكر حبسه فقال لهم : حبستم الرجل وليس عليــه حبس لأنه انمــا حمل الكتب الى أصحابكم الخ .

قال : وقد بلغنــا أن قوما من أهل سلوت دخلوا على رجل فى منزله فكسروا بابه وضربوه بالسيوف ، فحمل الرجل مضروبا منتصفا ، أى طالبــا الانصاف ممن ضربه ، وان يبعث سرية الى الذين ضربوه فلم ينصفه ، وقال : من أجل واحد أبعث الى قوم أنصــار ، فلم يفعل ولم ينصف الرجل من أعوانه . قال : ولم يجعل ضرب الســيوف كرميــة وقعت فى داره .

ومنهــا أنهم بعثوا قائدا من قوادهم الى الرستاق وهــو لص مشهور معروف بذلك ، فســار الى الرستاق واســمه زائد بن خطاب معروف بالسرقات ، ومعه ناس من أعوانهم الى بنى غافر أهل الرستاق ، ولم يكن من بنى غافر المذكورين الذين أرسل اليهم زائد بن الخطاب حدث يعرف ، حتى يرسل السرايا ، فلمــا دخل واديهم أى المعروف بوادى بنى غافر ، تلقاه بعض من سرعان الناس وسفهائهم فيمــا بلغنا ، فهايجوه وكان بينهم هناك بعض الشر حتى جرح بعض أصحابه ، ولم يقتل أحد فى تلك الحركة ،

وفر منهم هـو وأصحابه ، فأتى الخبر الى راشـد فجهز اليهم سريا وقودا جفـاة عماة ، ولم يسيروا بقصـد ولم يهتدوا برشد ، فعاتوا فى البلاد من أكل أموال الناس ، ودخلوا بيوتهم وكسروا أقفالهم ، وأهانوهم ، ولم ينكر راشد عليهم ذلك مع أن الامامة لا ترضى بذلك ، ودين المسلمين لا يأمر بهـذا ، ولا قريب منـه ، وأودع راشـد ناسا فى السجون مدة طويلة ممن شهدوا وقعـة الروضة وغيرهم •

وهـذه الأعمال لم يعملها أئمـة المسلمين قال : وعمر فى سجن راشد ناس من بنى غافر وأناس ممن شـهد وقعـة الروضة فى القيود والهوان ، وكان أبو خالد بن سليمان جريحا مريضا فيمـا ذكر لنـا نازلا فى بعض دور نزوى ، فأمر به راشد فقيد فى منزله كبعض العبيـد ، ومـا يعرف المسلمون لذلك وجها • قال : ولا نعلم أن أحدا من سلاطين العدل أو الجور سـبق راشدا الى هـذا الفعل يقيد رجلا فى بيتـه وهو مريض • قال : وإن ناسا من كلب اليحمد كتبوا الى شاذان يسألونه الخروج على راشد ، فكتب إليهم شاذان فيمـا ذكرنا العدل يقول لهم فى كتابه : أمـا أنا فرجل من المسلمين لا أنفرد بالأمر دونهم ، ولا أريد أن أكون فى هـذا الأمر رأسا — فان قام المسلمون فأنا معهم ، ونحـو هـذا من القول فيمـا رفع الينـا الثقة من المسلمين •

فخرج اليه يمان بن مصعب بن راشد وأبو جليل ، وأبو النضر بن أبى جليل ، وأبو النضر بن راشد فى ناس فنجموا عليه ليلا ليأخذوه فظفروا به ، فأخذوه وخرجوا به ، فاجتمع من اجتمع من اليحمد معهم ولا ندرى مـا أرادوا فى اجتماعهم ودعوتهم مـا هى ، فلمـا بلغ راشدا اجتماعهم بعث اليهم من قبله قوادا جفاة لا علم لهم بحرب المسلمين ، ولا بصر لهم

بحجة على عدوهم ، فساروا حتى نزلوا قرية يقال لهـا عينى من الرستاق ، وأقبـل شاذان بمن معـه من وادى عمق متجردا يريد فيمـا قيل لنـا قرية يقال لهـا سوتى •

قلت : هى الآن التى تعرف بالعوابى ، قال هى قريبا من عينى ، قلت : نعم هى من الرستاق والعوابى التى هى سونى تبعد عن عينى مرحلة واحدة ، ولكنهـا كانت من أعمـال الرستاق حتى العهد الأخير الذى قام فيـه الشيخ جاعد بن خميس وآله ، وتاثلوا فيهـا أموالا ، وخـدموا خلجها حتى قوى واعتد ، وبنى الشيخ فيهـا البيت العالى ، وكان حصنا لهم من عدوهم ، ثم احتلتـه الحكومة من أيديهم وأصبح رهن يد الحاكم إماما كان أو سلطانا ، وأصبحت سونى التى هى العوابى إمـارة مستقلة ، ولكنـا لا تزال تخضع لحاكم الرستاق خضوع الوالد لوالده ، وحق لهـا ذلك • قال : فلمـا كان بين القريتين أى سونى وعينى ، وثب عليـه أصحاب راشد بلا حجة ولا مناظرة ، وتداعوا بدعوة الجفـا ، وقـال شأنكم خذوهم ورأس شاذان خذوه فيمـا رفع لنـا الثقة ، وابتدرهم الناس سرعانا واقتتلوا فيمـا بينهم وقتل من قتل من أصحاب راشد ، ومر عامتهم وسار شاذان حتى دخل الباطنة ، ثم رجع الى الرستاق ودخل وادى عمق وتراجع أصحاب راشد واجتمعوا ،وجاء عبيد الله بن سعيد بمن أجابه من أخلاط الناس ، ثم ساروا حتى وافوا شاذان وأصـحابه فى موضع يقـال له الطباقة من أسفل وادى عمق ، فاقتتلوا وقتل من قتل وانهزم شاذان بن الصلت وأصحابه ، ولكن لم يظفر العـدر بشاذان وجعلوا بعد الهزيمة يلقطون فتات الهزيمة ويقهرون البرىء والسقيم ، والداخل معهم وغير الداخل عملا بشنشة المنتصر الذى لا يحجزه دين

ولا يقوده علم ، فأسروا من قدروا على أسره منهم ، ودفعوهم الى سجن نزوى .

قال : ولقد حدثنا الحكم بن أبى سليمان وهو ثقة مأمون أنه قال لموسى : كم مظلوم فى هذا الجيش ؟ قال وحدثنا بعض من يتولى راشدا وموسى أن رجلا من الأسارى ضعف عن المشى فسحبوه سحبا حتى مات فى سحبه ، وقد حدثنا الرجل أنه أخبر موسى بهذا فما ظهر منه إنكار ولا تغيير ، قال : ولو أن مشركا محاربا سحب على وجهه حتى مات فى سحبه لكان منكرا عظيما ، أى لقوله ﷺ : إذا قتلتم فأحسنوا القتلة . قلت : وسيأتى فى التاريخ أغرب من هذا فان الشيخ القاضى عدى بن سليمان الذهلى ، قتل فى الرستاق فسحب على وجهه فى سكك الرستاق ، وأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل المثلة ، وهذا منه . وقال رسول الله ﷺ : كل شىء ليس عليه أمرنا فهو رد .

قال : ثم إن شذان بن الصلت هرب وبعثوا فى طلبه قوادا من قبلهم الى الرستاق ، منهم أبو الجلندى بن معران رجل معروف بالطلس والسفه ، وإنما كان من جنود الشيطان ومنهم محمد بن أبى فضيل رجل معروف بسفك الدماء من الحرام ، ومنهم محمد بن سعيد ، وأخلاط الأعراب الجفاة ، فساروا حتى دخلوا الرستاق بلغنا ، فقطعوا الزراعة ، ولقد بلغنا أن أبا الجلندى كابر امرأة على شىء من حليها واستفاض هذا الخبر . قال : ثم بسطوا لعبيد الله بن سعيد اليد فى عمان من غير صلاح ولا وقار ولا عفاف ، وأنه لو شهد شهادة مع موسى ما قبل شهادته فيما عرف موسى منه ، ثم سار عبيد الله بن سعيد الى صحار ، فعمل فيها أعمالا قبيحة ، فيما ذكر من استرهاب الناس

وأخذ أموالا فيمـــا رفع إلينـــا ، وأذعن له والى صحار ، وسلم له فيمـــا بلغنـــا . قال : ولقد قيل لنـــا وذاع وشهر أنه أرسل الى شيخ ضعيف يقال له عبد الرحمن بن الوليد ،وهو أمين للوالى على بعض ضياعه فأرسل اليـــه عبيد الله جندا من جنوده ليجروه اليـــه بغير حق ، فاستجار بالوالى فلم يقبلوا ، وقال الوالى : أنا كفيل به فلم يقبلوا ، وجروه اليـــه كرها ليسأله تأخير حق له على بعض من استعان بعبيد الله عليـــه ، ثم هدده عبيد الله وأوعده حيث لم يشـــفعه . قال :وقد بلغنـــا أن والى صحار يرفع اليـــه الخصماء ، وهو غير فقيـــه ولا بصير بحكم . قـــال : ومـــا فعل والى صحار الى إلا تعظيما لأمر الدنيا ومهابه للسلطان ، قال : وبلغنا أن عبيد الله خطب الى رجل كثير المـــال ضعيف الحـــال واهى القـــوى ابنتـــه فأبى أن يزوجه ، فأغرى سفهاء من النـــاس بماله ، فزوجـــة الرجل تقية ومخافة ممـــا يرى ، فلمـــا تزوج منـــه استولى على كثير من ماله ، أو على جملته . قال : ولقد بلغـــا أن الرجل احتاج الى قفيزين من تمر من ماله ، فلم يدركه وتولى عليـــه أملاكه على هـــذا الحال ، حتى اشترى منـــه مـــا أراد من تمر من ماله . قلت : هـــذا من الظلم بأعلى الذرى ، وقـــال : لقد بلغنـــا أن والى نخل أراد أن يدخل فى شيء من إصافه وكتب اليـــه راشد فيمـــا ذكر لنـــا بعض أصحاب والى نخـــل أن هـــذا قصور منك الى الدولة ، أى حيث تقوم بالانتصاف من رجال الدولة ، قـــال وقد ذكر لنا عن ابن موسى أنه يكتب الى تجـــار صحار يسألهم القرض ، ويسألهم أن يتجروا له ، ولم يكن يسألهم من قبـــل هـــذا لكن تقوى عليهم بسبب السلطان .

قال : ثم خرج ابن موسى الى صحار ، فحكى عنـــه أخذ أموال النـــاس أمرا أشنع من الذى كان يروى عن شاذان أيام أبيـــه . قال :

فان كان شاذان من عيوب الصلت فابن موسى من عيوب راشد ، فان قالوا إن هـذا لم يصح لهم ، قيل كذلك الحكايات عن أصحاب الصلت لم تصح . قال : وقد صارت صحار مأكلة لفساق السلطان لأن فيهـا تجارا وأهل ذمة ضعفاء . قال : وسجن سليمان بن أبى حذيفة رجـلا ضعيفا بغير حق حتى اطلع على ذلك راشـد ، فأخرجه ولم ينكر على سليمان فعله هـذا ، وليس يكفى اطلاق سليمان مع تركه للانكار عليـه أن لو أطلقه سليمان المذكور . ثم نصحهم من نصحهم فى أمر شاذان . وقـال : أوفدوا اليـه وفدا من صلحائكم يحتجون عليـه قبل سـفك الدماء ، ويسألونه مـا يطلب فردوا النصيحة وجعلوهـا غشا وتعجبوا من الحـق ، وجهلوا سـيرة المسلمين . قـال : ثم سارت العصبية ، وجعلوا يولون ولاة مـا اختاروهم لله ، وإنمـا ولوهم رضا وتقـة ومصانعة .

قـال : ورأى موسى رجلا ضعيفا ليس هو بامام من أئمـة الدين ولا يخـاف على دولة رآه جالسـا على باب المسجد خارجا يوم الجمعة قبـل الصلاة ، ثم أبصره يصلى بعد مـا انقضت صلاتهم ، فاتهمه أنه لا يرى الصـلاة معهم ففسقه ودعا عليه وشهر به ، وأغرى بـه السفهاء فساروا الى منزله قريبـا من فرسخ ، فشـدوا يديه وراء ظهره ، وضربوه فيمـا بلغنـا حتى أدموه ، ثم جاءوا به كأنه سافك دم أو قاطع طريق حتى أدخلوه السجن ، فحدثنا عدل ثقـة من المسلمين أنه كان قاعدا فى المسجد ، وقد جاءوا به . فقال : إنه كان يسمع شيئا ليس يشـبه الضرب ، ولكنـه يشبه الدروس أى الدق بالأرجل من شدة الضرب ، فلمـا أدخلوه السجن قال : واقتلاه فيمـا بغنا ، فلبث فى السجن مريضـا مرضـا شديدا ، وقال لهم رجل ارفقوا به فادخلوه السـجن وشدوا يديه وراء

ظهره ، قال : ولم ينكروا على من ضربه ولا منعــوه منــه ، قال : وأمر راشد ولاة القرى ألا يدعو النـــاس يشترون من طعـــام أهل القرى ، وهـــو وولاته يشترونه لأنفسهم . قـــال : هـــذا تحليل لمـــا حرم الله ، وقد أحل الله البيع وحرم الربا . قلت هـــذه الأعمال إن صحت مـــا هى من أعمـــال المسلمين فى شىء أبدا ، إنمـــا هى أعمال جبابرة الملوك فى الرعايا المستضعفين ، ولم نعلم أحد من أئمـــة الدين يرضى بهـــا فى عدوه فضـــلا عن الضعفاء المأسورين تحت القهر ، يكون فيهم هـــذا تحت راية من يتسمى بالامامْة وينشد العدالة ، إنمـــا هـــذه عرفت فى عمـــان لبنى نبهـــان كمـــا سوف يأتى ذلك فى محله .

قـــال : وبلغنا أن تاجرا خرج الى قرية يقال لهـــا أبيل . قلت : يقولون لهـــا الآن وبل بالواو المفتـــوحة أو المضـــمومة وهى من قرى الرستاق ، فاشترى منهـــا برا على حســـاب مكوك وربع ، لا بل عـــلى حساب مكوك وثلث إلا ربع السدس بدرهم ، قال : فأخذوه الى ذلك البلد فقطره وقيـــده حتى رد بضاعته الى الذى اشتراهـــا منه ، ثم ان الوالى رجع فاشترى ذلك الحب على حســـاب مكوك وثلث زيادة على مكـــان اشتراه التاجر . قال : فضر بالبائع وأضر بالمشترى ، أى أضر بالبائع حيث أدخل عليه الزيادة فى المبيع والنقص فى الثمن ، وأضر الشـــارى حيث رده عن شرائه . قال : ثم ان التاجر أتى راشدا فشكا اليـــه فكان انصافه له أن طرحه فى السجن ، ثم أخرج من السجن فأتى الى موسى فشـــكا اليه من الوالى فطلب اليـــه الانصاف . فقال نعم ننصف فلم يرفع لـــه رأسا ولم يكن منـــه شىء إلا أن موسى تكلم ، فقـــال : إن الامام قـــد ترك ذلك الأمر الذى كـــان يأمر بـــه فلم يكن منهم إنصـــاف ولا توبة إلا هـــذا .

قال ثم هم فيما بينهم يتهامزرن ويتطاعنون يسمون إمامهم حمارا جليَبا ، وتيسا عشقيا ، ويسمون قاضيهم أبا السطور (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) إخوانا علانية أعداءً سريرة ، إلا أنهم قد اجتمعوا على أنهم قد قهروا المسلمين وأخافوهم وأخافوا عزان بن تميم وأخرجوه من منزله وداره بكفالة لا تلزمه ، وهم يعرفون فضله ، وقد كان موسى احتاج الى رأيه •

وقال أيضا : إنهم حبسوا محمد بن عمر بن الأخنس بلا ذنب ولا حدث منه إلا سوء الظن فيه ، وهو معروف فضله فى المسلمين ، ثم بعد ذلك أخافوه وبعثوا اليه الخيل فخاف فى منزله بلا ذنب ولا حدث ، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وألقى بنفسه إليهم فلم يجدرا له ذنبا فحبسوه فى عسكرهم ، وم يأذنوا له بالانصراف الى منزله حتى أخذوا عليه كفيلا وما ذلك منهم بعدل ، قال : وهذا من عجائبهم فى تسعة عشر شهرا منذ ملكوا، ولديهم المزيد • قلت هذه هى بذور زوال نعمتهم لما كف الله عنهم العدو الكبير ، وهو سلطان العراق لم تطل بهم الأيام حتى ظهرت هذه الأحوال منهم لتكون قائد النقمة عليهم ، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وتلك هى سنته تعالى فى عباده ، من يتتبعها يجدها فى كل جيل منذ خلق الله الدنيا الى يوم القيامة ، لأن الله أجل وأكرم من أن يبسط لقوم نعمة ، ثم ينزعها منهم بغير جرم ، وقد وصف راشدا بأنه لا يعقل ولا يبصر الأمور ، وأنه يحسب الخطأ صوابا لعماة ويظن للحق ما

يفعـــله هو لا غير ،ووصف موسى بأنه يطعن فى المسلمين ويقــول فيهم بحســب هواه ، ويصـــف نفسه بمـــا يهواه والله يقول · (ولا تزكوا أنفســكم) .

ومن كلامه بحسب مـــا نقله عنه أبو قحطـــان يقول : فان شربة النبيذ والأعراب لآمن عندى من علماء هــذا الزمان ، قـــال وهو فى ذلك لا يستغنى عنهم . قلت هــذا الكلام فى غاية من الجفـــاء ، وفى النهـــاية من السخرية ، (يا أيهــا الذين آمنــوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) الآية . قال : وجهله وقلة عمله ظاهر بين ، قال : ومن ذلك أنــه لا يحسن إقامة الجمعة . قـــال : فان المؤذن كان يفرغ من الأذان الآخر يوم الجمعة . وموسى فى بيتــه أو حيث شاء الله حتى يخلو وقت طويل ، ثم يأتى فيخطب بالنـــاس ويصلى ركعتين ، قال ومن الســـنة فى الجمعة أن الخطبة متصلة بالأذان ، والأذان متصـــل بالاقامة ، والاقامة متصلة بالصـــلاة ، لا فرق بينهن هكذا وردت عن رسول الله ﷺ . قال : ومن قله علمه : أنه خطب النـــاس يوم الجمعة ثم نزل عن المنبر وإمامهم فى بيتــه أو حيث شـــاء الله ، فانتظروه وليســوا فى صـــلاة ولا خطبة مقدار مـــا استمر الامام بيتـــه الى المسجد مرتين ، قـــال وبيت الامام منفسح عن المسجد مـــا شاء الله ، ثم صلى بالنـــاس ركعتين بـــلا اعادة خطبة خلافا للســـنة ، وقد قال الفقهـــاء لو أن الخطيب خطب يوم الجمعة ثم اشتغلوا عن الصـــلاة لأمر عناهم كان عليهم أن يعيدوا الخطبة للصـــلاة ولو خطبة موجزة أى أقل مـــا يطلق عليـــه اسم الخطبة كالحمد لله والصـــلاة والسلام على رسول الله ، وإثبات الشهادتين ، وإقرار

الوحدانية لله عز وجل • قال انتهى تلخيص مـا أردنا ذكره من كلام أبى المؤثر •

قال : وهـو كمـا ترى قدح فى سيرة موسى وراشد ، قال : والمبتون لإمامة راشد يجملون هـذه الأمور وأمثالهـا على أسباب تسوغ لهم صنع راشد فيمـا صنع ، يذكرون له أعذارا واحتمالات يقبلها العقل فى أئمـة العدل ، قلت إن بعض مـا مر من الأحوال له احتمـال يعقل ، ولكن الأكثر ان صح صريح فى الجور والظلم والعدوان والعسف على الناس ، وعلى أحكام الله عز وجل وتلك الاحتمالات لهـا معارضات من نفسها ، وهـذا الحال هو ما أوقعهم فيمـا بعد فى الأمور التى انهار بهـا صرح الامامة ، واندك عرشهـا ، وذهبت هيبتهـا ، حتى اتصلت الدعوة بملوك العراق فسيقت الجيوش على عمان ، ويملك أهل الباطل عرش الحق ، وعاش فى عمـان محمد نور الذى يسميه أهل عمـان محمد بن بور بالبـاء الموحدة ، وأعوانه كبيحره الفاسق ، وتلتهم بنو بويه الذين عاثوا فى البلاد بغير حق ، وداسوا كرامة المذهب الصحيح الى أن انتهى الأمر بالقرامطة الذين كملوا القاصر ، وأنهـو الأمور الى حدهـا ، وصارت عمـان بعد ضياء الحق ظلاما دامسا وليلا مظلمـا ، وأصبح دين المسلمين كالشمس فى السحاب ، وكالنور داخل الحجاب ، ولم تبق كرامة لأهل عمـان إلا وأقدام البغى تطأ عليهـا ، ثم تلتهـا بنو نبهـان الجبابرة العتـاة ، والفسقة الطغاة ، الذين لا يعرفون من الحق إلا اسمة ، ولامن الدين إلا رسمه ، وهكذا يسلط الله الفراعنـة على المؤمنين والجبابرة عـلى

المسلمين ، والظلمة على المصلحين ، لتتم إرادته عز وعــلا ، وتكمل سنته سبحانه وتعــالى ، وسوف ترى تحقيق مــا قلنــاه فى محله ولله أمــر هو بالغه ، وحكم هو نافده •

قال أبو المؤثر ، وأبو قحطان : إن راشد بن النضر نصب إمامــا مرة ثانية أى بعد مــا عزل وخلع من الامامة عادوا اليــه ونصبوه مرة أخرد ، ثم أيضــا عزلوه فظهر أنهم نصــبوه مرتين وخلعوه مرتين ، قال الامام : وظاهر كلامهما أى كلام الامامين أبى المؤثر وأبى قحطان ، وظاهر الأحوال أيضــا تشهد أن هــذا النصب أى الأخير كان بعد مــا قتل الامام عزان بن تميم ، وبعد مــا خرج ابن بور من عمــان ، واستعمل عليهــا عماله ، وقال أبو المؤثر بعد أن ذكر مــا ذكر : قدموا راشدا إماما ثانية على غلطه وخطئه ثم ضللوه وعزلوه ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم إماما بدله •

وقال أبو قحطان : رجعوا الى راشد من بعد أن كان فى الســجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا ، فعقدوا الامامة وقصروا الجمعة وجبــوا الزكاة ، قال : وباع راشد الصوافى جمع صافية ، وهى الأراضى والدور التى جلا عنهــا أهلها ، والأموال التى عادت الى السلطان باستخلاصه إياها ، وهــذه حكمها أن تكون لبيت المــال لفقدان المالك لهــا ، أى تكون مجهولة الأرباب ، فأمره فى زمن الامام الى الامام ، لأن الامام قائم بمصالح المسلمين ، نازل منزلة الكل ، قاسم بين الأمة الارزاق المنوطة بــه خاصة •

واعلم أن أصــل بيت المــال هو بيت أعــده أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رحمه الله ، ليدخل فيــه الخراج من الأراضى التى اغتنمهــا المسلمون من المشركين فحبسوهــا لمصــالح الأمة ، الى أن توزع الى مستحقيها ، ويدخل فى معنى بيت المــال المغانم التى كانت تســاق فتجمع فى ذلك البيت المعد لهــا الى أن توزع الى مستحقيها ، ثم قضى عمر بن الخطاب للناس على قدر الاستحقاق ، فرفع من استحق الرفع عن مستوى غيره ، وخفض من استحق الخفض كذلك ورتب ، النفقــات وكانت مطلقة لا راتب لهــا ، بل كان اذا جاءت غنيمة أو خراج من بلد قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مستحقيه ، كمــا حكم القرآن للراجل والفارس ونحوهمــا ، وسهم ذى اقربى خاص بهم ، فأعطى عمر المجاهدين حقهم ، وأعطى القاعدين مستحقهم ، ويلتحق بذلك الزكاة والكفارات والنذور فى بعض الأحوال ، واتفق ذلك وشاع حتى صــار عرفا عاما جامعــا لكل خراج الدولة ، قــال أبو إسحاق : والأقوال المجهولة الرب تعــود الى بيت المــال أ هـ •

وهنــا الكلام على بيع راشد بن النضر للصوافى التى هى خاصة بيت مال المسلمين فى معرض النقد على البائع وأعوانه ، قال أبو المؤثر : فهــذا من العجب العجيب من أفعــال أهل عمــان • قال : ثم خــذوه وتركوه ، ثم خلعوا معــه الامامة وفرضها ، ومــا أجب الله تعالى فيهــا على أهلهــا لعبــا ولهوا ، كلمــا أرادوا صافقوا رجــلا ببيعة ، ثم خذلوه انتهى المراد من كلامه •

قلت : هــذا نوع من اللعب والبيعــة عهد فى أعنــاق الذين يبايعون لا يجوز لهم نقض عهد الله ورسوله بغير حجة ، ولا يصح لهم ذلك بحــال من الأحوال حتى يتحقق موجب العزل ، فان تحقق وجب أن يتوب

الامام ، فان تاب لم يصح عزلـــه إلا إذا تاب فى الظاهر ، وخالف فى الباطن ، فانه ان خالف فى الباطن تبينت خيانته ، وظهرت الحجة عليـــه بذلك فهـــو على هـــذا مصر لا تائب ، بل تضاعفت الحجة عليـــه بدعوى التوبة وظهور الخيانة فى الأعمـــال بعد التوبة ، كقضية عثمان بن عفان أن هـــذا الحال يمجه حتى أقل النـــاس ، حيث يبايعون اماما ثم ينقضون بيعتـــه بغير موجب ، وسيأتى من هـــذا النوع مـــا نطلق عليه الامامة المستضعفة ، كمـــا سوف تراه ان شاء الله ممـــا تحتار فى تصويره ، ويسأم التاريخ من ذكر مثله ، ولكل زمان أعمال ، ولكل وقت خصوصيات ، وللعدل أوقات كما للجور كذلك ، والله يعلم المفسد من المصلح والله يتولى من عبـــاده الصالحين .

افتراق أهل عمــان الى رستاقية ونزوانية

اعلم لمــا كان موسى بن موسى بن على وراشد بن النضر اليحمدى مــا كان وفعلا مــا فعلا من خروجهمــا على الامام العــادل الصلت بن مالك ، وتوليتمها الأمر عنــه وتركه مضاعا بغير موجب ، اختلف العلماء فى أمرهمــا وطال الجدال بينهم ، وكثر القيل والقال فيهمــا ، فرأى فريق خروجهما باطلا إذ كان خروجا على الامام العــادل الذى ثبتت إمامته باجماع ، ولم يقترف موجبا لخلعه ، وزعيم هــذا الفريق الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمى البهلوى ، ومن وافقه وتبعه وأخذ عنــه كأبى الحسن على بن محمد البسيانى صــاحب الجــامع المعروف •

قال الامام : وتبعهم على ذلك خلق وسميت فرقتهم الرستاقية ، قال : وعارضهم من أهل عمــان فريق كان زعيمه الشيخ أبو سعيد الكدمى ، وأبو عبد الله محمد بن روح بن عربى ، وتبعهم أيضــا ناس وسميت فرقتهم النزوانية • قــال : وفيهم ألف أبو سعيد رحمــه الله كتاب الاستقامة ، فان الأولين أوجبوا البراءة من موسى بن موسى وراشد بن النضر ، وألزموا النــاس ذلك بدعوى أنهمــا خرجا على الامام العــادل الذى ثبتت إمامته بالاجماع ، فالخارج عليــه باغ بالاجماع ، والبراءة من الباغى واجبــة بالاجماع • قال : ورأس هــذه الفرقة وعميدها الذى اشتهر فيهــا أبو محمد إلخ ، فعارضهم فى ذلك الامام الكدمى رحمه الله ، قال : ونقض عليهم مقالتهم هــذه أهل الحق ، وردوا عليهم غلوهم ، فتراه سماهم رحمــه الله أهل الحق ، وسمى مــا عليه الأولون غلوا الخ •

قال : وألف أبو سعيد الكدمى كتاب الاستقامة فى الرد عليهم ، قال وتبعهم أبا سعيد وحزبه على ذلك ناس وفقـوا الى الهـدى ، قـال : وبلى أهل عمان بهـذا الافتراق بلاء عظيما . قال : وبقيت الفرقه زمانا طويلا حتى ظهر الامام المتوفق المويد ناصر بن مرشد ، وامات تلك البدعة واحيا منـار الحق ، قلت . على هـذا فقد عاشت فرقتهم واستمر خلافهم لمضى سبعة قرون تقريبا ، بغير موجب ولا داعى له ، ولم يتوقف الدين على ذلك ، ولا كلف الله به عبـاده فى حال من الاحوال ، بل الشيطان ينزع بين الاخوان كمـا نص عليـه القران ، ولقـد انب الامام السالمى ابا محمد وحزبه فى هـذه القضيه ، حتى فى جوهره النظامى وغيره من مؤلفاته الفقهيه ، لم بحث الامام السالمى الموضوع بحثـا تحليليا فقال : أمـا قولهم ان الصلت أمام بالاجماع فهـو كان كذلك لكن خصمهم يدعى أنهم لم يخرجوا عليـه ، وإنمـا خرجوا لمناظرة المسلمين ومشاورتهم فى امره ، وطلبوا منـه أن يعتزل من الأمر فاعتزل غير مجبور ولا مقهور ، وأن للامام أن يعتزل اذا طلب منـه المسلمون ذلك ، فهـذه دعواهم تقل نحن لم نخرج عليـه وأنمـا خرجنا للمناظرة ، ولم نتقدم عليه إماما ، وإنما قدمناه بعد اعتزاله ، فان صحت هـذه الدعوى فهى محتملة فـلا تصح بذلك البراءة من موسى وراشد ، فكيف يلزمونهـا الناس ثم ان هـذه القضية كانت فى زمان قبل ظهور هؤلاء الغـلاة ، فالناس منهـا فى سلامة ، فكيف يلزمونها من ليس له فيهـا ناقة ولا جمل ، وتلك أمـه مضت بأعمالها والله لم يكلف أحدا بفعل غيره .

قال الامام : ولو قيل ان المسلمين فى عصر الصحابة لم يقبلوا من الطلبة بدم عثمان إلا الرجوع عن تلك والبراءة من عثمان ، وتصـويب المسلمين على خلعه وعزله ، أى لضيقوا الواسع . قلنـا : إن الصحابة لم

يدعوا الناس الى البراءة من عثمان إلا بعد اشتهار أحداثه بين الخاص والعام ، فحكم فيها المسلمون بأنها مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلبوا منه الرجوع الى الحق مرارا فكان يتوب ويرجع حتى طلبوا منه الاعتزال فأبى ثم أحاطوا به ليعتزل ، فكان من قدر الله عليه أن قتل ثم ان فريقا من الناس قاموا فى الطلب بدم عثمان بعد ظهور ذلك منه وحكم المسلمين عليه ، فهذه الأحوال التى ذكرها المتبرئون من موسى وراشد لخروجهما على الصلت ، وهى دعاى تحتمل الحق والباطل ، وما تعودوا الكذب ولا يستحلونه ، فمن ها هنا توقف من توقف من أفاضل المسلمين فى أمر موسى وراشد ، لالتباس أمرهما وكل مشكل موقوف عنه ، والواقفون منهم يتولون أولياءهم الذين يتولون موسى وراشدا وأولياءهم الذين يتبرءون من موسى وراشدا لامكان صحة الدعوى عند كل واحد من الفريقين ، ومضى على ذلك ما شاء الله من الزمان •

قال : ثم ظهر أناس بعد ما مضى شاء الله من الزمان ، وبعد انقراض ذلك العصر فغلوا فى أمر موسى وراشد ، وأوجبوا البراءة منهما على الناس ، وقالوا لا يسع جهل الحكم بحدثهما لأنهما خرجا على الامام العادل ، وهو امام بالاجماع ، والخارج على امام بالاجماع باغ بالاجماع والبراءة من الباغى بالاجماع واجبة بالاجماع ، قال : والطالبون بدم عثمان إنما طلبوا الدولة والملك وجعلوا الطلب بدم عثمان ذريعة لهم ، وتستروا بذلك عند العوام ، فكانت بذلك فرقة عظيمة فى الدين ، فالطالبون بدم عثمان كلهم فى ظاهر الأمر يتولونه على أحداثه ، ويبرءون من المسلمين القائمين عليه وعلى حكمهم عليه بحكم الله ، فمن هناك

لم يعذروا أهل تلك الفتنة إلا بالبراءة من عثمان وأشياعه ، وبعد انقراض تلك الفتن وذهاب تلك الأمم ، لم يلزموا الناس أن يحكموا فى عثمـان وأشياعه بحكم إلا من يلزمه العلم القاطع بحدثهم ، وعرف الحكم فى ذلك ، فان يلزمه أن يحكم فيهـم بحكم الله لأداء الواجب من فرض البراءة . وأمـا الجاهل بحدثهم وحكم حدثهم فلا يلزمه منـه شيء ، وانمـا يلزمه أن يتولى المسلمين على ولايتهم لمن تولوا ، وبراءتهم ممن برءوا منه ، وهؤلاء الغلاة ألزموا الناس البراءة من موسى وراشـد بعد مضى ثلاثة قرون ، فحكمهم فى ذلك مخالف قطعا لحكم المسلمين فى أشياع عثمـان . لأن المسلمين يعذرون الجاهل بعد انقراض المحدثين ، ويوسعون لهم فى الوقوف مـا لم يتولوهم أو يعرفوا الحكم فيهم ، وهؤلاء يلزمون الناس الجاهلين البراءة من موسى وراشد بعد انقراض ثلاثة قرون ، وان جهلوا الحكم فيهم قالوا يلزمهم أن يسألوا عن دينهم والبراءة من المحدث واجبة ، فعليهم أن يسألوا عن واجبهم ، قلنـا : ذلك فيمن وجب عليـه وهو أمر خاص لا يعم الناس كلهم ، وإنمـا يعم من بلى به ، ثم إن البراءة من الأشخاص ليست مثل الصلاة والصوم ، فانها وان كانت لازمة فانمـا تلزم من وصل الى علم ذلك ببصر نفسـه ، أمـا من وصل اليـه ببصر غيره ، فلا تلزمه باجماع ، وانمـا تلزمه على قول ، ليس لهؤلاء الغـلاة أن يخطئوا أحدا تمسك بقول من أقوال المسلمين ، ثم إن الدين يتم من غير أن نذكر فى اعتقادنا البراءة من فلان وفلان ، بل يكفى أن نعتقـد البراءة من جملة أهل الضـلال .

فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنـاس فى جاهلية عمياء فلم يكن يدعوا إلا الى الشهادتين ثم يعلمهم شرائع الاسـلام ، وكانوا قبل ظهوره يقولون آباءهم وطواغيتهم ، فلم يكن صلى الله عليه

وآله وسلم يلزمهم أن يبرءوا منهم واحدا واحدا ، واسـا يكفتى منهم قبول الاسلام والدخول فى شرائطه ، ويتضمن ذلك البراءة من أضداده ، وقد اكتفى رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم من المشركين بقبول الاسلام ، ولم تكتف الغلاة من المسلمين إلا بالبراءة من موسى وراشد . قلت : وفى هـذا الحال تضييق للواسع والزام لمـا يلزم قبل أن يلزم ، قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان ويحجوا البيت ، فاذا قالوهـا فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقهـا وحسابهم على الله » وفى الحديث الآخر : بنى الاسلام على خمس .

وممـا وسع شقة الافتراق الفضل بن الحوارى ، وكان قبل الفتنة لا يختلف فى فضله وعلمه ، وقد أخذ عن أبى عبد الله بن محبوب رحمه الله ، وكان فيمـا مضى أيضـا قريبا لعزان بن الصقر حتى قال فيهمـا القائل إنهمـا فى عمان كالعينين فى جبين ، أى همـا سواء لا يفضـل أحدهما على الآخر ، وهما زينة الجبين ، والجبين هو عمـان ، والعينان أولئك الشيخان ، فمـات عزان بن الصقر قبل الفتنـة ، أى فسلم من بليتها وابتلى بهـا الفضل بن الحوارى ، فكان يمشى فيهـا مشية البعير فى قيـده . قال الامام : وأدركهـا الفضل فأصاب منهـا ، بل قتل فى وقعـة القـاع فى امامة عزان بن تميم . قال : وكان الفضل يرى أن لموسى مـا صنعه من عقـد الامامة لراشد بن النضر ، وكان يقول : ان موسى عالمهم وانه الحجة عليهم ، وعنـه أى الفضل المذكور أن الفريق الذى رأى عزل الصلت ابن مالك أو قال إنه اعتزل أثبت امامة راشد وعقدته إلا شيخ نفسه ادعى أنه لا يجوز عزل الصلت ، ولا تقديم راشد إلا بحضرته وعلمه ، وحتى تعرض عليه الأمور .

قال الامام ، وكأنه يلوح بهـذا الكلام الى أبى المؤثر ، قال : وقد بلغنـا عن شيخ نفسه أنه قال مرة : ان كان الصلت حل عزله فراشد امام ، قال : وبلغنـا عنه حينا أنه لا يقبل ذلك حتى يصح ذلك معـه ، وهـو كان غائبا عن ذلك ، إلا لن فريقا ممن ينتحل العلم والبصر فى الدين كانوا معا على الصلت مع من عزله يحثونه ويأمرونه ، فلمـا عزلوه رجعوا والدنيا أمام العـامه إلا من شاء الله ، وكان الفضل بن الحوارى يحتج لراشـد ابن النضر ، ويثبت إمامته ، ومن كلامه فى كتاب كتبـه لراشد بن النضر يقول فيـه بلغنا أنهم يحتجون عليك أن الامامة لم يجتمع عليها ، ومـا لهم بذلك عليك حجة ، ولا على من معك ، لأن الامامة ليست مشتركة لجميع المسلمين ، إنمـا هى لمن حضر منهم • قلت : هـذا الكلام مـا فيه من المقـال لأهل الجدال أن الامامة من الأمور الجامعة المجتمع عليهـا التى لا تقوم بأفراد الناس ، ولو كانت الامامة تقوم بأفراد لكـان لكل أحد أن يقوم فينصب اماما ويلزم المسلمين امامته ولا قائل بهـذا نعم إنمـا يثبت إذا قـام بهـا من أهل العلم الذين هم مرجع الأمة ، فاذا عقـدوا على امام كانوا حجة فى عقدهم إذ كانوا مرجع المسلمين من أول الأمر ، فهم إنمـا أيدوا هـذا المرجع بالامام الذى اختاروه لأنهم اختـاروا للأمة لا لأنفسهم ، وليس للأمـة أن تعـارض الصـلاح اذا تحقق • قـال : إنمـا هى لمن حضر منهم العقـد ، ولم يخرج عنهـا إلا غائب عنهـا من المسلمين ، أو مضاد لهـا منا ولأهلها ، وذلك حرام فى الدين ، لأنه أخطأ سبيل المسلمين ، وباين منهجهم ، وأمـا الغائب فلم يكن لهم أن ينتظروه •

قـال : ولو كانت لا تعقد حتى يتوافى اليهـا جميع المسلمين ، كان جميع الأئمة ومن قد مضى قد أخطأوا ، قال : وهـذه دعوى باطلة ،

لأن التقديم والعقد إنمـا هو لمن حضر من أهل العلم والقدم فى الاسلام وأعلام المسلمين • قلت : نعم اذا قام بهـا من هم حجة على غيرهم جازت عقدتهم أو وجبت ، إذ رآهـا المسلمون صحيحة وأيدوهـا ، أمـا اذا انفرد واحد من أهل العلم قطع عقـد الامامة عليهم ، فلهم النظر فيمـا فعل ، فان رأوه حقـا تتبعوه ، وان رأوه باطلا تركوه ، وممـا كان من موسى وراشد بن النضر ، ممـا يوجب العزل ويوسع نطـاق الافتراق بين المسلمين المسـلك الذى سلكه الامام المذكرر راشـد بن النضر من الأفعـال الشنيعة التى لم يرض المسلمون فعلهـا ، فكيف أوجب ابن بركة البراءة من راشد وموسى إيجابا يحتمونه على الكل ، ويفرضونه على عبـاد الله تعالى ، ويقولون بوجوبه على المجتهـد والمقلد ، لأن الامام بالاجمـاع يكون الخروج عليه بغيـا بالاجماع ، والخارج عليـه باغ بالاجماع ، فالبراءة من الباغى بالاجمـاع ثابتـة بالاجمـاع ، والله يقول : (تلك أمة لهـا ما كسبت وعليهـا مـا اكتسبت) ويقول عـز وعلا : (ولا تسألون عمـا كانوا يعملون) . (ولا تزرى وازرة وزر أخرى) فى أمثالهـا إلا من علم علمـا قطعا ، وأين ذلك بعـد ذهاب ذلك الجيل ، وإنمـا كان الافتراق تشويشا على الاخوان من أهل الدين والايمـان ، وبالجملة فان النفوس اذا أغراهـا الشيطان على فعل شيء تعمى عمـا وراءه وتتهافت الى هواهـا ، وإلا فمـا للافتراق وقد سلم منـه المفترقون عليه ، ومـا الداعى عليـه ، وكان الواجب أن يقـال تلك أمة دانت بمـا يلزمهـا حسبما ظهر لهـا ، ونحن الآن فى عهـد غير عهدهم ، فلم نبعث داء دفنتـه تلك الأيام الخاليـة ، وقضت عليه تلك العهود الماضية ، وأى جدوى فى ذلك علينـا أن نستقبل الحق فى عهدنا ونتحـامى لأنفسنا مهمـا استطعنا ، ونعمل لمستقبل ديننـا ودنيانا ، فمـا لنا نرجع على

الورى نبكى على الماضى بكـاء الشيعة على الحسنين وفى أيامهمـا كمـا يقول الشاعر العربى :

إنى أخـالك بعد الموت تندبنى
وفى حيـاتى مـا زودتنى زاد

إن هـذا لا يسح له عاقل ، ويشتغل به الكامل ، ولا يعمل بمـا هو من نوعه الا جاهل ، حتى قام هـذه القضية الامام العـلامة أبو سعيد الكدمى رحمه الله ، وشدد الوطأة على أهل الباطل ، ورد عليهم ردا نقض به بناءهم من أساسه ، حتى تلاشت تلك الدعايات واضمحلت تلك المخالفات ، وجمع الله الشمل على الحق ، وأعدم الله النصير لتلك البدعة ، ومضى أهلهـا وانتهت بهم ، وسلم الناس بواعث السر ، وأذهب الله إغراءات الشيطان والحمد لله على كل حال • قـال شيخنا رحمه الله وغفر له :

وافترقت مـن فعلهم عمـان
وعسـها الفتنـة والخـذلان
فكانت الفرقـة فيهم باقيـة
وعن قضـاء الله مـا عن واقيه

إعادة راشد بن النضر للامامة بعمان مرة أخرى

اعلم أن أهل عمـان أمرهم عجيب وغريب فانهم لم يزالوا فى تقلب بالأمور وفى تناقض على المنـازل ، وهـذا من الداء الدفين فى النفوس غير الصافية ، فانهم أقاموا راشد بن النضر اماما بدلا من الصلت بن مالك الذى وسموه بالعجز والضعف ، وأضافوا اليه ما شاءوا من الأحوال ، وأنه ولده شاذان كان يتدخل فى الأمور باسم الصلت بن مالك ، وأنـه ولد يستند على سلطان أبيـه ، وأن أباه يعلم منـه أفعاله ، وكان موسى ابن موسى رأسا كبيرا فى أيامه تخضع له رؤوس كثير من عمـان ، فدخلوا عليه من هـذه النواحى ، وتجمعوا بفرق ليعلم الصلت بن مالك أنهم قاصدوه وغير تاركيه ، فاعتزل لأن الحر تكفيه الاشارة ، أمـا العبـد فيقرع بالعصا فلمـا تخلى الصلت من الأمر قلبوا له ظهر المجن ونسبوا اليه التخلى من الأمور بغير حجة ، وأنه أضـاع أمر المسلمين فحل لهـم نصب امام يقوم بالأمر بعـده ، فبيايعوه راشدا بن النضر ، ودخلوا نزوى بامامهم الجديد وتولوا الأمر بغير منـازع ، وكان له فى الأمر فوق أربعة أعوام ، ثم انقلبوا عليـه حتى هاجموه فىدار الامـارة ، وقبضوا عليـه وضربوه بالسياط ثم أودعوه السجن فبقى فيـه سجينـا ، ثم أخرجوه وبايعوه مرة أخرى من غير أن يحققوا عليـه جرما أو ذنبـا ، فيؤخذ به ، ثم يتوبونه منـه ، لا بل كل ذلك لم يكن ، وإنمـا عادوا عليـه بعد تلك الأحوال السيئة ، وهى خلع وحبس وضرب ، ثم يكون بعد ذلك إماما بغير توبة ، يعلمها المسلمون أن هـذا من الغرائب التى يضحك منهـا أهـل العقـول .

قال الامام فى تحفة الأعيان فى الجزء الأول صحيفة ٢٣٤ لأربع وثلاثين ومائتين : تجمعت اليحمد وبنو مالك بن فهم والعتيك ، وسارت الى راشد فى دار الامامة بنزوى ، فأسروا راشد بن النضر بعد أن هزموا أعوانه وفضوا عساكره ، وعزلوه من الامامة ، وقال فى صحيفة اثنتين وأربعين ومائتين : كان أى راشد فى السجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا أفضى الحال براشد بن النضر الى هـذا الحال ، وقد قدمنـا لك أنهـم لم يثبتوا عليه [مـا] يحتجون به عليه عند المسلمين ، وإنمـا قدموه كمـا شاءوا وعزلوه متى شاءوا ، ثم قدموا الصلت بن القاسم اماما بدلا من راشد بن النضر الذى كان اماما لهم بدلا من الصلت بن مالك ، وقبضوا على راشد بعد مهاجمة له وقتال دار بينـه وبينهم ، ثم تمكنوا منـه ووضعوا عليه الحديد ، فقيدوه وأودعوه السجن ، أبعد الضرب والقيـد تكون إمامة ، ومـا لهـذا الامام يرضى بهـذا بالأمس يضرب ويسجن ، واليوم يعود اماما سبحان الله .

إمامة الصلت بن القاسم بعد راشد بن النضر

لـما تمكن القائمين على راشد بن النضر من القبض عليه ، وأروه من سطوتهم عليه ما أذله وأخبره أنه أسير رغبتهم ، وتحت قهر سطوتهم ، ولحقه من السوء ما لحقه منهم ، وأيقن أنه على شفا جرف هاو فانهار به فى الحضيض ، وشفى الثائرون عليه أمراض نفوسهم المتحمسة عليه بمن قتل فى الروضة ، ومن أجرم عليهم راشد بـن النضر فى حـال امامته • رفضوه ثم بايعوا بعده الصلت بن القاسم اماما وكل أمرهم منوط بالزعيم الأكبر موسى بن موسى : وكأن القاسم لم يعجبهم فخلعوه ، ولم يرتضوا منه مارأوه من أعماله ، وظاهر كلام أبى المؤثر أنهم أعادوا راشد بن النضر فى الامامة ، ثم عزلوه ثانية ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم بعد العزل الثانى لراشد بن النضر ، ولعلهم لما قيـدوه وضربوه وحبسـوه ليؤدبوه ، فلما أدبوه وشفوا أنفسهم ردوه على الامامة ، ورأوه مصالحا لها بعد تأديبه التأديب الشاق ، وأعيد للعمل مرة أخرى •

قال الامام رحمه الله حاكيا عن أبى المؤثر : قدموا راشـدا اماما ثانية على غلطه ، أى فى أحكامه وخطئه ، فى أعماله ، ثم ضللوه أى قالوا هو ضال ثم عزلوه ، أى بعد ما صح ضلاله ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم اماما • قال الامام : قال أبو قحطان : رجعوا الى راشد من بعد أن كان فى السجن خليعا مقيدا محبوسـا أسيرا ، فعقدوا له الإمامة وقصروا الصلاة فى الجمعة ، وجبوا الزكاة الى آخر ما جـاء عنهم • قـال ، أى أبو قحطان هذا من العجب العجيب من أفعال أهل عمان • قلت : وأى شىء أعجب من هذا ، فان المسألة من الغرائب لاشتمالها على حق وباطل

واختلاط هذه الأعمال حابلا بنابل ، قال : ثم خذلوه وتركوه وخلعوه وخلعوا الامامة وفرضها وما أوجب الله تعالى فيها على أهلها لعبا ولهوا الخ .
فكأن الامامة ألعوبة من ألاعيب الصبيان ، ما كأن عليها عهد الله ورسوله وخيانة العهد والميثاق أمرهما كبير عند الله ، ومن خان عهد الله اقترف ذنبا كبيرا من الذنوب ، وهذه الأحوال من سوءات الرجل ومن سيئات الأعمال ، فان القادح فى المذهب يراها حجـة على أهله ونزاهة هـذا المذهب الصحيح تبى مثل هذه الأفعـال ، وهل قلت الرجال الصـالحون فيبايعونهم بعد مارأوا أحوال راشد ؟ فبعد القيـد والضرب والحبس والتضليل ، يبقى مجال للإمامة ، وهذه الخصال القادحة الفاضحة لا تزال يتداولها ؟ ! ألم يقل العلماء فى اللقيط والزنيم والمولى بعدم صلاحيتهم للامامة ، ولو بلغوا الذروة فى الفضل والعلم واتقوى ، مع أن تلك الخصال لم تكن من العار فى حق المتصف بها ، إذ هى من سبب غيرهم لا من سببهم ذلك لأن منصب الامامة رفيع منيع لا يليق أن يدخل عليه ما يدنسه أو يثلم جانبه بشىء ما .

خلع الصلت بن القاسم من الإمامة

اعلم أن أهل عمان فى هذه الحلقة ، كثر التلاعب عنــدهم بالدين وشاع بينهم التعصب للأهواء المضلة ، فتراهم يصافقون هذا بالامامة صباحا ، ويخلعوه رواحا ، ويعدون لذلك ليلا ، ويتركونه نهارا ويقدمون زيدا اليــوم ويؤخرونه غدا ، وينصــبون عمرا حينا ويتركونه كذلك ، ولا موجب لذلك يعرفه الناس الا أنهم صفا لهم الجــو من الأعــداء ، وكفاهم الله شر الملوك الأقوياء ، وبذلك نسوا ما كانوا عليه بالأمس ، حيث يسأمون الخسف ولم ينتبهوا من تيههم كبنى اسرائيل إذ عاشوا زمنا فى التيه ، فوهت بذلك قوة المسلمين ، وتمزق شمل المؤمنين ، وطمع فى الدولة أهل الدنيا .

ولا شك أن الله ناظر الى صنع عباده ، والى أعمالهم فى بلاده ، فمجازيهم على أفعالهم ، ومنتقم منهم بسبب أفعالهم المخالفة للحق ، المنافية لما عليه سلفهم الصالح ، (وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) ولما بايع أهل عمان الصلت بن القاسم الخروصى بعد راشد بن النضر ، إذ خلعوه لم يطل عهد الصلت هذا حتى خلعوه ، ورفضوه كراشد ، وراحوا يطلبون اماما آخر ليبايعوه ولم يذكروا للصلت هذا موجبا لخلعه ، فكأن الإمامة عندهم كرة يلعبون بها ، ويتلهون فى ميدانها ، والله سائلهم غدا عما يصنعون ، والعجب من هذا الذى يجب أن يتلاعبوا على اسمه إماماً .

إمامة عزان بن تميم الخروصى رحمه الله

اعلم أنه لما خلع أهل عمان راشد بن النضر مرتين ، وبايعوا الصلت ابن القاسم كما قدمنا ، وخلعوه أيضا كما أسلفنا . على غير هـدى من الله ، ولم يقترف اثما ولم يرتكب جرما ، ولم ينتهك حرَماً حتى إذا لم يرغبوا فيه ألقوه وراء ظهورهم كالشىء اللقا ، وهذا شىء لا يقتضيه الدين ، فان استنوا بسنة المسلمين ، فالمسلمون لما رأوا من عثمان ما يخالف منهج أهل الايمان قاموا عليه ، وبينوا ما ينكرون ، وتوبوه الأولى والثانية والثالثة ، حتى تبين لهم أصراره على خلافهم ، ولما تحققوا اصراره قاموا عليه ليعتزل ، فأصر حتى أعذروا فيه ، وأهل عمان هنا لم يعرف لهم مـن ذلك أدنى شىء الا أنهم بايعوا هذا ثم عزلوه مرة ثم عزلوه وبايعوا غيره كما سوف ترى من هذا النوع مانشعَنْونُ له بالامامة المتسضعفة ، ليعتبر بذلك أهل العقول المصفة ، ويَحتزر منه أهل الأذهان الصادقة ، والله يقول لنا : (وكونوا مع الصادقين) . ففى يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين ، وهى السنة التى قتل فيها المهتدى بالله العباسى ، وقيل بل قتل هذا سنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين ، لا سنة ٢٧٧ سبع وسبعين ومائتين ولى هذا فيكون ذلك فى خلافة المهتدى بالله ، وقبل وفاته بسنتين والله أعلم .

قال الامام السالمى رحمه الله : وذلك أنه لما وصل موسى بن موسى نزوى وقد عزل راشد بن النضر ، أجمع رأيهم على أمامة عزان بن تميم الخروصى ، فبايعوا له فى التاريخ الذى ذكرناه ، وهو يوم الأربعاء لثلاث خلون من شهر صفر سنة ٢٧٧ سبع وسبعين ومائتين ، وقام له بالبيعة

موسى بن موسى بن على ، وعمر بن محمد القاضى ، ومحمد بن على أخى موسى بن موسى بن على ، وعزان بن الهزبر ، والأزهر بن محمد ابن سليمان ٠

ولما تمت البيعة لعزان بن تميم ، وتأكد الأمر له وسلمت له عمان ، خرج من نزوى واستخلف عليها شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب ، ووصل الى أزكى وقد مات القاضى عمر بن محمد ، فصلى عليه عزان ابن تميم ، ثم رجع الى نزوى وقام ليركز امامته ويثبت دعائمها ويوطد أركان أمنها ، أخرج أمرا بعزل ولاة راشد بن النضر عامة ، وأثبت موسى بن موسى على القضاء ، وقف عزان بن الهزبر على الأسطول البحرى وجعل نبهان بن عثمان معديا له فى نزوى ، وولى الأزهر بن محمد ابن سليمان صحار وما اليها ، وكان نبهان بن عثمان خطيبا لعزان بن تميم ، وذلك فى صلاة الجمعة ، فان لم يكن حاضرا له عبـد الله بن محمد بن محبوب ، ثم تخوف عزان بن تميم من موسى بن موسى لما يعلمه منه ، وقد عاصره وعلم منه ما علم ، وفهم منه ما فهم ، وبقى يلاحظ الأحوال ، ولما رأى أن امامته استقرت ، وأن دعائمها قد ثبتت التفت الى موسى بن موسى فحول القضاء عنه فهاج موسى لذلك وماج ، ورأى أنه هو الذى أقعد عزان على كرسى الامامة ، واليوم أصبح عزان يحول عـن موسى القضاء ومفهومه أنه لا يريد أعماله ، وليته تأخر لما أخره الامام لكن لابد من وقوع المقدر على الانسان ، فان سياسة عزان هنا غير سديدة ، ولو شغل موسى بالقضاء وألهاه به ربما يسلم من القيام عليه ، فان موسى أصبح يعد نفسه عمدة الزعامة وسيف الامامة ٠

قال الامام : فجمع موسى الجموع فى أزكى ورأى عمل عزان هذا

اهانة لشرف موسى بن موسى الزعيم الكبير الذى له الحل والعقد فى عمان ، فلما شاعت الأخبار عن موسى وجمعه ، قال فى نفسه وربما قال له قائل إن موسى يجمع الجموع ليهاجمك ويخرجك من امامتك صاغرا ، كما أخرج من قبلك والرأى أن يُعاجَل موسى قبل أن يخرج بجمعه اليك ، فزحف عزان ابن تميم على موسى الى أزكى ، قال الامام : فعاجل عزان موسى خوفا أن يفعل به مثل ما فعل بمن كان قبله ، فانه قام على الصلت وعسكر بفرق حتى تنازل الصلت عن امامته حين لم يجد له أعوانا ، وقام على راشد بن النضر أيضا وهذه الآن ثوبة عزان ، فصال عزان على موسى باستعجال ، فخرج بمن معه من نزوى ، وأطلق اللصوص الذين فى سجن نزوى وسلحهم وخرج بهم ، وجيش جيشا فما شعر موسى الا والقوم فى أزكى ، فدارت رحى الحرب بينهم ، وكانت المعركة الكبرى عند حصيات الردة ، عند مسجد الحجر من محلة الجنور من أزكى ، ولما قتل موسى انكسر علم القوم وسقط العمود الذى قام عليه ذلك البناء المنيع ، وهنالك صال أصحاب عزان صولة المنتصر ، فقتلوا من أهل أزكى رجالا ، وسلبوا أموالا ونهبوا بيوتا وأحرقوا أناسا بالنار ، ولعلهم الذين لم يخرجوا من بيوتهم وقبضوا عليها وفعلوا أفعالا شنيعة فى الأمة على خلاف ما عليه المسلمون ، ولم يفعل مثلها أحد فى عمان ، ما علمنا وذلك من ضغائن تقدمت بين الأحياء ، وآوى عزان أهل تلك الأحداث وانكرها عليه المسلمون حتى انه اتخذ المحدثين أعوانا وأنصارا ، وأجرى عليهم الانفاق ، وطرح انفاق من تأخر عن المسير الى أزكى ، وعاقب من عصاه وأنكر أهل العلم على عزان ، فعله هذا وكان عليه أن يحضِّر أهل العلم ويناظرهم فيما بلغه عن موسى ، ويعتمد على رأيهم وهو واحد منهم ، ثم لما رأى أن يعاجل موسى فليقدم عليه بشراة المسلمين لا باللصوص ، ثم له أشياء ليس له أن يتعداها ، فان

حرق المسلمين بالنار لم يفعله المسلمون فى أحد من الكفار ، فهذا لا يصح شرعا ، وان كان وقع من معرة الجيش ، فعلى عزان وهو الامام أن ينصف من الفاعل ، ويعاقب الجاهل الذى يتغطرس على الناس ، ويفعل مثل هذه الأمور الشنيعة ، وكانت هذه الوقعة يوم الأحد سنة ٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين فى آخر ليلة من شعبان من السنة المذكورة .

ولما كانت هذه القضية فى صالح عزان ، وقتل فيها موسى بن موسى رأته فاستوحش الناس لذلك ، وخاصة النزارية ومن كان مواليا من النزارية ومن شايعها كبيرا لا سيما أن القتل شمل كثيرا من الناس ، ونهب وحرق أناس بالنار رأوه شنيعا ونفخ الشيطان فى أدمغة القوم ، وأضرم نار الحقد ليمزق الدين ، ويهلك المتدينين .

قال الامام : وذلك حين قُتل موسى بن موسى بأزكى ومن معه من قومه اليمانية ، قال فخرج من أجل ذلك الفضل بن الحوارى السامى ، الى ناحية السر ، ليستجيش من هناك ويبرم الآراء مع من يميل اليهم ، وخرج زياد بن مروان السامى الى سر ، أى خرجا متسللين مختفيين عن الناس ، قال : وخرج أبو هدية من الباطنة ولحق بالفضل بن الحوارى ، ولحق الحوارى بن عبد الله السامى بالفضل بن الحوارى ، ولحق الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى بجبال الحدان ، وجمع بها اناسا كثيرا ، ثم خرج الفضل بن الحوارى السامى الى توام أى البريمى ، فاستعان ببنى عوف بن عامر بن صعصعة . فأجابه منهم ناس كثير ، واجتمع معه ناس كثير من السر من بنى سامة وغيرهم ، قال : وكان اجتماعهم بتوام ، ثم خرج الفضل بن الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى ، وعزموا على محاربة عزان بن تميم فخرجوا حتى صاروا بينقل من جبال الحدان ،

فبايعوا الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى، وقاموا لمحاربة عزان ابن تميم فخرجوا بمن يريدون صحار يوم سادس عشر من شوال سنة ٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين ، ودخلوا صحار يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر ، أى شوال وذلك يوم الجمعة ، وحضرت صلاة الجمعة فصلى بالناس زيد ابن سليمان ، وخطب الناس ودعا للحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى على المنبر ، وأقاموا فيها بقية الجمعة والسبت ، وشاع خبرهم هذا ، وكان عزان ابن تميم مراعيا لحركاتهم وسكناتهم ، وقد تيقن منهم الشقاق ، والخلاف ، فأقام لحربهم .

قال الامام : وذلك أن عزان بن تميم لما سمع بخروجهم جمع جموعه وجهز جيشه ، فوجهه تحت قيادة الأهيف بن حمحام الهنائى ، وسليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، فى جماعة من ولد مالك بن فهم ، وفيهم النضر بن منهال العتكى الهجارى على العتيك، وشاذان بن الصلت على اليحمد، وأمر الجيش كله بيد الأهيف بـن حمحام الهنائى فى جميع قومه مـن بنى هناءة بن مالك وسائر ولد مالك بن فهم ، وكان جيشا كثيفا وعسكرا ضخما ، فلما بلغ الحوارى بن عبد الله والفضل بن الحوارى مسير هذه الجموع اليهم ، وأنهم الآن بالقرب من صحار ، اذ كانوا نازلين مجز منها بالجانب الشرقى ، أى فى منازل آل مالك بن فهم خرج الحوارى بجيشه ، وكان جيشه كما قال الامام : عسكرا ضخما ، أى يجمع أكابر أهل عمان . قال فالتقوا بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وحملت اليحمد والعتيك فى الميمنة والقلب ، وحملت بنو هناءة وسائر ولد مالك بن فهم على المسرة ، قال : فما كان يسمع الا طنين السيوف على صفائح الدرق والحلق والبيض ، وارتفع بين الجيشين غبار عظيم ،

حتى ستر الشمس ، ودارت بينهم حرب من أشنع حروب أهل عمان إذ ذاك ، ليهلك فيها أبطالهم ويموت فيها رجالهم ، حتى انجلى القتال عن قتلى كثيرة من أعيانهم ، وأبلى فيها ابن بلال بلاء عظيمـــا أعنى سليمان بن عبد الله بن بلال فيمن معه من أهل بيته ، وحمل فشد على الريان بن محجن السامى ، وكان من فرسان بنى سامة فطعنه فى لبته فأرداه قتيلا عن فرسه ميتا ، وانهزمت النزارية هزيمة لم ير أقبح منها ، وأسر منهم كثير ، وقتل منهم فى المعركة أعيانهم وصناديدهم وأهل البأس فيهم •

قال الامام : قتل منهم فى المعركة ستمائة قتيل ، وقتيل من اليمانية وأصحابهم خمسة وثمانون رجلا ، وقتل فى الوقعة الحوارى بن عبد الله ، وورد ابن أبى الدوانيق ، ويحيى بن عبد الرحمن السامى ، ومحمد بن الحسن صاحب الراية الكبيرة وكان فارس الكتيبة ، وناس كثير من بنى سامة من وجوههم وأعيانهم ، وقتل صمصعة بن عوف العوف العامرى ، وموسى بن عبد الله الواشحى فى خلق كثير من بنى عمه ، وقتل سعيد بن المنهال الفجمى ، فهؤلاء هم وجوه المقتولين •

قال الامام : وأما من عداهم فلا تأتى عليهم التسمية ، أى هم كثيرون ، قال : وقتل من أصحاب الأهيف بن حمحام محمد بن يزيد اليحمدى ، من أهل تنعم ، ورجل من العتيك يقال له منبه بن خالد ، وجماعة من الآخرين ، وقيل إن الفضل بن الحوارى لما ترائى بعسكر اليمانية من أصحاب عزان ، قال : يا لهفى على الدنيا ما تزودت منها ، ولقد جاشت نفسى كناية عن موته ، والمعنى أيقن بالموت ، قال : وكان أول قتيل من الوجوه فى المعركة ،

وانفلت محمد بن القاسم ليكون داعية الشر لأهل عمان ، فطار على بعير حتى نزل توام كما يقال : بعض الجبن شجاعة ، ولو جلس لقضى عليه فينطفىء جمرهم المتقد ، وتخمد نارهم الحامية ، ثم لحقه بشير المنذر الى توام ، وكان هذان الرجلان من جمر جرنان وفى هذه الأثناء قيل مـا من فتنة فى عمان إلا وأصلها من جرنان ، فصارت مثلا فى عمان ، قال : وخرجا الى البحرين ، وكان بها محمد بن نور بضم النون ، وهو الذى يسميه أهل عمان محمد بور بقلب النون باء موحدة ، وكانت هذه الوقعة فى عمان من أعظم الوقائع المشهورة ، وذلك لأن القتل فيها كان على الزعماء من أهل عمان ، إذ خرج فيها الأعيان والأكابر بخلاف غيرها التى يكون القتل فيها على الجنود المرتزقة غالبا ، فلا تكون لهم شهرة مثل ما إذا كان القتل فى الرؤساء المشاهير ، والزعماء المطاعين ، والرؤساء المتبوعين ، فلذلك كان أمر هذه الوقعة مثار الضغن ، ومناط الحقد بين أهل عمان كما قال المؤرخون لهـا .

قال الامام : هذه الوقعة المعروفة بوقعة القاع ، من ظهر عوتب بالخيام من صحار ، وهى من الوقائع المشهورة المذكورة بعمان ، وكانت هذه الوقعة يوم الاثنين من شهر شوال لأربع ليال بقيت منه ، فكان بينها وبين واقعة أزكى التى قتل فيها موسى بن موسى ومن معه شهر رمضان فقط ، وكلاهما على بنى سامة ومن معهم ، وقد قضى فيهما على الأعيان منهم وهكذا أبطالهم وسُقِط فى أيديهم ، ورأوا أحيط بهم ولم تقم لهم بعد هذه الوقعة بعمان قائمة لها معنوية لأنهم بعد قتل موسى بن موسى سقط عمودهم الأكبر ، واندقت عصا قوتهم ، وأين أزكى منهم وهم منهزمون فى صحار ، وقد اشتد ساعد عزان بن تميم عليهم فى هاتين الواقعتين ، وهم جمرة حامية لا تنطفىء بسهولة ، فلذلك فر مـن فر منهم الى محمد بن بـور والى

البحرين مستصرخا للمضرية نظرا الى العنصرية القبائلية ، وأغروه بألسنة معسولة حتى يتم لهم الأمر الذى حاولوه ، وهو الزعامة الكبرى التى ينشدونها لكونهم من سامة بن لؤى بن غالب القرشى ، وكونهم من أهالى جرنان التى هى قلب عمان ، وأنهم السادة فيها ، ولهم الحل والعقد فى ايجاد الامامة ومحوها من عمان وهم المسئولون قبل غيرهم •

عزان بن تميم يتعرض لحرب عظيمة فى عمان

لما انتصر عزان بن تميم فى موقعة أزكى التى قتل فيها موسى بن موسى الذى كان يخشاه ابن تميم ، وتجمع الموتورون من عزان لأخذ ثأرهم بزعمهم من أنصار ابن تميم ، وأثار عزان عليهم جيشه فهزمهم بالقاع من صحار شر هزيمة ، وقتل رجالهم وأبطالهم ، إذ خرج عليهم الأهيف ابن حمحام قائد لجيش عزان وهنا تعمق الشقاق بوقعة القاع ، وتأصل الافتراق بين اليمانية والنزارية ، فكان من على نهج بنى سامة نزاريين من كـان على نهج اليحمد يمانيين ، ونادى الشيطان بينهم بذلك ، فما كان يعرف إلا اليمانية والنزارية ، وذلك لسوء حظ عمان .

قال الامام رحمه الله : لما قتل من قتل من النزارية وغيرهم بالقاع ، اشتد الأمر على النزارية ومن معهم ، وخرج محمد بن القاسم وبشير بن المنذر الساميان بن لؤى غالب ، وهم عشيرة موسى بن موسى الى البحرين ، وبها محمد بن نور عاملا عليها للمعتضد من ملوك بنى العباس ، فشكيا اليه ما أصابهما من الفرقة اليمانية ، وسألاه الخروج معهما الى عمان وأطعماه فى أمور جليلة ، قلت : هى ملك ، عمان ولعلهما أغرياه على خصمهما ، وربما قالا له إن عمان كانت تابعة لبغداد ، وربما ذاكره بالواقع من أهل عمان فى قتل عيسى بن جعفر ، وأن الرشيد هم بحرب عمان إلا أن الأجل لم يسعفه ، ومن هذا وأمثاله وأنك اذا فتحت عمان كبر بها شأنك وعلا بها قدرك عند السلطان ، وأن الحجاج كان منه فى عمان ما كان ، وأنت لست دونه والغاية التشفى النفسى لا غير والعياذ بالله ، ان النفس لأمارة بابالسوء ، ولو لم تقم عمان لهذا البطل المتمرد على عمان لكانت عمـان

هادئة مطمئنة ، ولكن قضاء الله وقدرة جار على الانسان ، وارادته نافذة فما زالا به فأجابهما الى ذلك ، وأشـــار عليهما أن يذهبـا الى الخليفة ببغداد ، ويذكر له أمرهما وأنهما قدما يريدان نصرته ، فسار محمد ابن القاسم وقعد بشير مع محمد بن نور ، فلما قدم محمد بن القـاسم الى الخليفة المعتضد العباسى ، وذكر له الأمر خف له وهش ، ورآها فرصة سانحة تستعيد لهم عمان بعد طول غيبتها عنهم ، وربما أخذته أريحية العصبية للنزارية فأخرج عهدا منه لمحمد بن نور على ولاية عمان ، ورجع من بغداد الى البحرين موفورا من الخليفة العباسى ببغيته ، وأخذ محمد بن نور فى جمع العساكر من سائر القبائل ، وخاصة النزارية ، وحصل معهم من الشام من طى فكان جيشه يتألف من خمسة وعشرين ألفا فيه ثلاثة آلاف فرس وخمسمائة ، عليهم الدروع والجواشن ، وعندهم الزاد الكاف والعدة الوافية ، وعمان فى استقبالهم حتى شاع الخبر فى عمان ، إذ كانت فاتحة آذانها فى أمر هذين الزعيمين ، وما يكون من أمرهما حتى تحقق الحق بمجيئها بمحمد بن نور والى البحرين ، ومن ورائه خليفة بغداد ، وكانت عمان سابقا صار عليها من هؤلاء ما صار ، مما ذكره المؤرخون فاضطربت عمان لهذا النبأ العظيم ، واهتزت من كل جانب خوفا من الشائع الذى لا يدرى ماذا يكون منه ، والاخبار تأتى من بعيد مدهشة هائلة رائعـــــة .

قال الامـــام : ووقع الخلف أى التخالف والعصابية بـــين النزارية واليمانية ، قال : فكانت النزارية ومن كان على رأيهم فى حزب ، واليمانية ومن كان على رأيهم فى حزب ، قال : وتخاذل الناس عن الامام عزان بن تميم ، وانتقضت الأمور وأصبح الداعى والمدعى النزارية من جـــانب واليمانية من الجانب الآخر ، قال فخاف أهل صحار وربما قالوا سيكون

فينا وأول من يواجه هذا الجيش صحار وما حولها من الباطنة ، إذ كانت طريق الغازى لعمان من هناك ، فرأوا أنهم لا قبل لهم بهذا الجيش المقبل عليهم ، فخافوا أن يلتهمهم ويقضى عليهم ، ويسلبهم أموالهم وأولادهم ، إذ حروب البغى ، لا تقف عند حد ، لأن القائد لها البغى ، والباغى إذا انتصر يفعل ما يهوى ، فخرج بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم الى سيراف والبصرة وهرموز وغير ذلك من البلدان ، فارين خوفا من العدو الداهم ، قال : وخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى بولده وحرمه ومن خف معه من قومه ، فركبوا البحر فى بعض السفن حتى قدموا الى هرموز ، فتحصن بها وأقام هناك الى أن اتخذ بها دارا وأموالا ، وآيس من الرجوع الى عمان فاتخذ هرموز وطنا الى أن مات ، ثم ابنه المهدى بن سليمان ، وكان أميرا عليها الى أن مات ، فبقية ولـده بها ، وبعضهم رجـع الى عمان وجاء بن بور بجيوشه من طريق جلفار ، أى رأس الخيمة ، ثـم منها الى توام أى البريمى ، وصلها يوم الأربعاء ليست خلون من شهر المحرم سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين بعد حروب وقعت بينه وبين القبائل القاطعة على طريق مروره ، لأن الجيش ما مر عليه يحطمه طبعا ، وكـان محمد بن نور هذا ليس بأقل من الحجاج بن يوسف الذى عاث فى عمان بتلك الحروب التى شنها على عمان حتى دوخ عمان ، وهذا الحجاج الثانى جاءها ليأخذ دوره فيها جزاء لأهل عمان على ضياعهم لما نجاهم الله عز وجل من الشرلم يلبثوا أن تحرشوا به مرة ثانية ، فجاءهم يتدفق وهم يقودونه من زمامه الى منازلهم والله المستعان .

ثم سحب على أرض السر ونواحيها فسلمت له وواجهته ، ثم منها زحف على نزوى ، وإذا بأصحاب عزان يتخاذلون والناس من يلقى خيرا قائلون له : ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل .

فخرج عزان لمـــا رأى انهيار صرح امامته وسقوط عرش زعامته ، وكأن الخوف عم عمان ، فان أهالى صحار وما حولها كما سبق الكلام عنهم أنهم فروا هم وذراريهم الى بلاد فارس خوفا من شماتة العدو ، فخرج عزان الى سمد الشان من شرقية عمان متحيزا اليها ومستنصرا بأهلها ، ولما وصل محمد بن نور نزوى سلمت له إذ لا إمام بها ولا محارب فيها ، ثم مضى قاصدا سمد الشان ، فلحق بعزان بن تميم فوقع بينه وبين عزان القتال ، واشتد الحرب والنزال ، ومحمد بن نور يرى أنة منتصر إذ جاء عمان وهى خاضعة طائعة ، وعلم أن تتهقر عزان الى سمد الشان انهزام من عزان ، وعلى كل حال أن محمد بن نور قد التف اليه أكثر أهل عمان ، منهم الراغب ، ومنهم الراهب ، ومنهم المداهن ، وكانت المعركة بين محمد بن نور وعزان بن تميم الأربعاء لخمس ليال بقين من صفر من نفس السنة ، وكانت الهزيمة على عزان وأصحابه ، وقتل عزان بن تميم ، وقطع رأسه وبعث به محمد بن نور الى المعتضد ببغداد ، ورجع محمد بن نور الى نزوى وأقام بها فأصبح مالك أمرها وبيده زمامها ، فكان فى نفوس اليمانية ومن يميل اليهم من الحقد ما فيها ، وهنا قام الأهيف بن حمحام الهنائى يكاتب مشايخ أهل عمان ، وقبائلهم من كل مكان ، ويحثهم على اخراج محمد بن نور من عمان ولا يزال يستنهضهم حتى أجابوه الى ذلك وخرجوا فى عسكر ضخم وخميس جرار ، وكان فيهم الشيخ منير بن النير الجعلانى أحد حملة العلم فى أيامه ، وكان بالغا فى السن مائة وعشر سنين ، وكان اجتماع العمانيين فى شرقية عمان ، ومنها خرجوا طالبين محمد بن نور ، وكان القصد أن يسيروا اليه رويدا رويدا ، فـــان خرج من عمان بغير حرب فذاك ، وإلا فيكون النظر فيه ، ولما بلغه الخبر ارتاع الرجل ورأى اجتماعهم عليه لابد أن يكون له أثر ، فخرج من نزوى

فخرج هاربا مرعوبا ، ولا يخفى أن دخوله عمان كان بسبب افتراق أهل عمان ، فان بنى سامة هم قادة جيشه وهم الساحبون له الى عمان ، ومن بقى من أهل عمان كما قلنا عنهم انهم بين راض ومداهن ومتق ، ولما اجتمع أكثرهم على حربه هاله الأمر ، ورأى أنه وقع فى مأزق ففضل الهرب ، ولكن لله أمر هو بالغه وحكم هو نافذه ، أسرع الجيش العمانى للحاق بمحمد بن نور [1] فتلاحقوا فى دماء من الباطنة وهى التى تعرف الآن بالسيب ، فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل فى الفريقين ، والجراح مـن الجانبين وكادت تكون الهزيمة على محمد بن نور وأصحابه ، حتى الجأوه على سيف البحر ؛ فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ركب مددا لهم بعثه اليهم أبو عبيدة ابن محمد السامى ، على كل بغير رجلان ، وذلك لما علم أن أهل عمان قاموا على محمد بن نور والرجل جاء لنصرتهم إذ استنصروا به ورأوه يزحف هاربا عن عمان ، وأيقن بنو سامة أن خروج محمد بن نور من عمان يدير الدائرة عليهم ، ويعيد الكرة لحربهم ، والدماء تورث الحقد والضغائن تثير الشر فلف أبو عبيدة المضريين ومن مـال اليهم بعصبيته لهم ، ولا شك أن الذين أرسلهم أبو عبيدة مددا لمحمد بن نور هم شرارة الرجال وكان من قدر الله أن وصلوا والحرب تدور رحاها ،

---

(١) ذكر هذه القضية صاحب مروج الذهب وان الامام الذى قتله ابن نور هو الصلت ابن مالك خطأ منه فى التاريخ وكذلك لم تكن الحقائق عنده اذ قال فى صحيفة ٢٤٤ فى الجزء الرابع افتتح احمد بن نور والصحيح هو محمد ابن نور سماه العمانيون محمد بن بور قال افتتح عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة الاباضية وكانوا فى نحو من مائتى الف ، وكان امامهم الصلت بن مالك ببلاد عمان نزوى ، وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رءوسهم الى بغداد قلت ما حمل رءوسهم فغير مستنكر حيث حمل رأس امامهم ، وأما ما عدا ذلك فالتحقيق ما ذكرناه والله اعلم ا هـ سـالم .

وقد علا لهبها وطار شررها ، وإذا بمحمد بن نور يحاول الفرصة للهرب ، فلما وصل هؤلاء نزلوا عن ركابهم وسلوا سيوفهم ، ودخلوا الوغا ، فكان من القدر المحتوم أن القــوم فى حــال هزيمة فانقلب الحــال بانهزام العمانيين ، إذ كانوا قد كلوا من القتال ، وركبهم العياء الحسى والمعنوى ، وإذا هــم بالجيش المناصر لابن نور يتراسل ، ولعل وراءه آخر فكان مؤثرا فى نفوس أهل عمان الفشل ، والناس فى الحرب لا يزالون بــين النصر والهزيمة ، على حد السنان ، فرب كلمة تهزم جيشا ، ورب كلمة تكون نفسها جيشا وهكذا .

قال الامام : فوقعت الهزيمة على أهل عمان ، وقتل من أعيان جيشهم القائد الأكبر الأهيف بن حمحام وكثيرون من عشيرته وغيرهم وعمــل السيف فى العمانيين لتأديبهم على تلك الأفعال التى أوقعوها ، فى أنفسهم قال الامام : ولم يسلم من أهل عمان الا من تأخر أجله ، والمعنى كناية عن كثرة القتل فيهم ، وقتل الشيخ الكبير منير بن النير الجعلانى رحمه الله ، وكان أحد حملة العلم من خصوص بنى حضرمى بن ريام ، وكان يسكن جعلان ، وجاءوا به ليهتدوا برأيه ، ويعتمدوا على أنظاره وكانت هذه الوقعة بالقرب من المسجد الجامع من دما من الباطنة ، قلت لا يعرف الآن موضع المسجد الجــامع فيها أما موضع الحصــن فباق معــروف وكأنه قرب الساحل [1] ولعل الجوائح التى خربت الباطنة أتت عليه فخربته والله أعلم .

---

(١) اى المسجد كان قرب الساحل فلعله اجتاحته الجوائح فلم يعــد يعرف مكانه .

وكان ذلك يوم الأربعاء لست وعشرين خلت من ربيع الآخر سـنة ٢٨٠ ثمـانين ومائتين ،وذلك فى خلافة المعتضد بالله أبى العباس أحمد القائم بالأمر ببغداد الذى أخرج محمد بن نور هذا الحرب الى عمان • وانه تولى الخلافة سـنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين ، وتوفى سـنة ٢٩٠ تسعين ومائتين وكان من أشد العباسيين المتأخرين •

قال الامام : ولمـا انهزم أهل عمـان رجع محمد بن نور على نزوى ، وجعل أعزة أهلهـا أذلة ، وسام أهل عمـان الخسف ، قلت لا شك أن عدوا قدر على قهـر عدوه ، وكان قد رأى مـا رأى منـه من المعاداة ، وقاتله حتى أراه الذل والهوان لابد أن ينتصر ، فكان فعل محمد بن نور فى أهل عمـان بالغا حد النهـاية من العنف ، إذ قطع الأيدى والأرجل ، وصلم الآذان وسمل الأعين •

قال الامام : وأحل على أهلهـا النكال والهون ، ودفن الأنهـار وأحرق الكتب ، قال الشيخ أبو إسحاق رحمه الله : من أشـنع الجرائم التى يرتكبهـا هؤلاء الظلمة ومن على طريقهم حرق الكتب فى الاسلام وفعلهم هـذا كفعل الروم الذين كلمـا تغلبوا على قطـر من أقطـار الاسلام بادروا الى حرق الكتب كمـا وقع فى الأندلس وغيره من أقطـار المسلمين متى يتسلط عليهـا العتاة الظالمون ، يرون أن ذخائر العلم أهم شىء ينبغى أعدامه وإفناؤه ، فكـان هؤلاء شركاء أعداء الاسلام فى مثل هـذه الجرائم السوداء الوحشية والهمجية •

قالل أبو اسحاق : فالتشنيع الذى يوجه الى الأوربيين الذين أحرقوا خزائن المسلمين ، يوجه الى هؤلاء • قلت : بل هؤلاء أحرى وبه أحق

فانه لما تغلب الفاطميون على الامامة الرستمية ، فانهم أحرقوا من خزائن الكتب ونفائس العلم ما لم يوجد نظيره ، وكفعل القرامطة أعداء الاسلام لما تغلبوا على المسلمين ، فأنت ترى من هذه الحقائق التى سجلها التاريخ مبلغ الجرائم التى صدرت من أعداء العلم والدين ، ضيعوا كنوزا ثمينة لا تقدر بثمن ، مهما بلغ وهذه سنة أعداء الدين كالمغول وما فعلوه فى خزائن بغداد ، ولكن بحمد الله فان معين الدين لا ينضب ؛ ما دام القرآن موجودا ، فانه الشجرة التى تطول السماء ، وتملأ الدنيا وتجمع الكل تحت ظلها ، وهى التى تؤتى أكلها كل حين بأذن ربها ، ومهما سعى أعداء الاسلام فى هدم أركان الاسلام وإخفاء ضوئه ، وإخماد أنواره ، اشتعلت وما برحت تتقد برغم العدو الجائر ، وهكذا والله ولى المتقين ، ومادام ينبوع العلم فى ضمانة الله عز وجل فلن تزال جداوله تنفجر جارية متدفقة .

وكان من جملة الأنهار التى دفنها محمد بن نور فلج الملكى من أزكى ، وكان نهرا كبيرا . قال الامام : وكان يسقى حبوبا أى لنشاطه وغزارة مائة ، قال : وله مائة وعشرون ساعدا أى مجارى وهى فى عرف أهل عمان تسمى ساعدا ، وتجمع على سواعد لغة عمانية ، وحقيقة ذلك أظنه خطأ من النساخ فيكون الغلط زيادة لفظ مائة ويقرب من الصواب أن يقال له عشرون ساعدا ، فمن الممكن لأن الفضاء الذى توجه له الفلج لا يتسع لما يقال ، إذ ربما ساغ القول بعشرين ساعدا ، وهو أيضا أقرب الى البعد لأن عشرين ساعدا إذ كان بها ماء ينصب الى مجموع الفلج المذكور ويحتاج الى ظرف عظيم كهذه الظرف الحالى عشر مرات .

هـذا ومن حيث ان الذين يسمعون مثل هـذه الخرافات يهـزون رءوسهم ويهمهمون ، ولا يفكرون فى تحقيق الأشياء كمـا ينبغى لا سيما إذا جاء ذلك من مثل الشيوخ المجللين ، أو عن أئمـة الدين ، فمـا جاء عنهم هـو الحق لا غير ، وكأنهم لا يرون عليهم جواز الغلط أو خطأ النساخ أو نحـو ذلك ولم يفهموا أن التاريخ يحمل الأقوال كمـا يجدهـا ، فان كانت كذلك فقـد قام بمـا لزم وإلا فالأمر الى من يعلمـه ، ثم إن مائة وعشرين ساعدا تجعل ذلك الفضاء مشققا كمـا يشقق الثوب الخلق •

وبالجملة فان الملكى الذى هو فلج أزكى نهر من أنهـار عمـان المباركة النافعة ، تكون فى الحصب نشـيطة جدا تقسم الى أفلاج فى السقـى عديدة ، وفى أيام المحـل تتنازل الى فلج واحد ضئيل — وكان وقت مجيء محمد ابن نور عمان كان الملكى كمـا هو منسـوب الى الملك الذى هـو ساكن اللام ، لغـة فى الملك بكسرها لشرفه وعزازته ، فأمرا بن بور بدفنـه وهو يقلع الدفن ويرده ، وكلمـا دفنوه لفظ الدفن ، وفار بقوة ، وكلمـا ألقوا فيـه الحصى والتراب لفظه وانفجر من مكـان آخر حتى أعياهم ، فمرت عليهم راعية من حوزتهم ، فرأت مـا هم فيه فقالت لهم : عليكم بالصوف والشجر ، أى لأن الصـوف يلتوى بالشجر ، والشجر يحتوى فى المضائق ، وكانت مصيبة فيمـا قالت : فقال ابن بورخـذوا غنمها ، فأرسلت مثلا شائعا فى عمـان فدفن الفلج وخربه ، وغـار فى الأرض وأفسـده ، ولكن بقى بحث تحقيقى ينبغى أن يعـار التفاتا هو أن الفلج لأهـل أزكى ، وأهـل أزكى إذ ذاك بنـو سـامة المذكورون ، وهم أنصـار محمد بن بور ، فكيف يكون دفن الملكى والحـال هكذا إلا أنه يحتمل شيئين ، أمـا أولا فان الدفن أمـا أن يكون من معرة الجيش قبل أن يعلم أن الفلج لبنى سامة وأمـا ثانيا فلعل ابن بور أى أن

بنى سامة واطأوا العمانيين على إخراجه وهـذا غير بعيد ، لأن بقـاء ابن بور فى عمـان مسيطرا عليهـا لم يرده منـه بنو سامة ذلك ، وإنما يريدون التشفى به من خصومهم وقد حصل ذلك ودق ابن بور أهـل عمان فى سمد الشـان ، حتى قطع رأس إمامهم وأرسله الى بغداد ، وهـذا لابد أن يكون له فى القلوب باعث قوى على طرد ابن بور الجائر الخبيث حتى من الذى جاء مناصرا لهم • وتحدث صاحب معالم الجزيرة عن أعمال محمد بن بور فى عمـان ولكنـه طواه فى بعضه بعض ، إذ قال : قـدم عامل الخليفة على البحرين محمد بن نور بجموع وافرة من نزاروطى ففتح نزوة عاصمة عمـان وقتل عزان الخروسى بالسـين والصواب بالصـاد ، نسـبة له الى خروص بن شارى بن اليحمد ، وبقيـة النسب معروفة كمـا فى الاسعاف • قال : الذى حاول أن يحكم عمـان بالقهر والعسف يعنى بذلك عزان بن تميم • قـال : وفر كثير من الأهالى الى شيراز والبصرة • قـال : ثم ثار بمحمد بن نور بعض القبـائل فترك مقره أى مركز إقامته وهو نزوى قال : ولحق بالساحل يعنى فى السيب وهى إذ ذاك دمـا ، قال : الى أن أدركتـه نجدة عظيمة أى لحقت به فى السيب وهى التى أرسلها أبو عبيدة السامى ، قال : تمكن بهـا من قمع الثورة وأرهف الحد فى الأهالى ، أى فعل بهم مـا ذكرنا ، قـال : وقطع الأيدى وصلم الآذان ، وعطل قنى الميـاه أى دفن أفلاجا كثيرة ، وخرب ديارا عديدة ، ودمر أنهـارا وكان يضرب بجوره المثل ، فيقـال أجور من محمد بن بور ، وخاصة بلدان اليمانية ، قال : وأحرق الكتب وفعل بالناس الأفاعيل •

قـال أبو اسحاق : إن دخول ابن بور اللعين عمـان أول مرة كان بتفرق الكلمة وتخاذل أهل عمـان ، وإلا فـلا يمكن لابن بور أن يدخل

تلك الامامة العظمى ، ولو جد بضعف جنوده مرات . قلت : قدمت لك أن ابن بور جاء به أهل عمـان ، ولمـا نزل أطراف عمـان التف عليه أوباش النـاس وغوغاؤهم ، وأهل المطامع وأهل الجرائم ، وتساندت الأمور على هـذه الأسس ، وبذلك استطاع ابن بور أن يهز عمـان هزا عنيفـا حتى صلم الآذان وسمل الأعين ، وقطع الأيدى ، فتركهم لا يستطيعون الأكل ، وقطع الأرجل فكانوا فى مأزق عنيف لم يعرف له مثيل ، وعمـان فيهـا رجال من أشد الرجال لكن عقوبة الله لا يقف لهـا مخلوق إذا أقبلت ، فان أهل عمـان فسدوا فيمـا بينهم وأفسدوا فيمـا بينهم وبين ربهم كمـا قلنا ، فكانت العقوبة من جنس العمل ، وتلك سنة الله فى عبـاده .

قال أبو إسحاق : وافترق أهل عمـان الى نزارية ويمانية هـو الذى قوى العدو الغازى ، ولمـا رأى أهل عمـان اتحدوا هاله لأمر وهـذا يدل أن أهل عمان اتحدوا بعد ذلك الافتراق ، ومن هنـا يعلم مـا قلناه فى سبب تخريب ابن بور لنهـر الملكى من أزكى ، وللأوقات مـا يناسبها من السياسات ، ولكل زمان دولة ورجال .

قال أبو إسحاق : وكادت تدور الدائرة على محمد بن نور لولا الامدادات التى جاءته من الذين والوه من عمـان وهم السـامية وغيرهم .

قال : ففى مثل هـذه الواقعـة عبرة بالغة لمن تدبرها ، فان عاقبة التخاذل الانحلال والفشل ، وقد قال الله تعالى :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ، ولما انتصر ابن بور أخيرا لم يرقب فى المؤمنين إلا ولا ذمة .

ولست أدرى كيف يطعن هؤلاء الناس على الأزارقة والصفرية ، وهم يأتون أفعالهم حذو القذة بالاقذة ، فى قتالهم مع أهل القبلة ، ولكن الحق بعيد عن كليهما ، ولا جرم أن مدعى الشىء ليس كمالكه ، نسأل الله أن يثبتنا على الصراط المستقيم ، قلت :هذا غالب أفعال أهل الجهل فى الحروب الذين لم يحاربوا من أجل دين أو حق ، لا يراعون فى العدو الذى يحاربهم ويحاربونه إلا هوى أنفسهم ، وهذا شىء فى الجنود الجاهلة التى تقودها زعامة الجهل والبطر ، كالحجاج وابن بور وأمثالهم ، بل وحتى جهال الاباضية وبغاتهم ، غالبا خصوصا أيام السلاطين ، أما أيام الأئمة فلا وهو الحق وأهل الزعامات القبائلية إذا تمكنوا من خصومهم يألوا جهدا فى التشفى من أعدائهم مالا ورجالا إلا ما شاء الله ، وكم وقع فى جيوش أهل العدل من جهال الجيش ، فاذا بلغ الامام وتحققه قام لرده ، وإلا مضى وبقى فى أحاديث المصابين به والمنتقدين والتاريخ يحمله عنهم ليحفظه .

ولما تمكن محمد بن بور من عمان وأهلها ، وصفا له الجو فيها ، وعدم المنافس له من عمان هم بالعودة الى البحرين ، وولى على عمان من قبله واليا يقال له أحمد بن هلال ، قال المسعودى : هو ابن أخت الفتال . قلت : لم نعرف الفتال من هو ولا ممن أيضا ، كما لم نعرف أحمد بن هلال والى الحجاج على عمان ، هل هو عمانى أم لا ؟ وكان من حق التاريخ أن نعرفه .

قـــال صاحب المعالم : ومــا كاد أى محمد بن نور أن يرجع الى البحرين حتى ثار الأهالى أى أهالى عمــان ، وقتلوا العامل أى أحمد بن هلال ، الذى استخلفه ابن بور على عمــان ، وعاد العمــانيون على انتخاب أئمتهم ، فتوالت عــدة أئمـــة ولخذ يعدّدهم على جهــة الإجمال ، وف ابن رزيق وغيره من كتب التاريخ هــو هذا الذى ذكرنا فلا داعى الى اعــادته .

بنو سامة يحاولون ملك عمــان

إعلم أن بنى سامة حاولوا إمارة عمــان وعالجوا وضــع أساسها بأنفسهم ، فانهار بناؤهم بوقعة القــاع من ظهر عوتب بصحار ، وتمزق جمعهم ، ثم التجأوا الى والى البحرين محمد بن نور المذكور ليستعينوا به ، فقــام هــذا لتأييدهم وكتب لمعتضد بغداد ليعضدهم فعضدهم ، وأقاموا دولتهم على الحجر الذى وضــعه لهم محمد بن نور والى البحرين الذى احتل عمان ، ووضع قدمه على كاهلهــا ، ووطىء عليهــا وطأة سيئة فقتل امامهم عزان ابن تميم فى سمد الشــان ، وقتل بقية أعيانهم فى دما ، ومن جملتهم شيخ العلم منير بن النير الجعلانى رحمــه الله ورضى عنه ، ووطد دعائم إمارته فى قلب عمــان نزوى وجعل على عمان واليا هو أحمد ابن هلال ابن أخت الفتــال ، وأحمد هــذا جعل على عواصم عمــان ولاة من قبله ، أحدهم على نزوى ، وهو الملقب ببيحرة والمكنى أبا أحمد ، فكان بيحرة بحيرة ســوء ، إذ كان يسفك الدماء ويقتل من يشــاء ، ومن ذلك أن أحدا من السفهاء أغراه على قتل أبى الحوارى بدعوى أنه يبرأ هــو وأصحابه من موسى ، وموسى بن موسى هــو زعيم الساميين ، فأرسل بيحرة لأبى الحوارى جنديا من جنوده يقتله بغير سؤال ولا احتاج ، وانمــا هو مجرد هوى نفسى وإعزاز لبنى سامة ومن اليهم ســواء كانوا محقين أو مبطلين ، فسار الجندى لقتل أبا الحوارى فى المسجد بعد صــلاة الصبح فى مسجد الشجبى المعروف بمسجد أبى القسام فى الجهــة الغربية من عقر نزوى ، فرآه قاعدا على المحراب يقرأ القرآن فارتاع الجندى ولم يجسر على قتله ، ثم قال له : ان أبا أحمد يعنى بيحرة يقول لك

سر اليــه . فقال له لا حاجة لى به ، وأخذ فى قراءته فقيل : ان الجندى قال له ذلك يريده أن يخرج لئلا يطش دمه فى المحراب فكأنه احترم المحراب ولم يحترم المسلم الصالح ، وقيل انه ارتاع وخاف ، وفى هــذا الأثناء جاءه جندى آخر يقول له لا تفعل فى أبى الحوارى شيئا لعــله قال فى نفســه هــذه وشاية ، ولعلهــا لا أصل لها ، وتأخر عن قتله لتأخر أجل أبى الحوارى لا لخوف من احد .

ويستفاد من هذه القضية جرأة هــذا الوالى على أهل نزوى بحيث يأمر بقتل رجل من شيوخ العلم بغير مبالاة بقتله ولا خوفا من أحد ، فهذا يدل على غاية الذل الذى ألبســه الله أهــل عمــان وابتلاهم الله به ، ولا ريب فان محمد بن نور صــلم الآذان وجــدع الأنوف وقطع الأيدى والأرجل ودفن الأنهــار ، وأحل بأهل عمــان البوار ، وعلى كل حال أن محمد بن بور لا يخرج من عمان إلا ويترك فيهــا لأحمد بن هلال حامية تؤيده وتشــد عضده ، فهــذه الحامية هى لا شك ولا ريب أنهم بنو سامة الذين جاء محمد بن نور من أجلهم ، فاشتهر بنــو سامة بالبلاد ومــا يفعله الوالى أحمد بن هول هو عن أمرهم فبذلك تم الأمر لبنى سامة ، وأنيطت بهم عرى الآمال فكانوا هم السادة فى هــذه الأيام ، ولذلك قال ابن خلدون فى العبر ، كمــا نقله عنــه الامام رحمه الله ، حيث يقول فى تحفته قال بعد ذكر عمان : وكانت بهــا فى الاسلام دولة لبنى سامة بن غالب ، قال : وكثير من نسابة قريش يدفعونهم عن هــذا النسب ، قلت : لقد حققناه فى الاسعاف فى أنساب قريش بعمان ، والحق أنه قرشى بغير نكران ، والحق لا يدفعــه حسد حاسد ، قال : أولهم بهــا محمد بن القاسم السامى ، أى أول دولتهم التى يذكرها ابن خلدون ، أى أول أمير من بنى سامة هو محمد بن نور من البحرين ، وكان من جملة حاضرى وقعة

القاع من عوتب ، فان المعتضد أقام صرح هـذه الدولة بعمان على أساس محمد بن نور •

قال ابن خلدون : بعثـه المعتضد وأعانه ففتحها وطرد الخوارج الى نزوى قاعدة الجبال ، أى عاصمتهـا أى داخلية عمـان ، وأراد بالخوارج الاباضـية •

ومن العجب العجاب أن هؤلاء الذين يدعون العلم يهجمون على الناس فى الدين والدنيـا ، فمتى كان الاباضية خوارج يا ابن خلدون ، لقـد أخطأت خطأ دينيا وتاريخيا ان لم تكن متعمدا ذلك والله يقول لك : (ولا تقف مـا ليس لك به علم) خصوصا فى الأمور الدينية •

قال الامام : وأراد بالخوارج المسلمين ، قال : وأقام الخطبـة بهـا لبنى العباس أى أقامها محمد بن القـاسم • قلت : غير كثير من أمير مغمور يحب الامارة اذا خطب لسيده الذى أقامه حاكمـا ، ولا يبالى الجاهل بالدين فى سبيل الدنيا ، فان من مذهب الملوك أن تكفر ولا تستغلب أى لأن الدنيا عندهم أهم من الدين ، وماذا يحاول الملوك إلا الملك ، وهـل يأتى الملك إلا من قبيل الدين بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنـه مـا أظنه إلا نارا ألست ترى فى تاريخ عمـان الامامة الصحيحة شيئا نادرا يمر عليك مر السحاب فى لحظات خاطفة ، وأيام الجور والظلم تطول عـلى الناس قرونا كثيرة فى أكثر الأمم لا فى أهل عمان وحدهم والله المستعان •

قال ابن خلدون : توارث ذلك بنـوه أى بنو محمد بن القاسم توارثوا الخطبة لبنى العباس ، أى الطاعة لهم ، قال : وأظهروا شعار السنة •

قال الامام : أى سنتهم وهـذا يدل لأنهم استنوا بسـنة القـوم ولا يهمنا اذا استن جاهلنا بسنة غيرنا ، فمن أراد غيرنا أبعده الله ، قال : ثم اختلفوا سنة خمس وثلثمائة وتحاربوا ولحق بعضهم بالقرامطة ، وهذا يدل أنهم بقوا ملوكا على عمـان الى هـذه الغاية ، أى مدة خمس وعشرين سنة ، فان محمد بن نور فتح عمـان سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين ، وخرج عنهـا فى أواخر تلك السنة أول السنة الثـانية ، فكانت البلاد فى أيدى العمال الى هـذه الغاية ، ثم تقاتل بنو سامة على عمان بحسب كلام ابن خلدون ، والصحيح أنهم تقاتلوا هم وأهـل عمـان الذين قاموا عليهم بنصب الأئمـة ، وطال العراك بين الامامة والسلطنة ، ورفع الخلاف كمـا سوف تراه مستعرضا فى هـذه الصحائف الجوهرية الناصعة .

قال الامام : ووجدت أن الجبابرة تغلبوا على أهل عمان يسومونهم سوء العذاب أربعين سـنة ، وذلك بعد حرب محمد بن بور . قال : ولعل هؤلاء الجبابرة كانوا من بنى سامة وهم عشيرة موسى بن موسى ، وذكر بيحرة وولايته لنزوى ، وأنه أقام زمانا واليا عليها ، قال لم يزل بيحرة عاملا على نزوى حتى قتلوه وسحبوه ، وقبره معروف عندهم أسـفل باب مؤثر قليـلا فى لجيـة بفتح الـلام وسـكون الجيم ، وفتـح اليـاء المثنـاة من تحت بعدهـا تـاء مربوطة ، والمراد بهـا موات متصـل بالطريق منحنيا على الجانب الآخر هناك ، على الطريق الجائز الى تخرج الى جهة فرق ، يطرح عليه أهل نزوى السـماد والجذوع التى يريدون اخراجها الى الأموال ، أو ادخالهـا الى العقر ، وذلك من هوانه عليهم ، وهو معروف موصوف متداول عند أهل نزوى ، صغارهم وكبارهم منذ ذلك العهد ، وهو آخر القرن الثالث ، ولكنه لم يذكر سبب القتل ، ولعله فى ثورتهم فانهم كما قال صاحب المعالم : وما كاد يرجع الى البحرين أى

محمد بن بور حتى ثار الأهالى ثانية ، وقتلوا العامل الذى استخلفه على عمان ، وعاد العمانيون الى انتخاب أئمتهم ، فتوالت عدة أئمة مثـل محمدبن الحسن الخروصى ، وغزان بن الهزبر ، وعبد الله بن محمد الحدانى الذى قلب هاءه حاء مهملة ، والصلت بن القاسم الخروصى ، والحسن بن سعيد بن الحوارى ا هـ من تاريخ عمان بالحرف الواحد لصاحب المعالم ، وهو عين مـا يقوله شكيب أرسلان •

قال الامام :ان بنى سامة تقاتلوا سنة خمسة وثلاثمائة ولحـق بعضهم بالقرامطة ، قلت ولا يبعد أن يكونوا هم الذين مهـدوا الطريق للقرامطة على قهر عمان فجاءوهـا ، وكان منهم فيها مـا كان مما سنذكره ان شاء الله عبرة للمعتبر ، وتنبيهـا للمختبر وإلفـاتا للأنظار الى مـا يثمره الشقاق والخلاف وحب الاختصاص فى الأمـة ، واعتقادنا العظيم فعظمونى وحدى لا شريك لى ، نعوذ بالله الذى له كل شيء وهو على كل شيء قدير •

قال الامام : وفى بعض التواريخ انهم أى أهل عمـان عقـدوا الامامة على محمد بن الحسن بنزوى بعد قتل بيحرة فى سـنة ٢٨٢ اثنين وثمانين ومائتين ، قال : وذلك بعد حروب ابن بور بسنتين وأشـهر ، ثم تتابعت الأئمة • قلت : والى هـذا يشـير صاحب المعالم ، والأمير شكيب فى تعليقه على حاضر العالم الاسلامى • قال : والسلطان الجائر يحاربهم ويحاربونه ، ويغلبهم ويغلبونه • قلت : وهـذا يدل على وجود سلطان فى عمان بعد حروب ابن بور ، وبعد قتل بيحرة ، وهـذا السلطان من بنى سامة ، فان بنى سامة صاروا خلفـاء محمد بن بور على عمـان ودعا بنى العباس ، يخطبون على المنابر بأسمائهم ويدعون لهم جهرا طاعة الملك

واعتمادا على الرئاسة وحبا للامارة والترفع على عبـــاد الله بعد ذلك السيد المصلح والعـــالم الوحيد ، أقوى أركان الامامة بعمان موسى بن على رحمه الله وغفر له ، فكان موسى ابن على أصـــل زعامة بنى سامة ، فانه رجل الاصلاح وامام الاستصلاح ، خير رجل فى بنى سامة علمـــا وعملا ، وعلا له صوت شرف فى القصر العمـــانى ، فكان مضرب المثل فاكتسب بذلك تقدير النـــاس له ، وارتفاع مستواه وان لم يطل عمره ، بل عاش عمرا قصيرا ، ومات فى زهرة عمره ، فلبس ابنـــه موسى اسمه وتقلد سيف توقيره وتدرع درع شرفه ، فأجله النـــاس وعظموا قدره وهـــذا أمر طبيعى فى الأمة بديهى فى الأجيال حتى تنكشف الغاية ، ويعرف المقصد بارزا فى مرأى كل أحد فى الأمة وهناك ، أمـــا ارتفـــاع لأعلى أو انخفاض لأدنى ، وبذلك قام بنو سامة يدعون زعامة الأمر فى عمـــان ، ويحاربون من أجلهـــا ويستنصرون ويستجيشون عليهـــا ، وآخر مـــا بقى لهم زعامة أزكى مدة ثم انتهت وصاروا كغيرهم ، وكل شىء يصـــير الى انتهـــاء ، ويبقى وجه ربك ذو الجـــلال والاكرام ، والمعروفون بالعزور فى أزكى هؤلاء الزعمـــاء .

القرامطة يحتلون عمـان بأهل عمان

قال الامام السالمى رحمـه الله : والقرامطة قوم من الشـيعة نسبوا الى حماد قرمط • قال : ويقـال لهم الباطنية لأنهم زعموا أن للقرآن باطنا وظاهرا ، وأن من وصل الى معرفة باطن القرآن انحلت عنـه التكاليف كلها ليمهدوا لهم عند الناس طريقا يبسا لا يخافون معهـا نقد ناقد ولا اعتراض معترض ، لأنهم كفار لا يصلون ولا يصومون ، ولا يعترفون بالوهية ، وزعموا أيضـا أنه لا فرق بين هـذا الواصل الى باطن القرآن ، وبين من فى الجنـة فأهل الجنة لا تكليف عليهم ، فأبطلوا بذلك شرائع الاسلام لأنهم من أهل الجنـة ، وأهل الجنـة لا تكليف عليهم وتبعهم من جنود الشيطان ناس غوغاء وأغبياء وجهلاء ، يريدون استرجاع دولتهم كمـا كـانت •

قال فى المعالم : القرامطة فرقة من الشيعة ينتسبون الى شخص يمانى الأصل يدعى حمدان قرمط • قلت : لعل قرمط لقبـه ، قال : وكان مغاليا فى التشيع لأهل البيت ، وكانت دعوته أى دعوة حمدان قرمط كانت دينية محضة انقلبت فيمـا بعد الى دعوة سياسية بتأثير أبى سعيد الجنابى ، أى الخارج من جنابة من قرى البحرين ، قال : وقد تغلب أى أبو سعيد هـذا فى أواخر المائة الثالثة للهجرة على شرقى الجزيرة العربية ، واستولى على البحرين وهجر ، وخلع طاعة المعتمـد العباسى أى خليفة بغداد ، قال : وقد قام الأمر بعد موته ابنـه أبو طاهر فهاجم الحرمين ، من مقره القطيف ، أى كان مقره القطيف ، ودخل مكة سنة ٣١٣ ثلاث عشر وثلاثمائة هونهبهـا وانتزع الحجر الأسود من الكعبـة وبابها أيضـا وبعض عتاد

الكعبة ونقله الى القطيف ليبنى هناك كعبة ويضعه فيهـا ويصرف العرب الى حجها ، قال ووضعه فى مسجد الضرار لكى يصرف الناس الى حجة عن مكة ، وإنهـا لجرأة عظيمة على الملة الاسلامية ، وأين هى وأين رجالها الذين لهم الغيرة على الدين ، الى آخر الخلافة العباسية التى أضحت تعج فى لجة فساد لا مثيل له فى العالم ، بحيث يتجرأ أحد على هدم قبلتهم التى كانوا عليها ، فهـذا هدم حقيقى لهـا ، وأين أهل مكة الأشداء من أبى طاهر الجنابى سبحان من هو القـادر على كل شىء يفعل مـا يشاء ويحكم مـا يريد ، وان حلم الله عظيم ، وجرأة العباد أيضـا عظيمة على الله الذى يملى لعبـاده •

قال : وقد ظل حكم أبى طاهر للحرمين مدة تزيد عن عشرين سـنة كان الحجر الأسود خلالهـا فى هجر عند أبى المذكور ، قال : وكان القرمطى على صلى بالفاطميين فى أفريقيا الشمالية ، وينتسب اليهم ، قلت : لعـله ينتسب اليهم من جهـة الملة ، فانهم كذلك شـيعة قال ، فلمـا أمره الفاطمى باعادة الحجر الى البيت القرمطى على الفاطمى ، وقطع صلتـه ثم أعيد الحجر الى مكة سـنة ٣٣٩ تسـع وثلاثين وثلاثمائة ، قـال وبعد وفاة أبى طاهر تلاشت القـوة السياسية للقرامطة ، وانحصرت سلطته فى الحسا والبحرين مـا يقرب من مائة سـنة ، ثم تلاشت نهائيا • قال : وتوجد الآن بقايا من القرامطة فى واحة القطيف • ا هـ من المعالم •

أوردنا مـا ذكره عنهم كله والحقيقة أن فعل القرامطة هـذا يعود عاره على الأمم الاسلامية كلهـا وإلا فكيف تجترىء أمـة على قلع الحجر من الكعبة قبلة المسلمين أجمع ويتولاه هؤلاء العتاة ٢٠ عشرين سـنة كاملة ، وهو فى الحسا ولم يكن أحد اجترأ على هـذا الحال من سـائر

المسلمين ، أن هــذا الشى عجاب من أعجب مــا حدث عنه التاريخ الجاهلى والاسلامى ، ولقد استطردنا فى القرامطة ومــا أحدثوه للاعتبار لا غير وإلا فان مهمتنا تاريخ عمــان ، ولهم فيــه أخذ ورد اذا كانوا وطئوا أرض عمــان واحتلوها حين فر إليهم بقايا النزارية الذين تولوا أمر عمــان بابن بور ، فانه لمــا خرج ابن بور من عمان قتل العمانيون عامله الذى خلعه ، وبقى أمر عمان الى أهلها ، فكان فيهــا امام وسلطان يتصارعان عليهــا وهم الذين عبر عنهم الامام بسلاطين الجور فى عمــان فكان الأمير الســامى فى جهة ، والامام فى جهة أخرى ، وإليك النص الذى ذكره لنــا الامام ومؤرخو عمــان إذ يتكلمون عن بنى سامة . قــال : ثم اختلفوا ســنة خمس وثلاثمائة ، وتحاربوا ولحــق بعضهم بالقرامطة ، وأقاموا فتنــة أى لأهل عمــان ، قال الى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطى سنة ٣١٧ عند اقتلاعه الحجر الأسود ، وخطب بهــا لعبيد الله المهدى أى العباسى ، وترددت ولاة القرامطة عليهــا من سنة ٣١٧ الى سنة ٣٧٥ ، قال : فترهب واليها منهم وزهد وملكهــا أهل نزوى وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض ، وبقيت فى أيديهم ورئاستها للأزد منهم ، ثم رسا بنو مكرم من وجوه عمــان الى بغداد ، واستخدموا لبنى بويه على أن يناصروهم على ملك عمــان وكان بنو بويه قادة جيوش بغداد ، والأمر اليهم معنى والى الخليفة اسما ، قال وأعانوهم بالمراكب من فارس ، أى من الحــامية الفارسية فملكوا مدينــة عمان ، قــال وطردوا الخوارج يعنى المسلمين الى جبالهم وكأن هؤلاء ملكوا قلهات التى هى الساحل الشرقى الشمالى بالنسبة الى عمــان الشرقية ، وهى التى يطلق عليهــا إذ ذاك مدينة عمان وصحار قصبة عمان ، وقوله : وطردوا الخوارج الى جبالهم أى الى الداخلية . قال وخطبوا فيها لبنى العباس . قــال : ثم ضعفت دولة

بنى بويه ببغداد ، فاستبد بنو مكرم بعمان ، قلت : وهـذا كان فى أيام المقتدر بالله ، فان المعتضد بالله توفى ببغداد سـنة ٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين ، وتولى الخلافة بعـده ابنـه المكتفى بالله ، وقيل انه توفى فى ذى القعدة سـنة ٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين ، وتولى الخلافة المكتفى بالله ولم يطل عهده ، ثم مات وتولى الأمر أبو الفضل جعفر المقتـدر بالله وهو ابن ثلاث عشرة ١٣ سنة ، أى فى أول بلوغه أو لم يبلغ بعـد ، فكانت خلافته اسما فقط ، والمعنى الجيش ولم يطـل عهـده إذ تلاعب الصبيان ، وفرق الأموال وبذرهـا فى اللهو واللعب ، وماذا عسى يفعل الصبى إلا ذلك ، ومن هنـا ضاعت أمور المسلمين وانحلت دولتهم ، وكان هؤلاء مسلمين من حيث اقرارهم بالشهادتين ، أمـا الاسلام الحقيقى لم يحوموا حوله ، وإلا فكيف يتولى الخلافة العظمى التى تناط بهـا المهام الدينية والدنيوية صبى لا يصح تصرفه فى ماله فضـلا عن غيره ، أهكذا يكون ولى الأمر وبهـذا يقضى العقل الصحيح ، وبذلك أصبح الخليفـة ألعوبه فى يد اللاعبين ، فان مؤنس الخادم قائد الجيش هاجم المقتدر فى قصره وقبض عليه وعلى أمه ، ثم نهب الجيش الأموال التى هى قوام الدولة ، وخلع المقتدر نفسـه حين رأى الموت بين عينيه ، وقتل الجند صاحب الشرطة وشردوا بالوزير ، ثم تراجع المقتدر وعاد الى الخلافة ، وأخيرا قتل المقتدر فقد قتله البربر واحتزوا رأسه ومضوا به الى مؤنس القـائد ، وكان قتله لثلاث بقين من شوال سنة ٣١٦ ست عشر وثلاثمائة أيام تتلاعب القرامطة فى عمان وغيرهما ، وتقتلع الحجر الأسود من البيت الحرام ، وقبل قتله تولى الأمر بعـده أخوه المنصـور محمد بن المعتضد بالله بويع لليلتين بقيتا من شوال من نفس السنة .

ولمـا تولى قبض على ابن أخيـه المكتفى بالله وأمر به فأقيم فى بيت

وسد عليه بالآجر والجص حتى مات غما ، وقبض على أم المقتـــدر وطالبها بمـــا لم تقدر عليه فتهددها وضربها بيـــده وعذبها بأنواع العذاب وعلقها منكسة حتى كان بولهـــا يخرج على وجهها ، ماتت على ذلك الحـــال فلسط الله عليه الجند فهجموا عليـــه من سائر الأبواب ، فبقى يتوارى بالستر والحجاب وأخيرا قبضوا عليه وأهانوه الى غاية بعيـــدة حتى سملوا عينيـــه وذلك سنة ٣٢٢ اثنتين وعشرين وثلاثمائة •

وقول ابن خلدون : ثم ضعفت دولة بنى بويه ببغـــداد فاستبد بنو مكرم بملك عمان وتوارثوه ، مـــا يدل على ان بنى مكرم لم يكونوا من عمـــان بالأصالة • قال : وكان منهم مؤيدة الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولـــة الحسين بن مكرم ، وكان ملكـــا جوادا ممدوحا ، قـــاله البيقهى : قال ومدحه مهيار الديلمى وغيره ومات ســـنة ٤٢٨ ثمـــان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة فى الملك ، قال وفى سنة ٤٢ اثنتين وأربعين ضعف ملك بنى مكرم وتغلب عليهم النســـاء والعبيد ، فزحف اليهم الخوارج يعنى المسلمين ، فملكوهـــا وقتلوا بقيتهم • قال : انقطع منهـــا رســـم الملك وصار فى حجار •

قال الامام : والمراد بقوله وانقطع منهـــا رسم الملك يعنى قلهـــات ، أى انتقل منهـــا وصار فى حجار ، قال وحجار فى شـــماليها الى البحرين بينهمـــا سبع مراحل ، قال وهى فى جبـــال منيعة فلم تحتج الى سور ، قال : وكان ملكهـــا سنة ثمـــان وأربعين زكريا بن عبد الملك الأزدى من ذرية رئاســـة ، قال : وكان الخوارج بنزوى مدينة الشراة يدينون لهم ويرون أنهم من ولد الجلندى ا هـ كلامه والله أعلم بمـــا ذكر •

قال الامام : وليس لبنى مكرم ذكر بعمـان ولا نعرف من هم ، ولكن أهل عمـان يذكرون فى كتبهم تغلب سلطان الجور عليهم بعد حروب محمد بن نور وهم مع ذلك ينصبون الأئمـة ويدفعون العدو والأيام دول والحرب سجال ، قلت : لا وجه لمـا ذكره ابن خلدون أبدا ، ولم يذكره أحد من أهل عمان ولا من مؤرخى الشرق ، وابن خلدون رجل مغربى ، وأكثر كلامه غلط لا أصل له ، بل يأخذ الأقوال على عواهنهـا بغير تحقيق ، فهل من المعقول أن يفوت أهل عمـان ذكرهم وقد تولوا ملك عمان ؟ هذا غير معقول وأهل عمان أعرف ببلادهم وهم أحق بذكر من يغزو بلادهم ، فان يكن صح لبنى مكرم ذكر فى عمـان فهم قواد جيوش ، واذا انكسر الزعيم ضعف أمر الجند وتلاشى أمرهـم وزالت سطوتهم فيقنعون من الغنيمة بالاياب ، فان كان المراد بالسلطان نوابه وقواد جيشه ومأموروه فربمـا كان له وجه ، وقـد ذكر القرامطة بعضهم فى تاريخ عمـان أول القرن الرابع ، وهـذا خطأ اللهم إلا أن كانوا غزاة دخلوا عمـان ، ثم لم يكن لهم فيهـا سلطان ، وانمـا المفهوم أن كل هؤلاء المذكورين مروا بعمان غزاة فنالوا منهـا ونالت منهم ، وراحوا عنهـا ولم يكن للقرامطة فى عمـان قرار ، وانما كانوا غزاة سباعا ضارية ، تأكل ما لاقت ثم تذهب أدراجها ، وسوف ترى أن الوقت الذى تذكر فيـه بعمان القرامطة بل وبنـو مكرم هو وقت مشغول بامامة فى عمان .

ففى سيرة محمد بن روح رحمـه الله : أن القرامطة جاءوا عمـان فى إمامة عمر بن محمد بن مطرف الحدانى ، وأنه اعتزل من بيت الامامة ، وأن القرامطة رجعوا الى البحرين ،ولعل اعتزال الامام عمر بن محمد كان لعدم المناصر ، فلعله رأى التخاذل من قومه ، فان شأنهم التقلب والتلاعب عندما يجدون من الغير مـا يحبون ، وإلا فمـا معنى اعتزال الامام من

اماتـــه ولا يناقش فيها ولا يقام عليـــه حتى يعلم عذره ، وإلا فالاعتزال بغير موجب خذلان للحق وهو حرام اجماعا ، وليس للامام أن يتلاعب فى إمامته اذا تقلدهـــا وجبت عليه حقوقها ووجب على الأمـــة مناصرته ، فاذا تحقق خذلان الرعية له صح له الاعتزال ولم يجب فيكون اعتزاله من نوع التقيـــة إذا خذلته الرعية ، والقرامطة لا دين لهم ، ولا ضمير حق ولو من جنس السياسات ، فان النصارى لا يرضون بمـــا يرضى به هؤلاء السفهاء الأوغاد الذين يعيثون فى أرض الله فسادا ، ويهلكون الحـــرث والنســـل ولا يبالون •

وحقيقة القرامطة قوم غزاة صـــار لهم وقت يخوضون فيـــه موجة عارمة بالباطل ، وقد لعبوا دورهم حتى اقتلعوا الحجر من بيت الله الحرام قبلة المسلمين عـــامة من جميع المذاهب ، والوقت فى أول شباب الاســـلام إذ كان ذلك فى أول القرن الرابع كمـــا بينـــاه ، إلا أن الخـــلافة العباسية أضحت ألعوبه كمـــا أفدناك عنهـــا لمحـــة تدل على صحة مـــا قلناه ، والجزيرة العربية نفسها فى غطرسة التيـــة حتى أراهم الله العجب بهؤلاء القرامطة المشائيم ، لا أعاد الله على العالم الاسلامى أمثالهم ، والله مع الصادقين الذين باعوا أنفسهم لله ، وجاهدوا فيـــه حق جهـــاده ، ولقد أثار الله على هؤلاء من يريهم لفح السموم فى أرضهم الخاصة بهم ويلحوهم كمـــا يلحى القضيب ، وكذلك مـــا يقال عن الديلم فى عمان وعن الترك فى ذلك الأوان ، فكل هؤلاء غزوا عمـــان وقام الصراع بينهم والأهالى فى عمـــان ، فطور يغلبون ويحتلون قسما من البـــلاد ، وطورا يغلبون ويطردون منهـــا طرد غرائب الابل — وترجع البلاد لأهلهـــا وسرعان مـــا ينصب أهل عمان إمامتهم وتعلو كلمتهم وتظهر حجتهم ، وتلك الأيام نداولها بين الناس والحرب سيجال :

فيومـا علينـا ويومـا لنـا
ويومـا نسـاء ويومـا نسر

وهكذا الدنـيا ، واذا وفرت النعم على قوم وخاضوا فى لجها وسرحوا فى ريفهـا ، وأخذهم البطر بهـا سلط الله عليهم نقمة تسحقهم وتمحقهم وترد الشارد والهارب الى مقرهمـا برغم الأهواء .

قـال الامام رحمـه الله : وفى الأثر مـا يقتضى أن ذهاب دولة القرامطة من عمـان فى أيام أبى المؤثر : وأنه أمر بحرق بيوتهم . فقال له قائل : ان كان القوم مسلمين ، فلا يجوز خرق بيوتهم ، وان كانوا مشركين فبيوتهم فىء للمسلمين ، ولا يجوز حرقهـا بعد ذهابهم فأعرض عنه ، وقال : لابد للقوم من مخاصم أحرقوهـا لئلا يرجعوا اليهـا ، قال : وهذا يقضى أن ذهاب القرامطة من عمان قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون . قلت : ومن هنـا يعلم أن مـا قـاله ابن خلدون لا شىء له من الصـحة ، ولعـله سمع عن القرامطة سماعا من بعيـد ، فعلق عليه مقـاله ذلك ، ومن هـذا يعلم أن القرامطة قامت لهم بيوت بعمان ومساكن هى التى أمر أبو المؤثر رحمـه الله بحرقهـا لئلا تكون لهم مأوى يأوون اليهـا ويتلاعبون من أجلها على المسلمين .

قال الامام : لأن أبا المؤثر كان قد أدرك امامه المهنـا . قلت : نعم كمـا بينـاه . قال : وامامة الصلت بن مالك وعاصر راشـدا وموسى من بعدهم وهـو يومئذ ممن يؤخذ عنـه العلم ، وكان قد أخذ فى السـن وقد مات قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون فى ذهاب القرامطة ، لأن المذكور فى امامة أبى القاسم سعيد بن عبد الله أن من العاقدين عليه ولد ولد أبى

المؤثر ، وقد استشهد رحمـه الله فى سنة ٣٢٨ ثمـان وعشرين وثلاثمائة ، وكان قد عاش فى الامامة ثمان سنين ، إذ بويع على مـا قيل فى السنة العشرين بعـد ثلاثمائة ، فتبين من هـذا أن مـا ذكره ابن خلدون غلط فى التـاريخ ، لأن المذكور تبلغه الأخبار بعد مـدة وبدونهـا على مـا بلغتـه .

قال الامام : وذكروا مـا كان للقرامطة من قوة وعزة ، وأنهـا ذهبت بدولة الاسلام . قلت : هـذا كلام أنهم كانوا قبل الاسـلام ثم ذهبت قوتهم بالاسلام وليس الأمر كذلك ، وإنمـا كانوا فى أول القرن الرابع من الاسلام ، وقامت لهم زعامة فى الحسا ، وكانوا أشداء أقوياء أهل بأس ، ولا دين لهم ، انمـا هم من الزنادقة الذين يبيح الاسـلام دماءهم إذ أنكروا الصـلاة . والزكاة والحج ، وعارضوا شعائر الاسلام بالرد ، فهم من هـذه النواحى مشركون ، ومن جهـة الزندقة قد أخذوا حظهم ، إذ قرروا للعوام سقوط التكاليف ، لأنهم كأهل الجنـة لا شىء عليهم ، فتبعهم أهـل السخافة فى دينهم وأهل السفاهة فى دنياهم ، وأعوان الشـيطان أسرع نهوضا واجرأ على النـاس ، حيث ينزع الايمـان من ضمائرهم والرحمـة من قلوبهم ، وكانت قوتهـم بالبحرين وعاصمتهم جنابة ، وغزوا العراق والحجاز وعمـان ، واقتلعوا الحجر الأسـود يريدون أن يجعلوه فى بيت لهم قرب القطيف ، فموضعه الآن يقـال له الكعيبة يريدون أن يصرفوا العرب الى حجة كمـا صنع ذلك الحبشى صاحب الفيل باليمن إذ بنى كنيسة ليصرف الناس الى حجهـا دون الكعبـة ، فجاء رجل من كنانة فتغوط بهـا وكان ذلك من حقهـا ، فغضب الحبشى وأجمع على هدم الكعبـة ، فرد الله كيـده فى نحره وصـان بيته الكريم ، وكان مسيره وبالا عليـه وتشريفا للبيت واعزازا لقدره ، فبقى على رغمه .

قال الامام : ثم ان قائمة من أهل الأحسان من أهل بيت ابن مقرب قاموا على القرامطـة وحاربوهم سبع سنين حتى انتزعوا الدولة منهم ، وفى ذلك يقول ابن مقرب من قصيدته الميمية ، حيث يفتخر بذلك :

سـل القرامط من شـظى جماجمهم
فلقـاً وغادرهم بعد العلى خد ما

من بعد أن جل بالبحرين شأنهم
وأوجفوا الشـام بالغارات والحرما

ولم تزل خيلهـم تغشى سنابكها
أرض العراق وتغشى تارة أدما

وحرقوا عبـد قيس فى منازلهـا
وصيروا الغر من ساداتهـا حمما

وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصبوا منهم صنمـا

أى هـذه أفعالهم فى الديانة التى يتدينون بهـا ويدعون اليهـا أخزاهم الله .

قال ابن مقرب :

وما بنـوا مسـجدا لله نعرفـه
بل كل مـا أدركوه قائمـا هدمـا

قلت : كيف يبنون المساجد وهم أعداؤها وأعداء أهلها قال العيونى الحر •

حتى حمينا على الاسلام وانتدبت
منا فوارس تجلو الكرب والظلما

وطالبتنا بنو الأعمام عادتنا
فلم تجد بكما فينا ولا صمما

وقلدوا الأمر منا ماجدا نجدا
يشفى ويكفى اذا ما حادث دهما

ماضى العزيمة ميمون نقيبته
أعلى نزار الى غاياتها هم‍ما

وسار تتبعه غرغطارفة
لو زاحمت سد ذى القرنين لا نهدما

وفى شرح ابن مقرب أن القرامطة هم بنو أبى الحسن بن بهرام الحيانى ، نسب الى مذهبه وأصله شخص من أهل الكوفة كان يقال له حمدان قرمط ، نسب اليه أهل مذهبه ، فقيل القرامطة الواحد قرمطى كما يقال شافعى منسوب الى مذهب محمد بن ادريس ، وحنفى منسوب الى مذهب أبى حنيفة النعمان بن ثابت ، وأولهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى الذى قلع الحجر الأسود من الكعبة والميزاب أيضا وحملهما الى البحرين وبنى بالقطيف بيتا سماه الكعبة الخ •

قال وكان حمله للحجر والميزاب فى ســنة ٣١٢ من الهجرة الاسلامية وكان ردهمـا فى ســنة ٣٣٥ وذلك بعد موته ، وكانت مدة اقامة الحجر والميزاب بالبحرين ثلاثا وعشرين ســنة الى آخر مـا ذكر من أخبارهم ، هكذا يملى الله العزيز الحكيم للانســان فيتورط ولا يبـالى ، ويخذل الله ناسا حتى يرى الكل أنهم عاجزون عن أدنى شىء ، ففى ثلاث وعشرين ســنة يحج الناس بيت اللهالحرام ، ولا حجر ولا ميزاب ولا تتحرك غيرة أخذ بهم البطر الى أن تجرءوا على الله عز وجل فى هـدم بيتـه وتغيير شاء من غير قائم لله ينتزع ذلك منـه ويؤدب الفاعل لذلك والقرامطة أخذ بهم البطر الى ان تجرءوا على الله عز وجل فى هـدم بيتـه وتغيير شعائر دينـه ، وابطال أوامره ،وحاولوا أن يبنـوا بيتا يصرفون اليـه الناس للحج وهو ركن من أركان الاسلام الخمسة التى لا يتم اسلام المرء بدون واحد منهـا ، ثم يخلقون أعمالا من عنـد أنفسهم يتعبدون بهـا العباد برغم أوامر الله أنهم ركبوا أمرا عظيما لم يجسر عليه غيرهم ، وذلك فى العصر الذى يسمونه العصر الذهبى ، إذ كان فى أواخر القرن الثالث وأول القرن الرابع فى شباب الدولة الاسلامية ، والخلافة العباسية . هـذا عصرهم الذهبى كمـا يسمون ولا يستحون حيث يضعون مثل هذه العبارات الحاكمة عليهم بالجبن والخور وسوء الديانة ، وعدم الاستقامة فى أمر الدنيا فضلا عن أمر الدين .

الإمـامة المستضـعفة بعمـان

اعلم أن بعض الأوقات التى لم يوفق الله أهلها لإقامة الحق وإعلاء منار العدل ، وتأييد الشريعة وان نصبت فيها أئمة يكون نصيبها من ذلك الفشل ، فإن أهل عمان بعد حروب محمد بن نور بايعوا جملة أئمة ، لكن لم يكن التوفيق حليفهم ولا العدل نصيرهم ، ولا الاستقامة دعامتهم ، فقـد بايعوا محمد بن الحسن بنزوى بعد قتل بيحرة فى سنة ٢٨٢ ، وذلك بعد حروب محمد بن نور بسنتين وبعض الأشهر .

قال الامام : ثم تتابعت الأئمة بعد ذلك وكذلك قال صاحب المعالم ، وهو عين ما فى ابن رزيق ، قال : والسلطان الجائر يحاربهم ويقاومونه ويغلبهم ويغلبونه ، حتى فرج الله ورجعت الى المسلمين قوتهم ولله المنة وله الحمد كثيرا . قال وفى سيرة محمد بن روح رحمه الله أن القرامطة جاءوا الى عمان فى إمامة عمر بن محمد بن مطرف الحدانى ، ولم يذكر نهاية أمر محمد بن الحسن ، وأما عمر بن محمد فقد ذكر الامام أنه اعتزل وذلك أنه رأى أنه لا قبل له بالدفاع لهم ، ثم ذكر الأئمة المنصوبين فى الفترة ويعنى بها وقت تغلب سلطان الجـور خليفة بغـداد ، قال أبو عبد الله محمد بن روح ابن عربى : من تلك الأئمة أى التى نعبر نحن عنهم بالأئمـة المستضعفين أو بالإمامة المستضـعفة ، محمد بن حسن الخروضى النازل فشح من أودية الرستاق ، قال : وهو من اليحمد . قال ابن عربى : بويع على الشراء فيما بلغنا ، وكان إماماً شارياً ، ثم إنه اعتزل عن الامامة ولم يعلل اعتزاله بشىء ، قال ثم بايع أهل عمان من بعده لثمانية أئمة منهم من بويع على قطع الشرى فيما بلغنا ، ومنهم من

بويع على الدفاع ، قال ومن تلك الأئمة الثمانية الذين بويعوا على الامامة من بعد اعتزال محمد بن الحسن الصلت بن القاسم الخروصى ، النازل نزوى ، ثم ماذا صار من أمره لم يذكر عنه شيئا ، ثم من بعـده عزان بن الهزبر المالكى من كلب اليحمد . قال عقـد له فى حياة الصلت بن القاسم فانظر يا أخى فى هـذه الأحوال كيف كان أمر الصـلت ابن القاسم اعتزل أم عزل وعقد من بعده لابن الهزبر المالكى أهكذا الدين وأين الشرى ؟ لا أرى له هنا أثراً . قال : ثم عقد فى حياة عزان المذكور لعبد الله بن محمد الحدانى المعروف بأبى سعيد القرمطى ، قال : وذلك قبل أن يعلم منه رجوع عن دعوة المسلمين الى بدعـة القرامطة ، وكأنهم لقبـوه بالقرمطى لمـا رأوا منه اتباع القرامطة ، ولم يذكر نفس البدعة وهل هى دينية أم سياسية .

قال : ثم عقد فى حياة أبى سعيد القرمطى قبل أن تعـلم بدعته للصلت ابن القاسم ثانية ، ومات الصلت بن القاسم من غير اعتزال عن الامامة ، أى فى هـذه المرة الثانية ، ولم يعـلم كم لبث فيها ولا ماذا كان من أمره . قال : ثم بويع من بعده للحسن بن سعيد السحتنى النازل نزوى أخى بنى ثعالة ، فلبث فى الامامة أقل من شهر ، ثم مات من غير اعتزال عن الإمامة . قال : ثم عقـد للحوارى بن مطرف الحـدانى النازل نزوى ، وبويع على ما بلغنا على المدافعة . قال : وكان فى البلد آخذاً على أيدى الفساق من سفهاء أهل عمان أخذا شديدا ، وكان اذا جاء السلطان الى نزوى يجبى من أهلها اعتزل من بيت الامامة الى منزل نفسه من نزوى ، فاذا خرج السلطان من نزوى رجـع هو الى بيت الامامة ، ووضع تاج الامامة ، على رأسه ، وقال : لا حـكم لله ولا طاعة

لمن عصى الله ، قال : وكأن قائما له بالأمر عند السـلطان قوم من بنى سامة فيما أحسب . قلت : أى أمر له عند السلطان حتى يقوم به له بنو سامة ، فإما أن يكون إماماً من طرف السلطان ، وهو الواضح لسكوت السلطان عنه إذ جاء نزوى فالأمر الى السلطان وهو إمام بيته ، واذا خرج السلطان من نزوى يكون هو إمامهم اسماً دون معنى ما سمعناه فى سيرة المسلمين بهذا ، وإما أن يكون عاملا للسلطان ، وهو أكبر ، ولعل بنى سامة يقولون للسلطان اتركه فى مكانه اسماً وأنت المعنى ولا تخشى منه شيئا فانه لم يكن بيده أمر من أمور الدولة ، وهـذه هى الامامة المستضعفة إن لم نقل غير ذلك والله المستعان ما علمنا بهـذا فى منهج المسلمين ، ولا ارتضاه الأئمة فى الدين .

قال : فلم يزل الحوارى على ذلك الى أن مات من غير اعتزال . قلت : أى اعتزال يراد هنا مع هـذه الأحوال الشبيهة بلعب الصبيان . قال : وعـذر المدافع عن المسلمين عذر الشارى . قال الامام : ولا عذر عندنا لأحـد إلا من عذره الله . قلت : لا ينبغى لأحـد أن يدخل فى أمر يرى أنه يعجز عنه ولا يليق بمنصب الإمامة أن يكون كهذا الحال الذى عليه هـذا الامام . قال : ثم عقد لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرف الحدانى ، وكان على نحو سبيل عمه اذا جاء السـلطان اعتزل من بيت الامامة ، قلت : هـذا السلطان أشبه أن يكون من بنى سامة الذين مر ذكرهم ، وأهل عمان أطلقوا عليه اسم السلطان تشهيرا ببغيه فى مثل هذا المقام ، وكأنه زعيم من زعماء بنى سامة الذين تسلطوا على الأمر ، وأما سلطان بغـداد الذى يتعلقون به لم يقل أحـد إنه جاء عمان ، واسم السلطان كبير لا ينبغى إطلاقه على أمير يرجع الى سلطة غيره من الملوك ، وإنما

هو رئيس أو زعيم أو أمير ، أما اسم السلطان فلا تحل له هنا ولا ينبغى إطلاقه فى التاريخ إلا على المعروف بالخليفة الأكبر الذى له النفوذ من غير سلطة عليه ، ثم وجدت أن قواد جيوش بنى العباس سموا أنفسهم باسم السلطان ، وسموا السلطان العباسى خليفة ، فكان الخليفة فى بيته اسماً والسلطان المعنى ا هـ .

أما شيوخ القبائل وزعماؤهم كما سوف ترى فى زعماء بنى سامة ، إذ كانوا عائلة تتهارش على ملك عمان وهم يلقبون أنفسهم سلاطين ، فيكون فى عمان سلاطين عدة فى وقت واحـــد ، فهذا وأمثاله لا يليق أن يطلق عليه اسم سلطان إلا من لا يفهم معنى السلطان أو الخليفة أو الامام ، وهـــكذا فهؤلاء لا عبرة بهم فى التاريخ الصحيح ، وكل من عبر عنهم باسم السلطان فقد غلط غلطاً تاريخياً وأدبياً ، كما أن العلماء يميزون مقامات هـــذه المراتب ، فالسلطان والأمير والزعيم والدولة والحـــكومة ونحوها فى الاصطلاح لكل مرتبة من هـــذه المراتب عرف خاص بهـــا ، ذكر ذلك الشيخ أبو اسحاق فى مجلة المنهاج فراجعه إن شئت ولا تكتب إلا على مقتضى القواعد الصـــحيحة وللمعـــلم حقوق يجب أن تراعى ، وللاصطلاحات اللغوية والعرفية ونحوها كذلك .

قال الامام : ثم جاءت القرامطة بعد ذلك وعمر بن محمد فى الحياة ، ورجعت القرامطة من عمـــان الى البحرين وهو حى فلم يرجع الى بيت الامامـــة .

قالْ : ثم كان فترة من بعده فى سنين عن عقد الامامة ، ثم عقدوا لمحمد بن يزيد الكندى النازل ســـمد نزوى وبايعوه على ما بلغنا على

الدفاع ، واعتل عليهم بأنه رجل عليـــه دين فلم يبايعهم على الشرى ، قال : ثم إن الســـلطان تغلب على البلد وهرب محمد بن يزيد ، وكأنه بهربه سقطت إمامته ا وكان فيما قيل للسلطان عسكران : عسكر بالسر وعسكر بالاعتاك أى كان له جيشان ، وكأنه جعل عاصمته أرض السر ويأتى نزوى كسائر الملوك المتجولين ، وكأنه لم يضغط على أهل نزوى فى عقـــد الامامة فإن السلطان اذا جاء تذهب الامامة كلاشىء حتى اذا خرج برزت الامامة من مخبئها وأعلنت أمرها ، فالذى بيده الحل والعقد هو السلطان ، والذى له اسم الامامة ، فالإمام أياً كان لا يهم السلطان أمره ولا يهوله وجوده ، قال : ثم عقد بعد الكندى فى حياته للحـــكم بن الملا البحرى النازل بسعال •

قال الامام : قال ابن روح لا نعلم أن إماماً كان من أهل القبلة مثله فى الضـــعفة والوهنة ، مسلماً ولا مجرماً قلت كيف لا يكون كذلك وأنتم أنصـــاره وأعوانه ، وأنتم تعقدون عليه والسلطان فى البلاد والأمر اليه ، وأنتم ترضـــون إمامته وهو يرضى أن يكون لكم إمامـــاً والحال هكذا • فحينئذ الامام يولى قـــدر المأمونين ولا يلام الحكم أكثر من لوم أنصاره ، قال : ثم إن الحـــكم بن المـــلا اعتزل عن الامامة وأقام السلطان عسكراً بنزوى الى هـــذه الغاية • يعنى الوقت الذى هو فيه • قلت : من هـــذا يظهر أن السلطان لا يزالُ مع اتفاق لدى الامام ، أن الامام يكون من طرف حتى اذا تخلى السلطان عن الامامة أقام السلطان لنزوى عسكراً يحافظون على البلاد ، ولكن من الأسف الآسف أنهم لم يسموا واحدا من هؤلاء السلاطين السلفيين واكتفوا على قاعدتهم فى نبزهم لغير الامام باسم السلطان ، والمراد به الأمير الذى لا يتولونه يطلقون

عليه اسم السلطان إعلاماً بأنهم غير راضين به ، ولكنهم مرغمون عليه هكذا المفهوم من تعبيرهم سواء كان سلطاناً بكل معنى الكلمة أو كان أميرا مسلطا •

وقال أبو الحوارى : نحن نبرأ من أبى سعيد القرمطى ونبرأ ممن تولاه ، ونبرأ ممن وقف فيه ونبرأ ممن شك فيه بعد رجوعه من السوق الى نزوى • قال : أما عقد إمامته فلا نقول فيه شيئا ، وما من بعد رجوعه من نزوى ورجوعه اليها من بعد دخوله فى القرامطة فنحن نبرأ منه من بعد ذلك الى هذا اليوم ، وممن تولاه وممن وقف عنه وممن شك فيه • قال : ولا ينبغى لعاقل أن يناظر فى أبى سعيد ولا فى عقد إمامته ، قال : وإنما كان يشبه لعب الصبيان فمن تكلم فى ذلك فينبغى أن يعرض عنه ويمقت ولا يلتفت اليه ، قال : وهذا من كلام السفاهة والحمق والضلالة • قال أبو سعيد : هذا القول معناه خاص فيمن علم من أبى سعيد ما يستحق به العداوة وعلم ممن تولاه على ما لا تسعه ولايته عليه ، وعلم ممن شك فيه بعد أن علم منه ما لا يسعه الشك فيه عليه •

وقال أبو الحوارى : ان عثمان بن محمد بن وائل ويزيد بن حماد السعالى بايعا محمد بن يزيد اماما ، وقد كان مع من خرج على الصلت بن مالك ، وكان من أصحاب راشد وكان واليا له على سمائل يعرف ذلك الخاصة والعامة ، وقال : يزيد بن حماد وأبو عبد الله النعمان ومحمد بن عبد الله أنهم اجتمعوا فى المسجد منهم عثمان بن محمد بن وائل ، وأبو عبد الله النعمان ، ويزيد بن حماد ومحمد بن عبد الله ، ومحمد بن خالد بن يزيد وكتبوا بامامة محمد بن يزيد الى الرستاق ، وخرج عثمان بن محمد بن وائل ،

وعلى بن محمد بن على الى الاعتاك يدعون الى نصرة محمد بن يزيد فيما سمعنا • قال : ولأبى المؤثر وأبى قحطان كلام فى هؤلاء الأئمة ، وفيمن بايعهم • قلت : أما قولهم نحن نبرأ من أبى سعيد ونبرأ ممن تولاه ونبرأ الى آخر ما جاء عنهم ليس بشىء ، وانما هو أشبه بلعب الصبيان ، فاذا برئتم أنتم ومن معكم من أبى سعيد ماذا يضر أبا سعيد ، وقد لعب دوره وأنتم الناصبون له ، وان لم تكونوا أنتم بالذات فاخوانكم وأهل ولايتكم وأهل مذهبكم وملتكم ، ومن تحتجون بهم وتعتمدون عليهم ، وهل يكفى القول عن الفعل أم هذا ضرب من الحمق والسفاهة كما تقولون ، وهل يليق بالامامة العظمى كهذا الحال الذى مشوا عليه هنا ، وانه لمن المؤسف وانا اذ نذكره نريد أن نكشف للناس جد الرجال وهزلهم فى الدنيا والدين ، وليعلموا أن مرت على أهل مذهبهم هى أشبه بلعب الصبيان ان لم تكن فى الحقيقة لعبا خالصا • قال أبو المؤثر : قدموا راشدا يعنى ابن النضر اماما ثانية على غلطه وخطئه ، ثم ضللوه وعزلوه ، ثم أقاموا الصلت ابن القاسم إماما ، ثم قدم عليه حمويه الفاسق ففر عنه ولم يذب عن الحريم ، فلما قضى حمويه غشمه وظلمه رجع الصلت الى موضعه ، فأنفذ الأحكام وجبى الصدقات وولى الولاة وصلى الجمعات ، الى أن رجع حمويه ثانية ففر الصلت ابن القاسم فحاصره ، فدفع الله شر حمويه فانقلب صاغرا ولم يدخل الجوف •

قال : ففعل الصلت بن القاسم فى هذا الحال أحسن من فعله فى المرة الأولى ، أى نجرد لحرب حمويه وقاومه فى هذه المرة بخلاف المرة الأولى التى لم يفعل فيها شيئا ، قال : فلما أحسن فى فعله قاموا عليه فبرءوا منه وخلعوه وكتبوا الى المسلمين كتابا ، قال : فالعجب من ذلك أنهم رضوا

به اماما فى أسوأ فعله ، اذ فر أى فر عن الدفاع للظالم حمويه ، ولم يقاومه وهذا من أقبح الأشياء فى الدين ، وأوهن سمعة للمسلمين ، وأضيع لحقوقه الامامة عند المؤمنين ، قال : وخلعوه وهو محسن اذ الله به شر حمويه عنهم ، قال : فهذه عجيبة من العجائب • قلت : وأعجب منها ما يأتى وهو كما يقول عنهم ، ثم عادوا عليه فقدموه ثانية ، فالعجب منهم ومن الصلت فان يكونوا مخطئين فى عزله وفى خلعه فقد كان لا يبغى ألا يتخذهم وراءه ولا يؤمنهم على البيعة ولا يقربهم فى مؤازرته إذ خلعوه وهـو مصيب وهم مخطئون ، وان يكن الصلت مخطئا فالعجب منهم إذ رجعوا اليه ورده اماما على خطئه ، وإن قالوا قد تبيناه واستتبناه فقد اتخذوا دينهم ربا ولهوا ولبعبا إذ يظهرون الخطيئة ويبطنون التوبة ، فقد عظم ذنبهم على لبسهم الأمور بعضها ببعض ، ولبس الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يلعبون •

فاتقوا الله يا أهل عمان وارجعوا الى ربكم يعد الله عليكم ، وادخلوا فى الباب الذى خرجتم منه ، وارجعوا الى الأصل الذى تفرقتم عنه ، ولدين الله الذى لا عوج فيه ، وللحق الذى لا باطل معه ، وللعدل الذى لا يشوبه الجور ، وتعانوا على البر والتقوى ، وكونوا بنى الاسلام ، وألقوا عنكم العصبية والحمية ، ولا تعازوا بالعشائر ، أى لا تتداعوا بها ، وليكن عزكم بالله ، أى الذى هو الأحد الفرد الصمد ، وبدينه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ودعـوا عنكم اللجاج واخضـعوا للحق ، وتواضعوا له ، وانزلوا للمحدثين حيث أنزلوا أنفسهم ، واجتمعوا وتكاتبوا وتداعوا إلى وطء آثار أسلافكم ، قال : فاذا اجتمعتم فبايعوا اماما من أحزمكم على الخير وأصبركم على الجهاد ، وأبعدكم عزما وأوفاكم على أمر

الله عهدا ، ثم انصروه بأموالكم وأنفسكم ، فقد تعلمون أنه لم يبق من الجور ولا من خصال الشر شيء الا قد وقع وانبث بين أظهركم ، دل عليه قوله : أمراء ظلمة وأجناد غشمة وقطاع الطريق ، قد صدوا الناس عن أسفارهم وقضاء حوائجهم ، أى خوفوهم فلم يخرجوا لأعمالهم ، قال وفساق القرى قد استطالوا على الناس ، فيسفكون دماءهم ويغصبون أموالهم ، ويروعونهم فى منازلهم •

قال : ثم داهية هى أعظم وأفحش كفرا قوم يدعون الى تكذيب رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، يعنى القرامطـة ، يدعون الى تحـريف أى القرآن ، لم يمكنهم ابقاء التأويل والتنزيل معا فجعلوا يبطلون التأويل ويحرفون الكلم عن مواضعه ، لأنهم متى حرفوا تأويله وسموه بما لم يسمه به الله ، قصدوا الى ابطال تنزيله وفى الحق عليكم أن تدعوا ذلك وتتفرغوا لدينكم وأحسابكم ، لأنهم يستحلون فيما بلغنا قتل الأطفال وسبى الحرم ، ويضربون الأمثـال فى ذلك ويقولون : إذا قتلت العقرب فلك أن تقتل أولادها ، ويتأولون دعوة نوح عليه السلام على قومه وهى قوله : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • إنك إن تذرهم يضللوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّاراً) يقصدون فى أهه الجفار ومن يستحل أكـل أموال الناس بالباطل بغير دين ، فكيف إذا منوهم بالخلود ، ووعدوهم استباحة القرى ، فالله الله قبل أن تنزل بكم العقوبة ، فليجتمع منكم عشرون رجلا الى هؤلاء القوم فيسألونهم عما يدعون اليه ، فان ناظروكم فناظروهم ، وإن طووا عنكم فادعوهم وأجيبوهم ، ولا تأمنوا أن يجمعوا عليكم الأعراب اللصوص قطاع الطريق ، ثم يبيتوا على قرية من قراكم فيستبيحونكم يغلظ جمعهم بالفساق ، ثم يعسر عليكم دفعهم فأدركوا

قبل أن يفوتكم الأمر تندموا على ما فاتكم وقد أعذرنا اليكم ونصحناكم والله يشهد على ما نقول ويقولون •

وقال أبو قحطان : رجعوا الى راشد يعنى ابن النضر بعد أن كان فى السجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا فعقدوا له اماما وقصروا الجمعة أى صلوا وراءه ركعتين ، ولا تصلى الجمعة فى نزوى الا خلف أئمة العدل ، والا كان الواجب عليهم أربعا فاستحلوا قصر لأربع ركعتين ، قال : وجبوا الزكاة أى والزكاة لا تحل الا للامام العدل قال : وباع راشد الصوافى ، قلت : لم نعلم بعمان صوافى قبل تغريق أموال بنى نبهان الذين ظلموا عباد الله ، وسلبوا الأموال من غير حلها ، وعمان أسلمت طوعا فلم تكن يوما من الأيام صافية ، فان الصوافى هى جمع صافية وهى ما استصفاه الامام من الغنيمة ، ومنه اشتق لها اسم الصافية والمراد بها عند الفقهاء أموال الكفار الذين جلوا عنها وغنمها المسلمون كخيبر ومثالها ، أما عمان لم تكن يوما من الأيام صافية الا أموال بنى نبهان الذين ظلموا أهل عمان أموالهم وأملاكهم ، وأخذوا ما ليس لهم وأملاكهم ، وأخذوا ما ليس لهم بحق فرأى هداه الحق ظلهم ولم يستطيعوا رد كل شىء الى أهله ، فأشكل عليهم ذلك غاية الاشكال ، فلما أشكل عليهم جعلوا المشكل كمجهول الأرباب أمره الى الامام يضعه حيث يرى له وجها يسوغ وضعه فيه ، فتكون مصلحته عامة فى المسلمين وما عمت مصلحته كثر أجره ، ولا يكلف الله نفسا فوق طاقتها وأين يدرك ذلك إذا تعددت المظالم بتعدد الظلمة ، ولو لم تتعدد الظلمة بل كان الظالم واحدا وتعدد ظلمه كما إذ طال عمره وهو ظالم ، فمن أين يستطاع رد ما كسب الى أهله والحال هذا ؟ كما إذا جعل على الناس المكوس والضرائب المتنوعة فى الأسواق وفى الجبايات ، فما

تحصل من هذا الوجه أمر عظيم ، لو شئنا لذكرناه عن أناس رأيناهم فى حياتنا ورأينا فعلهم ، والله سائلهم عما كسبوا .

قال أبو قحطان : وباع راشد الصوافي أيَ وأكثر أهل العلم لا يجيزون بيعها ، ومن أجاز بيعها لصلاح دولة المسلمين رأى أن تقويم أمر المسلمين أولى من ضياعه وتبقى الصوافى مكانها مع ضياع أمر الدين ، ويخشى على الحوزة من البغاة أو يخشى على الدين من الطغاة ، فان للامام أن يجبر الأمة على الدفاع عن حوزتهم واستباحة حماهم بمالهم وأنفسهم كما صح ذلك نقلا وعقلا ، وبسط ذلك لا يسعه المقام فنكله الى محله ، ولكل مقام مقال .

قال أبو قحطان : لما ذكر أن راشدا باع الصوافى ولم ينكروا عليه بيعها ، قال ثم خذلوه وتركوه ، ثم خلعوا معه الامامة وفرضها وما أوجب الله تعالى فيها على أهلها لعبا ولهوا كلما أرادوا صافقوا رجلا ببيعة ، ثم خذلوه حتى بايعوا ست عشرة بيعة أو أكثر ، لم يفوا لله بواحدة ولا ساروا بحق الامامة ولا اتبعوهم ، ولا من قدموه فى بيعتهم سبيل الأسلاف من المسلمين ، قال : بايعوا راشد بن النضر بيعتين ، عبايعوا عزان بن تميم ، وبايعوا الصلت بن القاسم بيعتين ، وبايعوا الحوارى بن عبد الله ، وبايعوا أبا سعيد القرمطى ، وبايعوا محمد بن الحسن ، وبايعوا الحسن بن سعيد ، وبايعوا الحوارى بن مطرف بيعتين ، وبايعوا عمر بن محمد بن مطرف . قال : وبايعوا محمد بن يزيد ، وبايعوا الحكم بن ملا بيعتين ، وبايعـوا عزان بن الهزبر . قال : ولم نكتب بيعتهم أولا فأولا أى على الترتيب ، وكان ينبغى ذلك وهو من حق التاريخ حتى يعلم من يأتى الأسبق مـن هؤلاء الأئمة ، ويعلم العلل والأسباب فى العقد والعزل ونحو ذلك ، قال : وانما سميناهم ، قال : وعزان بن الهزبر كانت بيعته قبل بيعة الحكم بن

الملا وغيره • قال : فأما عزان فلم تقم عليه فى بيعته أكثر من أنه لما ولى الأمر لم يظهر دعوة المسلمين ، ولم يظهر دينه للناس ، وكان من أهل دينه ، وممن يخالفه فى عسكره مجتمعين على غير بيان والحق واحد ، فدل ذلك على وجود ناس من غير أهل المذهب ، والمسلمون ولم يقبلوا من عمر بن عبد العزيز الأموى ، وقد كانت سيرته محمودة معهم ، الا أن يظهر دين المسلمين ، ولم يقبلوا منه غير ذلك ، والآخر تبع للأول •

قال العلامة أبو اسحاق : لم يقبلوا من عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه وفد من أصحابنا رحمهم الله ، وفاوضوه فى أمر الأمة ، وما تركه خلفاء الأمويين من المظالم وبينوا له ما هم عليه من الحق ، وكلموه فى فتنة الصحابة التى هى الأصل فى تشعب الأمة ، فقبل منهم كل شىء ووافقهم على كل شىء إلا مسألة الصحابة ، فكان رأيه السكوت عنها أى لما ورد من النهى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنها : إذا ذكر أصحابى فأمسكوا • الحديث ، فقالوا له : يجب عليك إظهار الحق واعلانه دفعة واحدة ، فقال لهم : لكم يوم على أن أحيى كل يوم سنة أى من سنن الرسول ، والمراد بها السنن التى عارضها بنو أمية ، وقضوا عليها وخالفوا فيها سبيل المسلمين واتبعوا أهواءهم بغير برهان من الله عز وجل ، قال : وأميت كل يوم بدعة من البدع التى ابتدعها المذكورون ، وأرد الأمور على قواعدها بطرق السياسية ، أما اعلان الحق مرة واحدة فلا لأنى أخشى أن تنتقض الأمور وتنفض الأمة ، وكان الوفد شديدا عليه ، أى أن المسلمين كانوا أشداء على الحق ، كما وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز ، قال أبو اسحاق : وكان الوفد شديدا عليه فى المسألة والتى قبلها أى اعلان الحق دفعة واحدة ، وامانة البدع واحياء السنن كذلك ، قال : ولكنهم

متفقون معه فيما سوى ذلك ، والظاهر أنهم على نهج واحد ، الا أن الذى خالف بينهم ، فان عمر بن عبد العزيز يريد استعمال السياسة والوفد يرى أن الامام العدل لا تسعه التقية •

قال وعلى أثر ذلك الحال الذى جرت فيه المحادثة أبطل شتم على بن أبى طالب على المنابر ، وليس ذلك الابطال بالهين ، إذا كان راسخا فى أذهان الأضداد ، أنه عندهم من السنة التى ينشأ عليها الكبير كما حققناه تماما ، فى العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة ، فكانت تلك أول صدمة عرفها أعداء الحق ، قال : وجعل بدل ذلك الآية الشهيرة العظيمة فى بابها الفذة فى أترابها ، الجامعة كل خير ، الناهية عن كل شر ، وهى قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ، وأراد أمير المؤمنين عمر بايراد هذه الآية هنا الرد على أفعال القوم وابطال أعمالهم ، والمعنى أن الله يأمر بهذه الأوامر ، وينهى عن هذه المناهى التى أنتم واقعون فيها والراكبون على متنها بغير مبالاة ، فان الله يأمر بالعدل وهو المساواة بين الناس فى الحق ، ويأمر بالاحسان ، وهو استحضار عظمة ذى الجلال ، فان من استحضر عظمة ربه امتنع أن يركب الباطل كما أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم ، بقوله : الأحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • أى واعلم أن رؤيته مستحيلة ، وانما أراد نفس الاستحضار أى إذا تحققت أنك لا تراه فلا تحقق أنه لا يراك بل المراد العكس ، وهو أن تستحضر فى نفسك أنه يراك ، فاذا استحضرت ذلك تباعدت عن المناهى كلها ، وهو واجب المسلم وبقية الآية دليل واضح فى الرد على أهل الضلال ، وتلك المعانى كلها أرادها أمير المؤمنين الأموى العبد الصالح •

قال : واذا جاز لعزان الامساك جاز لغيره ، قال : وقولنا فيه قول المسلمين ، قال : ثم نعت الناصبين لهم ، أى لأولئك الأئمة الذين مر ذكرهم بأنهم ممن غير أثر السلف الصالح ، واتخذوا رأيهم وهو أهم دينا ويقدمون رجلا ويسمونه بالامامة ، ويقصرون الصلاة خلفه ويجبون الزكاة والجزية ، حتى إذا خرج عليه وعليهم العدو خذلوه ، وأقام من أقام منهم مع من خرج عليه من الأجناد يحث فى اصلاح البلاد والقيام بالخراج ، وعدد الأموال حتى اذا خرج السلطان قدموه أو غيره اماما ، وخطبوا له الخطب ، ودعوا له بالامامة ، وقصروا الصلاة يعنى الجمعة وجبوا الزكاة ، قال : فهم يخلفون الجائر على الرعية يجبونهم ، فالسلطان يجبى حينا وهم يجبون حينا ، فقد اجتمعت جبايتان جبايتهم وجباية الأجناد فى أيام الحوارى ابن مطرف ، قال : وما نعرف هذا من آثار الأسلاف ، قلت : فى هذا وما سبق من التأنيب والتوبيخ والند لأعمالهم ، والرد عليهم بفحوى الخطاب ، وقطع عذرهم بعدم وجود هذا فى آثار المسلمين وعدم الرضا به مــن المؤمنين ، وقد علمت أنه لا جباية بلا حماية ، وأين الحماية هنا وهم تحت سيطرة السلطان الجائر كما هو عرفهم وتعبيرهم فى مثل هذه المواضع ، وهذا السلطان الذى يشيرون اليه فى هذه المواضع المراد بــه الزعيم السامى القائم بالأمر فى عمان من طرف الخليفة متسيطرا به على الأمة ، راكبا به على ظهرها يفعل ما يهوى ، ويحكم بما يملى عليه الهوى ، قال : وفى آثار أسلافنا أنهم قالوا ولا نجبى جزية ولا صدقة ، حتى نكون على الناس حكاما ولا نبعث جباتنا يجبون أرضا لم نحمها ولم يجر فيها حكمنا ، ولا نمنع من جبينا من الظلم والعدوان ، قال : بهذا ندين ومــن خالف المسلمين برئنا منه انتهى تلخيص ما أردنا نقله من كلام أبى المؤثر رحمه الله ، وأبى قحطان رضى الله عنه .

قال الامام رحمه الله : وفيه من النقد ما فيه ، والله أعلم بحال أولئك الأئمة وبحال أولئك العاقدين ، وكلام أبى الحوارى ومحمد بن روح أهون حالا من قولهما ، وما غاب علمه لم يلزمنا حكمه اه من تحفة الامام رحمه الله .

وهؤلاء الأئمة الذين مر عليك ذكرهم ، وما كان من أمرهم وأمر القائمين ببيعهم ، والمناصرين لهم والخاذلين اياهم ، وما فى ذلك الجو المظلم من الاضاعة ، وما فى عهد تلك الأئمة من الضعف كما عبرنا عن إمامتهم بالامامة المستضعفة ، احتماء لجانب الحق ، وتجنبا لما لا نعلم له دليلا ، ولكنا ما نقول رعاية لجانب الذين يطلعون على الحقائق فى عمان ، ومن يفهمون القضايا الشرعية ، فاذا اطلعوا على ما سطر هنا حارت أذهانهم فى تصوير الواقع ، وربما سخروا مما رأوا وسمعوا عن أعمال المذهب الذى نحن نفتخر به وندعو اليه ، ونقول : انه المذهب الطاهر النزيه ، بعلمائه الأبرار الذين لا يرضون شيئا يخالف القواعد الشرعية ، وإذا بهم ينصبون اماما ، ثم يخلعونه ويقومون الى آخر فيبايعونه ، ثم يتركونه ويعودون للأول من غير أن يذكروا له ذنبا ، ومنهم من ذكروا له ذنبا بل ذنوبا ، ثم عادوا عليه وهو فى أسرهم وقيودهم ، ثم يبايعونه مرة ولم يظهروا له توبة عما قيدوه من أجله ، وكيف يليق للامامة من كان بالأمس فى القيود معاقبا ، ويصبح اليوم اماما فيقولون المقيد بالأمس ، قد أصبح اماما وهكذا ، فهذا أمر ما سمعنا بمثله فى أمة من أمم العالم الاسلامى ، بل ولا غيره ، وليس الدين ألعوبة ولا الامامة ملهى يتلهون به ، وإنما هى عهود الله ومواثيقه وعقوده التى أمر بالوفاء بها ، والامامة لا تقوم إلا بالحق ، ولا تنشد إلا الحق وحكم القرآن فيها ثابت ، ومن

السنة كذلك فمن تلاعب بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فقد خان الله ولعب بالحق بمقتضى هواه ، ومن حيث لا علم لنا عما مشى عليه القوم ، فنحسن الظن بأهل الحق ، ونكل ما سمعنا الى الله عز وجل وإنها لامامة مستضعفة فقدت أنصارها رجال الله ، وليتها لم تكن وهى على ذلك الحال السيىء الذى أشبه بلعب الصبيان ، فكان السلطان فى عمان هو المسيطر عليها وهؤلاء ينصبون الأئمة ويبايعونهم ، وإذا جاء السلطان دخل الامام بيته واختفى فيه حتى اذا خرج هذا السلطان من نفس البلد التى فيها الامام ، برز الامام وينادى بامامته .

أيفعل هذا عاقل ؟ أيقول به من له فى معنى الرجولة ؟ أيرضى بـه من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ؟ فكانت عمان على هذا الحال فوق أربعين سنة قضاها الله على أهل عمان خذلان ، نعوذ بالله من مثل هذه الأحوال الواهية المستضعفة ، وكان هذا والخلافة فى بغداد الى عبد الله ابن المعتز الذى توفى سنة ٢٩ تسع وعشرين هـ .

وهؤلاء من أواخر آل العباس الذين شهروا بالتلاعب ، فكان هذا الحال عم الأمراء فى ذلك الوقت ، وانتشرت الفوضى فى أغلب أقطار الاسلام ، فمن راعى التاريخ رأى ذلك صحيحا فى جميع بلاد الاسلام ، ولا يسع مقامنا لذكر ما علمناه فى هذا العهد مشرقا ومغربا ، وفيه بدأت أرواح النصرانية تتحرك لهاوتأمل مـن رد الكرة على المسلمين والقضاء عليهم .

إمامة الإمام الرضى المرضى سعيد بن عبد الله الرحيلى

كان آل الرحيل بصحار عيونها الباصرة وأنجمها الزاهرة وحجتها القاهرة ، لا لكونهم قريشيين بل لكونهم علمـاء الملة والدين ، كان محبوب ابن الرحيل بن يوسف بن هبيرة بن أبى وهب بن عمر بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظـة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، كمـا فى رعاية الأحساب ، سيدا من سادات المسلمين ووليـا من أولياء الملة والدين ، وكان هو المعروف بأبى سفيان ، وولدم محمد بن محبوب أكبر علمـاء المسلمين فى عهده وأولاده عبد الله وبشير ومجبر ، ونجالهم هم فى ذلك الوقت أعمـدة المذهب الاباضى ، وهداة الأمة وحجة الله على عبـاده ، ومحمد بن محبوب هو المعروف فى الأثر المشرقى عند الاطلاق بأبى عبد الله ، وعبد الله هـذا المكنى به هو والد الامام سعيد الذى نريد أن نتحدث عنـه فى هـذا التاريخ العمانى .

وقد علمت لمحة عن هؤلاء القـادة الأجلاء والسـادة الأعزاء ، الذين هم حجة الله فى أرضـه ، وصحار إذ ذاك مهدهم العزيز وموطنهم المحروس ، وهم أركان العدالة فى عمـان ، وفقهاء المذهب الاباضى على الاطلاق ، فكانت عائلة آل الرحيل لهـا المقام المرموق بن أعلام المسلمين ، ولم ، تكن عائـلة تماثلهم فى عمـان ، اللهم إلا إن كانت عائـلة آل مداد وهم قوم من التعب من قضاعة ، وعائلة الشيخ صالح وذراريه ، وعندى أن عائلة آل الرحيل هم المقدمون لأحوال ليس هـذا محل بسطها .

الامام هو : السعيد بن عبد الله بن محمد ، وبقيـة النسب قدمناها كمـا هى فى الاسعاف ، وفى رعاية الأحساب ،وكلاهمـا والحمد لله لنا .

قال الامام : وسيف بن هبيرة هو فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • قلت : لم أجده فى عداد الصحابة حتى أذكره وعلى كل حال إن قومنا لا يذكرون من كان من رجالنا إلا شبه الغلط ، وان كان الصحابة هم لم يضافوا الى مذهب خاص إلا أن سيف هذا سيكون أصل قادة أجلاء بعمان ، وفى مذهب ابن اباض رحمهم الله ورضى عنهم • قال الامام : بايعه المسلمون يعنى سعيد بن عبد الله الرحيلى • بعد تلك البلايا والمحن ، وأشار بذلك الى ما سبق لنا ذكره من أيام القرامطة وسلاطين آل سامة بن لؤى بن غالب ، وما اكتنف ذلك الجو من الاضطراب ، قال وجمع الله الشمل به وأراح به العباد ، وأحيا به البلاد ، أى ورد به على المسلمين عزتهم ونشر به دعوتهم ، وأقام به حجتهم وأيد به المذهب ، وقوى به الاسلام ، قال الامام : لم أجد فى شىء من السير تاريخا لوقت بيعته غير أن ظاهر الحال يدل على أن بيعته كانت فى سنة ٣٢٠ — العشرين وثلاثمائة قال : وذلك أنى وجدت أن أهل عمان بقوا فى هوان من الجبابرة أربعين سنة ، وذلك بعد وقعة ابن بور ، قال وكانت الوقعة فى سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين ، قال : فنتم الأربعون بدخول العشرين بعد ثلاثمائة ، قلت : ويستفاد من ذلك أن عمان فى ذلك العهد تعدد أمراؤها فلعلهم كانوا كل أمير على جهة كما سيأتى فى أيام بنى نبهان ، وفى أيامنا هذه •

فعمان فى أكثر من عشر إمارات كل إمارة مستقلة عن الأخرى ، فأرت ذلك الحال المشار اليه شبيها بالحال الذى نحن فيه ، وإن اختلفت الأسباب • قال الامام : وأول من عقد عليه البيعة أو قال عقد له الامامة هو أبو محمد الحوارى بن عثمان ، ثم أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبى المؤثر ، ثم محمد بن زائدة السمائلى ، هؤلاء الثلاثة الفطاحل

الذين قاموا بعقـد البيعـة للامام سعيد بن عبد الله ابن محمد بن محبوب رحمهم الله ورضى عنهم ، إذ قاموا بتجديد الملة بعد اندراسها ، وبتأييد الشريعة فى مهدهـا الاسلامى فى ذلك العهـد المعصوصب بالجـور ، المملوء بالظلم المحـاط بنوايا السوء ، ومن قام فى مثل هـذا العهـد انه ليعد من أولى العزم فى الدين ، وكان الامام سعيد بن عبد الله رحمه الله كمـا قال فيه رجال الدين .

قال الامام : وسعيد بن عبد الله ممن أجمع المسلمون على ولايته وامامته ، فلم يطعن فيـه طاعن ولم يقـدم يقدح فى سيرته قادح ، قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : إن بيعـة الامام أبى القاسم سعيد بن عبد الله جرت على الدفاع لا على الشراء . قلت : ذلك لأن الجور والظلم والفوضى أحاطت بعمان من كل جانب ، فكان غاية الأمل فى ذلك الحـال الدفاع عن البيضـة ، وحماية الحوزة من هجـوم الأعداء ومطاردتهم عنهـا ، حتى اذا قوى أمر المسلمين وظهر أمرهم واشتدت وطأتهم أمكنهم كل شىء ، وعلى العاقل ألا يقفز قفزة يكون فيهـا هلاكة ، بل يمشى رويدا رويدا حتى اذا رأى الطريق سويا والنشـاط فى تقدم أمكنه مـا أراد ، ومـا جعل الله السمع البصر فى الانسان سدى ، وانما جعلهما رشدا له وهدى .

قال أبو محمد بن أبى المؤثر رحمه الله كان يثنى عليه أى الامام سعيد بن عبد الله فى العلم مـا لا يبلغ الواصف الى غاية صفته . وقال محمد بن روح : كان الامام سعيد بن عبد الله أعلم الجمـاعة الذين كانوا معـه ، قـال أبوسعيد رحمـه الله : وقد كان معـه أبو محمد الحوارى عثمان ، وكان هذا تنويها بشـأن المذكور . قال : وعبد الله بن محمد ،

ومحمد بن الحسن ، ومحمد بن زائدة مع نفــر لا ينكر فضلهم فى الدار ، ولا يجهل عدلهم ، ولهــذا تأييد للامام المذكور يذكر هؤلاء الأعلام الأماجد الذين أقام بهم صرح الامامة الرحيلية فى ذلك العهد بعد مـــا كان التلاعب بالحقائق المفروضـــة ، والأعمــال المشروعة ، على غير روية فى مذهب المسلمين ، وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر رحمـــه الله : لا نعلم فى أئمـــة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله ، إلا أن يكون الجلندى بن مســعود قال أبو ابراهيم محمد بن سعيد بن أبى بكر : ان الامام سعيد بن عبد الله أفضل من الامام الجلندى بن مسعود رحمهم الله تعـــالى •

قال أبو سعيد : ومن أحقـــه بذلك فانه كان إماما عادلا صـــحيح الأمامة من أهل الاستقامة ، عالما فى زمانه ، لعله يفوق فى العلم أهل أوانه أو كثيرا منهم ، ومع ذلك قتل شهيدا رحمـــه الله وغفر له ونحـــوه • قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : إلا أنه وقف فى تفضيله على الجلندى ، قـــال الامام ، قلت : ولا أعدل بالجلندى إماما فى عمـــان ، فانه قد جمع الصفات الثلاث العلم والعـــدل والشهادة مع مـــا جمع الله له من الصفات التى لا تكاد توجد فى غيره قلت : يشير الامام رحمـــه الله الى مـــا كان للجلندى بن مسعود من المنصب الرفيع ، اذا كان من ذرية أولئك الملوك الأجلاء الذين أسلم أهل عمان على أيديهم ، وكون الامام الجلندى الدعامة الأولى للامامة العمانية ، والزعامة الاباضية فى عمان ، وللسابق فضيلة السبق ، وأول الأمور ـــ هـــو الذى يكون حجر الأساس لمـــا بعده ، مع عفة وزهد وورع الى أقصى حد ، فرحم الله تلك الأنفس الطاهرة ، ورضى الله عن أولئك الرجال البررة الهـــداة الخيرة ، أئمـــة المسلمين أعمدة الحق والدين •

قال أبو سعيد فتظاهرت الأمور معنـا من أهل الدار ممن ينتحل نحلة الحق على الاجماع عى ولاية الامام سعيد بن عبد الله رحمه الله ، وهو ولينـا وامامنا ان شاء الله ، هـذه صفات هذا الامام وتلك منزلته فى قومه وأمتـه ، فقد أعرب مقـال هؤلاء العلماء عن حقيقة امامهم ، ومنـه يعرف شرفه ودينه ، وقد عرفت مقام آباؤه الغـر الميامين هم جبهة الرجال فى أيامهم ، وعيون الأخيار فى زمانهم ، وكان قد تولى الأمر فى عمان يوسف وجيه وهو أحد الغزاة لعمـان ، وأحد البغاة عليها وأحد العتاة فيهـا ، وهؤلاء كلهم أعمدة جور أمراء ظلم تسلطوا على عمـان ببنى العباس ، الذين أصبحوا كرة يتلاعب بهـا قواد الجيوش ، حتى أصبحوا يضعون عليهم اسم السلطنة وعلى أنفسهم اسم الخلافة ويرون أن اسم الخليفة أجل من السلطان ، بل تستروا بذلك لأمر مـا .

القتال بين الإمام سعيد بن عبد الله وأهل الجور فى عمان

لا يخفى أن الجور والظلم من طباع البشر ، والظلم من شـيم النفوس ، فان تجد ذاعفة فلعله لا يظلم ، ولولا ذلك لما احتاج الأمر الى ارسال الرسل وانزال الكتب وركوب مصاعب الجهاد فى الأمم ، ولله فى كل ذلك حكمة بل حـكم وأسرار ليهلك من هلك عن بينـة ويحيا من حى عن بينـة .

ومن ذلك أن يوسف بن رجيـه كان أميرا على عمـان ، ولعل أمراء بنى سامة كانوا السبب فى تأميره وهم أعضـاد جيشه وأركان إمارته ، وكان أميرا مسلطا على بعض أنحاء على أثر ذلك الخلاف والشقاق فى نصب الأئمة وعزلهم ، وكان الامام سعيد بن عبد الله والسلطان المذكور على حال عداء حـار .

قال وكان قد ملك ناحية من عمان ، وكان معاصرا للامام سعيد ابن عبد الله رضى الله عنـه ، وكان للامام معـه حروب ، وقد انخمد أمره أيام الامام سعيد بن عبد الله ، وظهر الحـق عليه ، وانمـا ظهر بعد قتل الامام رحمه الله ، وكان قتله فى سـنة ٣٢٨ ثمـان وعشرين وثلاثمائة ، ولكن التاريخ العمانى لايزال رهن الاضطراب ، لأن أهله أهملوه وأضاعوه ، ومـا جعلوا له قيمة وليتهم لم يفعلوا ذلك . فان الله العزيز الحكيم الذى لا تغيب عليه غائبة ، ولا تفوته هاربة ، يكتب كل شىء لا حاجة الى ذلك تعالى الله علوا كبيرا ، وانمـا أقل مـا فيه أن يكون حجة على صاحبه وبرهانا على راكبه ، واعتبارا بأهله ومداولة الأيام ذكرها الله عز وجل اعتبـارا

لعبـاده ، لكنـا نحن أهملنا ولذلك ترى الامام السالمى رحمه الله يذكر امامة الامام سعيد بن عبد الله ، ثم يذكر بعدها إمامة الامام راشد بن الوليد ، ثم خروج سلطان الجور على المذكور ، ولا يسمى هـذا السلطان باسم ولا يذكر له قبيلة ولا عشيرة ولا موطنـا ، ثم عقـد بابا لذكر الجبابرة الذين تولوا عمـان فى الزمان الأول ، وذكر فى هـذا المقام يوسف بن وجيـه فى صحيفة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين ، والواقع أن يوسف بن وجيه هذا هو الذى حار به الامام سعيد بن عبد الله ، وسعيد ابن عبد الله هـذا قامت امامته فى سـنة ٣٢٠ ـــ العشرين وثلاثمائة وانتهت سـنة ٣٢٨ ثمان وعشرين وثلاثمائة ، والجبابرة الذين ذكرهم نقلا عن ابن خلدون لم يكونوا فى هـذه المدة ، بل كان قبلها من قدمنا ذكره وكان بعدها بكثير غزاة لعمان احتلوها ، وسيطروا عليهـا ، وتسلطنوا فيهـا ، وذكر إمامة راشد بن الوليـد ، ثم ذكر خروج سلطان الجور على الامام راشد ، وذكر مـا كان بينهما وأن هـذا السلطان من عمان بنى العباس ، وعلى كل حال ان بنى العباس لم يجعلوا أحدا سلطانا على منطقة من المناطق الاسلامية ، وإنما يقولون عامل أو أمير أو وال ، أما السلطان فلا يطلقونه لأحد من عالهم ولا يسمحون به ولا باسم خليفة المسلمين ، بل ذلك لهم خاصة إلا أنه لمـا ضعفت الدولة وسيطر عليهـا القواد ، وتولوا الأمر عليهم لقبوهم بالسلاطين ، وأبقوا لهم اسم الخلافة وهو ظاهر فى تاريخهم ، اللهم إلا أن يكون هـذا السلطان من بنى سامة ، وأن بنى العباس هم الذين يشـدون عضده ويؤيدون أزره ، ويقوون أمره لتطلقه بهم واعتماده عليهم ، كمـا عرفت ذلك عنهم ، وهـذا هو الأشبه ، إلا أن من المؤسف أنهم لم يذكروا أسماء هؤلاء السلاطين ، بغضـا لهم ومعاداة دينية لهم ، وذكر أن عمان كانت فى عهدهم دار كفر ونفاق ، نظرا الى أن السلطة

صارت اليهم وهم على غير المذهب ، والنظر فى هـذا الى الحاكم فان كان الحاكم كافرا كانت البلاد دار كفر نظرا الى السـلطة فى الحكم ، ولو كان أهلها مسلمين ، وإن كان الحاكم مسلما كانت الدار تعتبر دار اسلام ، ولو كان أهلها كفارا ، فلمـا كانت عمان أيام هؤلاء السلاطين الظلمـة المخالفين لمذهب المسلمين ، وكانت الدار تحت سيطرتهم ، وكانوا هم الحكام فيهـا ولمرهم الجارى عليهـا ، وسلطنتهم النافذة فيهـا ، اعتبروها دار كفر نفـاق ، لأن الحكام كانوا مسلمين لكنهم على غير المذهب القويم ، ثم ذكر القرامطة وذكر بنى مكرم ، وأنهم صاروا سلاطين عمان ، فأقول : إمـا أن يكون أمر هؤلاء الذين يسميهم أهل عمـان سلاطين قواد جيوش الأعداء ، وأركان حربهم فيتولون البلاد إذ يغلبوا على أهلهـا فيطلق عليهم أهل عمان اسم السلاطين ، تنديدا بهم كمـا هى قاعدة المذهب الاباضى ، وهى أن المسلمين هم الذين يتولون انتخاب الامام فينتخبون المرضى دينـا وعلما وايمانا وتقوى وزهدا وورعا فيبايعونه على حكم كتاب الله عز جل ، وعلى سنة نبيـه عليه الصـلاة والسلام ، وعلى نهج الخلفاء الراشدين ، وإلا كان عندهم سلطانا ، وإطلاق لفظ السلطان يثبت عندهم البراءة ويوجب التباعد وعدم الطاعة ، ويوجب حربه إن قدر عليه ولا يكفى كونه من أهل المذهب للقبول منـه والرضا به ، وهو على هـذا الحال ، هـذا هو مذهب المسلمين ، ولذلك تراهم يطلقون لفظ السلطان على من كان بهـذه الصفة أو كان أيضـا اماما انتخابيا ثم جار فى الحكم وحاد عن الطريق ، ومشى كمـا يهوى وفعل مـا يرضى ، وان خالف الحق ، ولذلك لم يرضوا عثمان بن عفان وقاموا عليـه الى أن آل الأمر الى قتله كما يعرف ذلك المسلمون ، ولولا ذلك لكان كل من يده الى السلطة كان مرضيا أو كان اماما لكان الحجاج اماما ، أو ملوك بنى العباس فافهم ، ولمـا

قام أمر الامام سعيد بن عبد الله خرج عليـه يوسف بن وجيه ، فملك جانبا من ملك عمـان ، ولعله قبض على أرض السر من الظاهرة ، وعلى البريمى من غرب عمان ، إذ كان أكثر الغزاة لعمـان يأتون من ذلك الجانب من مضى ومن يأتى ، لأن فى شرق عمـان يقطع البحر بين الغازى وبين أهل عمان ، ومن جنوب عمان أرض قاحلة ولا أنيس بهـا ولا عمارة فيها ، فكان الغزاة دائمـا سواء كانوا سياسيين أو عسكريين ، يأتون عمـان من ذلك الجانب ، وكأن يوسف بن وجيـه قد تغلغل فى عمـان ، ولعله أيام ضياع العمانين وغفلتهم عن المملكة العمانية ، فان الذئب له صولة عند غفلة الراعى ، ولكن أذل الله يوسف بن وجيـه بالامام الرحيلى النزيه ، فانه سحب جيشـه على نزوى فالتقـاه الامام بهـا وتواقعوا ، فأذل الله الجبار ونصر الله الامام والأنصـار ، وخرج يوسف من نزوى خاضعا لسطوة الامام رافعـا يده عن بلاد المسلمين ، مذعنا للأوامر غير معارض للامام وكان الامام على نهـاية حدود النزاهة ، والوقوف على أوامر الاسلام ، فان يوسف ضرب معسكره فى نزوى ، ولمـا هاجمـه جيش الامام خرج هاربا من البيت الذى كان يؤويه ، فيقال ان حلقـة رز باب فقدت من معسكر السلطان ، فاتهم بهـا رجل من جند الامام فعاقبه الامام حتى ردت الحلقة الى أهلهـا ، ولم يجسر أحد من جنـد الامام أو غيرهم أن يأخذ أدنى شىء من أموال هـذا السلطان خوفا من عقاب الامام ، حتى شـاع وذاع بين أهـل عمـان ذلك ، وحتى قـال من قال من أهل الباطل ان الامام وجيشه حفظة لأموال الأعداء ، خير لهم من أن يكونوا منتهبين لهـا ظالمين لأنفسهم فيهـا عاملين بمـا لا يرضاه الله منهم ، ولا فعله رجال الحق فيهم ، والحق أحق أن يتبع ومـا بعد الحق إلا الضلال .

وهـذا كتاب من الامام سعيد بن عبد الله الى يوسف بن وجيـه ، ينصحه فيه ويذكر له فيه حسن حال المسلمين فى السلم والحرب ، وأنهم لا يتزعزعون عن واجبات دينهم ولا يطمعون فى أموال أهـل قبلتهم ، مـا داموا يعترفون بأوامر الاسـلام ويشهدون بمقتضى الشهادتين ، ويستقبلون قبلة المسلمين ويصومون ويحجون ، ولم يصارحوا برد شىء من أوامر الله عز وجل ، وبين له فيـه على جهة النصح والتهديد له القواعد فى الاسلام والواجبات فى الحلال والحرام قال فيه :

من امام المسلمين سعيد بن عبد الله ومن قبله من المسلمين ، الى يوسف ابن وجيه وأن فى شأننا وشأنك لعجب لحلقـة حديد فى رز باب اتهم بهـا رجل من المسلمين ، أو قال من الرعية عندنا أنه قلعهـا من معسـكر أصحابك بنزوى ، فحسبنا الذى اتهم بهـا لأنا نستحل حبس أهل التهم على قدر استحقاقهم فى حكم المسلمين ، وقلنـا للناس جهرا على رؤوس الملأ ان أموال أهل القبلة علينـا حرام كحرمة أموالنا على بعضنا بعض ، وحجرنا على الناس التعرض لأشيائكم ما دق منها ومـا جل ، حتى قال من لا علم له بأصول الدين إنكم الآن حفظة للجنـد على أموالهم ، أى حيث لا تتركون جيشكم ينتهبها كمـا ينهبها جيشهم ، قال ومن ذلك الحبوب التى جمعت فى الأمصـار التى استولينا عليهـا ، وجرى حكمنا عليهـا ، أى على الأمصار المشار اليهـا ، وهذا يدل أن يوسف بن وجيـه امتد له سلطان فى عمان حتى جبى ، قال : لمـا علم الناس منـا أنا لا نستحل شيئا ولا نقار أحدا على معصية الله كائنا من كان من الناس منعهم ذلك من التعرض لأشيائكم — كلهـا أى منعتهم هيبة الحق إذ أيقنوا أن أخذوا شيئا منهـا يعاقبون على مـا أخذوا قال : فلم يتعرضوا لأشيائكم التى كانت بجوارنا كلهـا من بلداتنا ولولا خوف العقوبة منا

لانتهب ذلك بأيسر مؤنة ، والمعنى أن أهــل البغى معنــا مقهورون عن ارتكاب مــا حرم الله ، وفى كلأمة بغاة وأهل انتهــاب وأهل ظلم شأن أهل الدنيــا وأهل المطامع . قال : ولم يكن أى ذلك المنع الذى منعناه تقربا اليك ولا إبتغــاء وسيلة منــا اليك ، ولكنــا اتبعنا فى ذلك كتاب الله وآثار أسلافنا ، أى فى تحريم أموال أهل القبلة كمــا نادى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن أموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هــذا . حديث .

قال الامام : ومن هــذا الكتاب . قال : وحاربناك محاربة المسلمين ، لأهل البغى حتى تفىء الى أمر الله ، أى أنت باغمن بغــاة المسلمين ، وحرب البغاة منصوص عليه فى الكتاب العزيز نصــا صريحا ، قــال حتى تفىء الى أمر الله ، لا نهــاية لذلك عندنا أو تفنى روحك أو أرواحنا على احياء الحــق واماته الباطل ان شاء الله ، قال : ولا نستحل منــك مالا ولا نسبى لك عيالا ، ولا ننسف لك دارا ولا نعقر لك نخــلا ، ولا نعضد لك شجرا ولا نستحل منك حراما ، ولا نجهز على جريح ولا نقتل موليا تائبا ، ولا مستأمنا إلينــا ولا نغنم ماله ولا ندعوا أحدا يتعــدى عليــه بنفس ولا مال ، فان فعل ذلك أحد بأحد أخذنا له الحق اذا صح معنا ، قال : ومن كان فى يده مال فهو أولى به ، لأنا لا نزيل مالا الا بحجة .

هذا خلاصة مــا فى كتاب الامام الذى صارح فيــه يوسف بن وجيه ، وكشف له عن الغاية فى حربه ، وعن عمل المسلمين فى حرب أعدائهم ، وفيه من النزاهة مــا فيــه ومن الصراحة بغير تمويه ، فكان أمر الامــام الرحيلى فوق أمــر يوسف بن وجيه ، ومتى كف نفســه عن معارضــة

المسلمين ، فليس للمسلمين رغبة فى معارضة من كف عنهم ولم يناصر عليهم .

وقال العلامة أبو سعيد رحمه الله وهو يصف عدل الامام سعيد ابن عبد الله قال : وكان من عدله وضبطه للرعية رضى الله عنه ، ما يحكى أنه ركض بقومه على حجرة بنزوى أى فى حال حرب يوسف بن وجيه ، ولعلها المقر ، قال فاستفتحها أى الامام ، وفقد أهلها بعد خروج القوم أى بعد ما خرج قوم الامارة رزة باب وشكوا اليه أى الامام فطلبها الامام حتى أتى بها بعينها وردها اليهم ، قال : ويوجد أن حلقة حديد فى رز باب قطعت ، أو قال : قلعت من معسكر أصحاب يوسف ابن وجيه ، فاتهم رجل أنه قلعها فحبسه الامام سعيد بن عبد الله ، وكان بذلك بنزوى . قال : ويوسف بن وجيه هو السلطان الذى حاربه الامام حتى غلب عليه ، وظهر الحق على الأعداء ، فأذل الله الباطل بالامام العادل ، وأيد الله الحق بالمحق ، وعلا أمر المسلمين فى عمان ، وراح يوسف بأسوأ الأحوال خائفا صولة الامام كافا يده ، وملأت هيبته عمان وأشرق فيها نور العرفان ، فكان أبو سعيد رحمه الله خزان السجن فما ظنك بأهل الأعمال الأخرى ، وماذا تقول فى القضاة والولاة ، وقادة الجيوش ، وقد علمت أن هيبته منعت من مد الأيادى الى مال عدوه العادى ، وقد قالوا فيه : ان الله جمع به الشمل وأراح به العباد ، وأحيا به البلاد ، وفى ذلك ما يدل بصريح التعبير عن عمل هذا الامام الخطير ، والزعيم الأمير ، الذى أولاه الله حسن التدبير ، وشد عضده بالحق المنير ، حتى أتم الله به على أهل عمان النعمة ، وقامت عليهم به الحجة ، ولله أمر هو بالغه وحكم هو نافذه وإليه المصير .

وفاة الإمام سعيد بن عبد الله الرحيلى رحمـه الله

لـمـا كان لابد للمرء من الموت فأعز موت العبد المسلم الشهادة وهى من الحظوظ المخزونة لأهلهـا ، فان الأنبياء يودون أن يموتوا شـهداء لـمـا يعلمون من الفضل عند الله للشهيد ، وقد صرح القرآن والسـنة بذلك تصريحا واضحا جليا ، فكان من فضل الله لنبينا محمد ﷺ أن جمع الله له ذلك ليكون حاله وافرا من جميع النواحى الدينية والدنيوية ، وفى جميع الأحوال أيضـا، فمات صلى الله عليه وسلم شهيدا بالسم الذى سـمته إياه اليهودية فى ذراع الشـاة ، فكمل بذلك حاله حيـاة وموتا والحمـد لله .

وكذلك كانت وفاة امامنا هـذا رحمه الله ، قال فى المعالم : وانتخب العمانيون سعيد بن عبد الله وبعد وفاته سنة ٣٢٨، انتدبوا راشد بن الوليد ، فدل أن الامام سعيد مات فى هـذه السنة ، قال ابن رزيق : ووجدنا تاريخا للوقعـة التى قتل فيهـا سعيد بن عبد الله رحمـه الله سنة ٣٢٨ — قال هـذه الوقعـة انهـا كانت امرأة من أهل الغشب مجففة حبـا فى الشمس ، فجاءت شـاة فأكلت الحب فرمتهـا أى صاحبة الحب بحجر ، فكسرت يدهـا فجاءت صاحبة الشـاة فضربت المرأة التى كسرت الشاة ، فاستغاثت بجماعتهـا فجاء احدى من جماعتها ، وجاء أحد من جمـاعة الأخرى ، فكان كل فريق يغيث فريقه ، وكل يتعصب لأصحابه شـأن الفتنـة اذا ثارت ، وأولهـا تكون من الشرر ثم تسير والعياذ بالله ، فالتحم القوم اقتتالا ونشبت بينهم فتنـة عظيمة وملحمة شديدة ، فجاء الامام رحمـه الله ، ومـا كان واجبه والمسلمون يقتتلون وهو بين أظهرهم إلا

أن يبادرهم ليكف بعضهم عن بعض ، وهل يمكنــه بل وهل يصـــح له أن يسكت وهو امامهم وهو المسئول عنهم أمام الله عز وجل ؟ وماذا يفعل الامام والسيوف تلمع والرءوس تقطع والناس فى أمر مزعج لهم أزهق أرواحهم ؟ وهل يصغى له أحد على هــذا الحال ؟ ومن ذا الذى يلتفت اليــه فجاء اليهم ومعــه بعض العســكر ليحجزوا بعضــهم عن بعض ويخفضوهم •

ولا شك أنها محنـــة والمرء فى المحنـــة عليه فسعير الفتنة يشتد ، والقتل يوقدها ، فمــا شعر الناس الا والامام قتل بين أظهرهم رحمـــه الله ، فانتقل الى ضحية الشفقة والرحمة للأمة ، وكان ذلك فى ســنة ٣٢٨ ، ولا يدرى قاتله ولعل أحدا له عليه ضغن فاغتنم الفرصة والله سائل كلا عما كانوا يعملون •

إمامة الإمام راشد بن الوليد رحمه الله ورضى عنــه

لـــا قضى الله على الامام سعيد بن عبد الله ، وكان المســـلمون فى حال جامع واتفاق شامل انتخبوا بعده من وقعت خيرتهم عليه وهو راشد بن الوليد رضى الله عنـــه ، فكان كاسمه من الخيفاء الراشدين ، والأئمة المرشدين ، قال فى المعالم : انتخبوا رشيدا يعنى راشدا ، وأطاعه الكل ورضى به الجميع ، أى من أهل عمان قال : ثم وقع اضراب فى آخر أيامه ، قال ومال جماعة أى من العمانيين الى حكم الخليفة يعنى العباسى ، قال : فانهزم الامام وفارق أصحابه ، وبقيت عمان تحت حكم الخلافة الى سنة أربعمائة هجرية ، حيث ضعفت الدولة عن ادارة هاتيك البلاد ،هــذا نص مـــا قاله صاحب المعالم ، ومثله لشكيب أرسلان ، وأوردنا كله فى محل واحد ، لأنه يمــر على التاريخ العمانى مر السحاب ، وهكذا المؤرخون الأجانب عادة فى تصغير الحقائق العمانية .

قـــال ابن رزيق : ثم بويع من بعـــده أى بعد بعد الامام ســـعيد بن عبد الله راشـــد بن الوليـــد ، وذلك لـــا اجتمع المشـــايخ عبد الله ابن محمد بن أبى المؤثر ، والنعمان بن عبد الحميد ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن صالح ، وأبو المنذر بن أبى محمد ، وكان هؤلاء فى تلك الجماعة التى حضرت فى ذلك الوقت ؛ هم المنظور اليهم والمشـــار عليهم كنحـــو مـــا كانت الجماعة التى حضرت البيعة للامام سعيد بن عبد الله ، فى زمانهم وأيامهم ، لا تنكر أهل المعرفة فضلهم ولا تجهل عدلهم : ولا يجدون فى حضرتهم من أهل نحلتهم مثلهم ، ولكل زمان رجال ولكل مقال مقام ،

ولكل أهل زمن مؤتمنون على دينهم ، بذلك جاء الأثر فحجة من حضر قائمة على من غاب ، وليس للشاهد أن يغير ولا للغائب أن ينكر ، ولا للداخل أن يخرج ، ولا للقابل أن يرجع ، قال : فاجتمعوا فى بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد بنزوى : وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبى المؤثر ، قال : فاجتمعوا جميعا على الوقوف عن موسى بن موسى وراشد بن النضر ، والمتبرىء منهما جميعا فى الولاية ، حيث ان مسألة موسى بن موسى وراشد بن النضر لم تزل شاغلة فراغا من الزمن فى عمان ، وبقى لهما فى القلوب أثر يقدح الشر ويثير الضغن ، ويحرك منهم الشعور وينفر منهم التصافى لبعضهم بعضا ، فكان من رأى هؤلاء المشايخ المصلحين العاملين لله الداعين اليه القائمين له بواجبات دينية ، وهم إذ ذاك الحجة فى وقتهم اتفقوا على أن من كان وليا لموسى بن موسى وراشد بن النضر ، ومن كان عدوا لهما ان كان فى الأصل وليا للمسلمين يبقى على ولايته ، ومن كان موقوفا فيه فهو على حال الوقوف فيه ، وألا يكلفوا أنفسهم أمرا غاب عنهم علمه فاتفقوا على ذلك ورضوا به قال بن رزيق : ثم بايعوا الامام راشد بن الوليد على سبيل الدفاع ، وخرجوا الى الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمان .

قلت : هذا يدل أن البيعة كانت فى نزوى ، قال ابن رزيق خرجوا الى الناس فى جماعة من أهل نزوى ، ومن سائر أهل القرى من شرق عمان وغربها من العفاف والفضل والجاه والرئاسة ، مستمعون له مطيعون ، لم تظهر من أحد منهم كراهية ولا نكير ، ثم قام أبو محمد عبد الله بن محمد بن شيخة على رأسة خطيبا بين الجماعة ، فخطب له بالامامة وأخبر

الناس وأمرهم بالبيعة له فبايع الناس له شاهرا ظاهرا لا ينكر ذلك من الناس منكر ولا يغير منهم من مغير ، فدخل الناس فى بيعته أفواجا ، ووفد على ذلك الوفود آحادا وأزواجا وأخذ عليهم المواثيق والعهود ، وبعث العمال والولاة على القرى والبلدان ، وصلى الجمعة بنزوى وقبض هو وعماله الصدقات ، وجيش الجيوش وعقد الرايات ، وأنفذ الأحكام وجرت له فيما شاء الله من المصر الأقسام ، ولم يبق بلد من عمان يغلب عليها سلطان ، ونأى عنه فى تلك الأيام وذلك الزمان الا جرت فيه أحكامه وثبتت عليه أقسامه ، وأقر فى ظاهر الأمر أنه امامه من غير أن يظهر شىء من سريرته وعلانيته فيه شدة ولا غلظة يخاف بها ويتبقى ولا هوادة .

قال الامام رحمه الله : امامة راشد بن الوليد رضى الله عنه ، ولعدم التواريخ لم أقف معرشدة البحث على وقت معقد له ولا على وقت وفاته ، ولا على ذكر شىء من حروبه ، ولم أجد ذكر نسبه إلا ما وجدت فى بعض القراطيس غير الموثوق بها أنه كان كنديا ، قال : وما كان معولهم على الأنساب ، بل على التقوى والفضل والعلم والورع ، وقد أطنب أبو سعيد رحمه الله ورضى عنه فى وصف راشد بن الوليد رحمه الله .

التعريف بالإمام راشد بن الوليد

اعلم أن راشد بن الوليد رحمه الله كان من أخيار أئمة أهل عمان علما وعملا ، وتقوى وعواطف دينية وصفاء ود ورشد وصلاح ، كان على المتدال كنديا من أهل نزى ،.وكان على جانب قوى من التقوى ، وعلى محل رفيع من الدين والهدى إلا أنه لم يكن من اليحمد ولا من الأزد ، وإنما كان عبد الله صالحا مصلحا راضيا مرضيا . قال فيه الامام أبو سعيد الكدمى رضى الله عنه : كان رحمه الله لرعيته هينا رفيقا بآرائهم شفيقا غضيضا عن عوراتهم ، مقيلا لعثراتهم بعيد الغضب عن مسيئهم قريب الرضا عن محسنهم محاويا فى الحق بين شريفهم ودنيئهم وفقيرهم وغنيهم وبعيدهم ، منزلا لهم منازل منفقدا لأمورهم وأحوالهم مشاورا منهم لمن هو دونه ، قابلا من مشاورتهم ما يأمرونه به يتجشم من رعيته الصبر على الكروب ومفارقة السرور والمحبوب ، ويصبر منهم على الشتم والأذى ويسمع منهم الخنا والقذى ، قلت : إن أمة يسمع منها امامها مثل هذا ويفضى بحالها الى أن يلقى امامها الشتم والأذى ، والخنا والقذى فأى مصير لأمة هذا شأنها ، وأى عاقبة لقوم هذه أفعالها ، انى أحرر هذا الكلام من وصف هذا العالم الزاهد الرضى ، والولى التقى وأنا أهتز رعبا وأندهش رهبا من الله ، كأن العذاب يتدلى على رأسى وكانى أنا وتلك الأمة فى لجة الخطر ، انها لداهية دهياء وحياة عمياء يسىء أهلها فى الزاوية الخالية يتسكعون فى الخطر المرتقب ، فان الله يغار لعبده المؤمن ما لا يغاره الوالد الحنون علىولده ، قال أبو سعيد فى امامة بن الوليد : وكان الظاهر الايمان عليه شواهد الفضل والاحسان ناهيا عن الشر والبهتان صادق الفعال واللسان ، ورعا عن

المحارم مجتنبا عن المآثم ، عاملا بمـا علم ، سائلا عمـا نزل به ولزم ، متواضعا لمن هو فوقه ، متعطفا لمن هو دونه ، كاظما للغيظ بعيـد الغضب ، سريع الرضا محتملا للأمة، حريصا على اصلاح المسلمين رءوفا رحيما بالمؤمنين متوشحا بكريم الأخلاق صبورا عند مضائق الخنـاق ، مستقيما على الحقيقة قاصدا الطريقة ، فرحم الله تلك المهجة ، وتلك الأوصال ، وتفضل علينـا وعلية بالمن منـه والافضال وجمعنا واياه على جزيل ثوابه وكرامته ، وفعل ذلك لكل مؤمن ومؤمنة إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وسلم .

هـذا هو راشد بن الوليد يعرفنا به الامام أبو سعيد ، وقد وصفه بتلك الأوصاف التى لا تكاد أن تكون إلا لنبى مرسل ، ولقد علمنا راشد ابن الوليد من هـذا الثناء الحميد .

قال الامام : هـذا كلام أبى سعيد فى نعته والترحم له ، وناهيك برجل يصـفه ، أو قال يثنى عليه أبو سعيد هـذا الثنـاء ، والخلق شهود الله فى أرضـه ، وأخيارهم حجة الله التى يعول عليها أهل الحق فى الناس ، فمن أثنوا عليه خيرا كان أهلا للخير وهكذا الغير ، وهنـا كلمة يزدان بهـا التاريخ قال الامام : وذكر أبو سعيد من سيرته مـا سنذكره ، قال : ولو أن أبا سعيد ذكر هـذا الطرف من سيرته لغـاب عنا علمه كمـا غاب عنا علم غيره من الأئمة ، وذلك كله لاهمـال التاريخ ، وقلة الاعتناء به ، وان للتاريخ فضلا عظيما لا يقدر قدره .

قلت : نعم وأنا أشهد أن علماءنا أضاعوا قسما مهمـا من الثقافة التى لهـا عند غيرنا الأهمية الكبرى ولولا مـا حرره الامام السالمى رحمه

الله من سيرة سلفنا الصالح ، ومـا لقوا فى سبيل الدعوة من الخطب الفادح لما كنا نعلم عنهم شيئا ، ولا ندرى على أى وتيرة مضوا ، ولا بأى شىء فى سبيل الحق قضوا ، ولما خرجت تلك الرسالة الوجيزة واطلع عليها رجال الدين ، وعلموا كيف كان سبيل المؤمنين ، ومـا كان لهم من المجد فى الغابرين اهتزوا لها طربا وهشوا لذكرها رعبا ، ورأوا كأنهم ينظرون أولئك الأئمة بمين الحقيقة ، وكأن عملهم ذلك بارز بين أيدينا ونحن نؤيد العدالة فى أحلى حللها الطاهرة ، ونعزز تلك السيرة الزهراء بكل مـا لنا من شعور ، فقد أفادتنا فائدة بل فوائد هامة ، وأرشدتنا مراشد عامة ، وليتنا نجد من يقول لنا ردودا من ذلك المعين الصافى ، واسلكوا ذلك الوافى ، فرحم الله أبا محمد خاتمة العلماء الفطاحل ، الذى اذا هز عصاه فى كفه ترتعد منها فرائض رجال يعدون أنفسهم الأقوياء على كل شىء ، ولقد كان فيصل الحق والباطل ، فدعنى من أقوام لا يرون الا مـا بين أيديهم انى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ، ولكن لا أرى ، ولله در ابن دريد حيث قال :

والنـاس ألـف كواحـد
وواحد كالألف إن أمر عنا

ولله در أبو مسلم رحمه الله ، ومـا قاله فى مقصورته ، ومـا ذلك وأيم الله إلا لثقة وقوته القلبية بتعلقه بربه ، وإلا فهو كان ضعيفا من جميع النواحى ، كان فقيرا وضريرا من عشيرة مستضعفة ، ولكن من كان الله معه كان غنيا وقويا وبصيرا ومؤيدا منصورا ، كان هذا الحر كذلك ولم يكن له من عمره اتساع للتضلع بسائر العلوم ، بل كان فقيها شرعيا وعلامة دينيا صادقا مخلصا لله فى جميع أحواله ، ولذلك

لم يتمكن من سائر العلوم لأنه كان ضريرا اذ لم يحضره قارىء للقراء أو للمطالعة ، محى نجما يتأوه على ما مضى من عمره فى غير ما هو بصدده .

ولذلك ترى الشيخ أبا اسحاق الأطفيشى يقول فيه كان من علماء الشريعة ، ولم يكن من العلماء السياسيين رحمه الله ، وذلك تراه يطلق ألفاظ العامة فى تاريخه ، مثل حربه وخشى ماله وتقع فيه ونحو ذلك من الاصطلاحات العامة مراعيا فيها السواد العام فى عمان الا أن بقية الناس الأجانب يجهلون ذلك فتتبادر أذهانهم الى ما تعطيه تلك العبارات ، فيرون ذلك فى واد ومعنى ما أراد الشيخ فى واد آخر ، ولذا ترى فى تعبيره ما يجهله الكثير من الناس ، ثم اذا أخذ اللفظ عن أناس يضعه كما هو ، وان كان عن العوام وكان ينبغى أن يضعه فىقالب السبك الصحيح كما هو ، والظاهر أن عهده رحمه الله كان ضيقا لم يتسع لما يحاول رحمه الله ورضى عنه ، وله نيته وقد أشار الى ما قلنا بنفسه فى طالعة تحفته القيمة فجزاه الله عما فعل وعما نوى أفضل الجزاء انه كريم رحيم وقد بذل الجهد الجهيد ، فى تحرير التاريخ العمانى وابرازه الى عالم الوجود ، فتراه يلتقطه حتى من الحجر والمدر ومن المكتوب على الأبواب ، ومن التعاليق والاضافات المضافات الى الكتب والمؤلفات وبعضه من السنة الناس وأقاصيصهم حتى جمع مما أورده تحفة للناس ، وأى تحفة هى أنها لثمينة عند أهلها وعزيزة عند رجال الحق وقد تحرى ما جهل واعتذر عنه غيره .

وإن عاب عين الشمس أعمى فانه

جهول لنفس العيب اذ فيه قد نزل

ألا تراه يقول فى امامة راشد بن الوليد رحمه الله : ولعدم التواريخ لم أقف مع شـــدة البحث على وقت العقـــد له ولا على وقت وفاته ، أيتوفى امام كراشد بن الوليد ولا يوجد تاريخ وفاته مع أن الأمم الأخرى تعقد احتفالات سنوية لتجديد أخبار عظمائها ، وهل عظماؤنا نحن إلا أئمتنـــا الكرام وعلماؤنا الفخام ، وأهل الحق فى الاسلام ، أترون عظماءنا الجبابرة العتـــاة أم الفجرة الطغاة ؟ حاش لله ، ولكن سقوط هممنا وتقصيرنا فى الحقوق أخرنا تأخيرا حسيا ومعنويا وقضى علينـــا بحكم الأميـــة فينـــا بسبب مـــا قلنا ، قال الامام : قال أبو سعيد : كانت بيعـــة راشد بن الوليد رحمه الله على الدفاع ، قال وأول من بايع له أبو محمد عبد الله بن محمد بن المؤثر مع جماعة معـــه هم فى زمانهم كأمثـــال الذين بايعوا لسعيد ابن عبد الله ، ثم ذكر منهم أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد ، وأبا محمد عبد الله ابن محمد بن أبى شيخة ، وابا عثمان الدمشقى بن راشد ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن صالح ، وأبا المنذر بن أبى بن محمد بن روح قال : وقد كانوا عرفوا من بعضهم بعض تعاتبا فى أمر موسى بن موسى وراشد بن النضر فلمـــا عزموا على عقـــد الامامة لراشد بن الوليد تداعوا الى الاجتماع على سبب يعرفونه فى ذلك ، فاجتمعوا هم وغيرهم إلا أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد ، فانه لم يحضر ذلك العقد فاجتمعوا فى بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد ، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله ابن محمد بن أبى المؤثر ، فاجتمعوا جمعيا على أن الواقف عن موسى وراشد والمتبرىء منهما جميعا فى الولاية وأنهمـــا جميعا مؤتمنان على دينهما فى ذلك لم نعلم من أحد منهم أنه برىء بغير حـــق ، أو وقف بغير حق ، ثم بايعوا بن راشد الوليد على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليـــه وسلم وآله وسلم ، على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى الجهاد

فى سبيل الله وعلى سبيل الدفاع ، وعلى اتبـاع سبيل أئمـة العدل قبله قسطا وعدلا .

قال ، وعلى هـذا بايعه أبو محمد عبد الله بن محمد فى المنزل الذى كان ينزل فيـه من نزوى ، ثم بايعه من بعده أبو مسعود على نحو مـا بايعه أبو محمد ، وبايعه الجماعة على نحـو من ذلك ،وقبل منهم البيعة وخرجوا على الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمـان ومن سائر القرى من شرق عمان وغربهـا : انظر أيهـا القارىء الكريم الى هـذه البيعة لشرق عمان وغربها ، ولمـا جاء السلطان الجائر المحتل للبيضة ، الهادم شرف الدين الأباضى ، أصبح أهل عمـان ينفضون أيديهم من بيعتهم ، ويلقون بامامهم وراء أظهرهم بغير موجب ، مـا هذا البلاء الذى يقوده الناس على أنفسهم ويجرونه عليهم برغم مـا هم عليـه من العزة والمنعة والحرية والكرامة ، وأصبحوا تحت راية السلطان الجائر الغاشم المحتل للعزة والكرامة ، وعهد الله ألقوه فى الحضيض وراحوا يتبعون سلطانا غشوما هل كان لهم أفضل من امامهم أو أصلح منه أو أكرم أو أنفع لهم فى دينهم ودنياهم أو أعزلهم : انهـا لمن الدواهى فى الدين ومن الفضائح فى الشرف والحرية ومن الأحدوثة السيئة فى التاريخ العربى عامة ، وفى التاريخ العمانى خاصة، فانك سوف ترى الحال فى مقامه .

قال صاحب المعالم : وفى عهد الكندى هـذا جهزت الخلافة جيشـا لاسترداد عمان ففر الكندى ، وانتخب العمانيون سعيد بن عبد الله وبعد وفاته سنة ٣٢٨ انتدبوا رشيد أى راشد بن الوليد ، وأطاعه الجميع وحصل اضطراب فى آخر أيامه ، ومال جماعة الى حكم الخلافة فانهزم الامام وفارق أصحابه ، وبقيت عمان تحت حكم الخلافة الى سـنة ٤٠٠ أربعمائة هجرية ، حيث ضعفت الدولة فى بغداد عن ادارة هاتيك البلاد .

خروج سلطان الجور على الإمام راشد بن الوليد

قال الامام رحمه الله : ولعل هـذا السلطان كان من عمال بنى العباس لما قدمنا من اعتنائهم بعمان بعد دخول بن بور فيها ، ولم يسموا هـذا السلطان الجائر واكتفوا عن اسمه واسم قبيلته ، وما كان ينبغى لهم هـذا حتى لا يعرف هذا السلطان من أى الأمم ، والواقع أنـه من البويهيين الذين سيطروا على الخلافة العباسية ، وجعلوا لهم اسم السلطان وللأمير العباسى اسم الخلافة اسما فقط لا معنى له إلا أنه فى بيتـه خائف يترقب ، لأن بنى العباس استخدموا البويهيين كقواد وضباط ووزراء ، وكذلك استخدموا البرك فكان من رأيهم سحب الخلافة أصـلا من هؤلاء وإلحائهم من الأمر كما يلحى القضيت ، وجعلهم الكرة وهم الصولجان ، ومشوا فيهم على هـذا حتى أخرجوهم من الأمر كله ، ولم يتركوا لهم حتى الاسم ، وفعلوا فيهم الأفاعيل التى أضحت عبرة للمعتدين ، وسبب ذلك ظلمهم وجورهم وتركهم أوامر الله عز وجل .

ويبتدى دور بنى بويه فى الخارج سنة ٣٣٢ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وكان هذا السلطان الخارج على الامام راشد بن الوليد ركن الدولة بن بويه ، قال العلامة الدميرى فى تاريخه : وفى أيام الطائع لله استولى على الملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه فملك بغداد . قال : وخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية وتوجـه وطوقه وسوره وعقـد له لواءين وولا ما وراء بابه ، قال وتسلم عضـد الدولة الوزير أبا طاهر بن بقيـة وزير عز الدولة فقتله وصلبه ، وهو الذى رثاه أبو الحسن الأنبارى بقوله :

علو فى الحيـــاة وفى الممات

الأبيات الغرا •

قال : وكان لعضد الدولة ملك العراق وكرمان وعمان وخوزســـتان والموصل وديار بكر وحران ومنبج ، والمعنى أن القواد تقاسموا الملك وكانوا قد جعلوا للخيلفة الاسم أن اكتفى به وإلا رأى الهلاك فى أهداب عينيـــه ، ولو كنا معنيين بتاريخ هؤلاء لرأى النـــاس العجب ، وعرف العاقل مصير أهل الظلم والبغى فى الدنيا قبل الآخرة ، والله المستعان •

طغى بنو أمية وكانوا الأصـــل فى الطغيان ، ثم تلاهم بنـــو العباس وزادوا عليهم وانتهكوا الحرم الى أقصى غاية ، وانسلخوا من الدين انسلاخ الحيـــة من اهابهـــا وأصبحوا فى أيدى الأعادى ألعوبة ، إذ كانوا قياصرة وأكاسرة ، ثم صاروا فى الكون عبرة بعد تلك العزة الشاهرة الظاهرة ، ومصوا لا الزمان عنهم براض ولا أنا ولا أمثالى •

وكان البوهيون من العنصر الديلمى والديلم من الفرس ، وهؤلاء هم أعداء الاسلام هم والترك والروم ، ولهم فى الاسلام نوايا سيئة لمـــا أمكنهم الفرصة على الاسلام لم يضيعوها ، بل قاموا بهـــا فى نشـــاط وزادوا فوق الغرض الاحتياط ، وبقى التنافس بين الذين كانوا قوادا ووزراء يتناهبون الملك ويتقاسمونه ، وكانت المملكة الاسلامية واسعة الأرجاء كثيرة الأموال ، فكان عضـــد الدولة إذ جاء عمان جاء قويا غنيا والغنى هو القوة الفعالة ، ولا قوة كقوة المـــال اذا تولته الرجال الأبطال ، لا اذا تلاعبت به الأراذل والأنذال ، فان غايتـــه الاضمحلال ، وأصل الدولـــة

البويهية الحسن بن على بن بويه وأولاده الثلاثة عماد الدولة وركن الدولة وهو الحسن ، ومعز الدولة ، قال الدميرى ولما ولى الخلافة عبد الله المستكفى بالله قدم اليه معز الدولة بن بويه فى بغداد سنة ٣٣٤ أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ودخل عليه رجلان من الديلم فمد يده ليصافحهما ويقبلاها كما هى عادتهم لآبائه ، قال فجذباه من على الكرسى وقاداه بعمامته فى عنقه ، ثم سحباه الى معز الدولة واعتقل وسملت عيناه وانتهبت دار الخلافة لثمان بقين من جمادى سنة ٣٣٤ ، وبقى معز الدولة الى سنة ٣٤٣ أى هذه الحادثة تسع سنين ثبتت فيها دعائم البويهيين فى العالم العربى •

وذكر العمانيون دخول سلطان الجور على الامام راشد بن الوليد ولا يعرفون هذا السلطان حتى يعلم من أجناس الأمم • قال الامام : وذلك أن سلطان الجور قد خرج عليه حتى نزل السر، قلت : قد قدمت لك أن الغزاة يأتون عمان من الجهة الغربية ، فهى مفتاح قفل الباب العمانى منذ ذلك العهد •

خروج رعايا الامام لملاقاه السلطان

لما تحقق خروج هذا السلطان على عمان تقاعس العمانيون عن القيام لصدده لا أدرى أمن وطأة العدل التى أحس بها بغاة أهل عمان ؟ أم الطمع يرونه عند هذا السلطان القادم على بلادهم ؟ أم استولى الخوف والذعر عليهم لضعف ايمانهم ؟ واذا بهم يتقدمون الى السلطان المشار اليه تقدم خضوع وطاعة وانقياد غير ناظرين الى امامهم ولا مراقبين عهد الله فيه ، ولا ما حملوه على أعناقهم من بيعته ، ولاناظرين الى مذهبهم القويم وصراطهم المستقيم ، وهذا من العجب العجاب ، قال الامام : وخرجت رعايا الامام لظاهرته أى لظاهرة السلطان ومعاونته ، واستدل لك على هذه القضايا بأقوال الامام قبل غيره لعلمى باعتماد العمانيين على نقله وروايته ولحبهم له • قال : ونبذوا عهودهم وراء ظهورهم ، قال : فخرج الامام فى طلبهم ليردهم فلحقهم ببهلى ، وأراد أن يردهم فأبوا وأراد أن يقهرهم على الرجوع فعصوا وأظهروا له العداوة والعصيان ، وخرجوا معاندين الى السلطان • قال : فبقى الامام فى الضعفاء من أصحابه ، قلت : هذه الجمل التى ذكرها الامام عنهم سهام قاتلة وقنابل مدمرة لابد أن يتأثر منها الامام بالفشل ، والسلطان بالنصر والظفر ، بل هى أكبر نصر له على أهل عمان وامامهم ، وانها لمن الدواهى فى الدين قال : فبقى الامام فى الضعفاء من أصحابه بعد أن خذله الأكثر منهم ، فرجع الامام منكسر الخاطر واهى الارادة يرى علامة الخذلان تبدو سافرة الى أن وصل كدم من أعمال بهلى على غير المراد ، ورأى أنه أخذ بالحزم أى لنفسه وللشر ذمة الباقية معه ، وبهلى كانت احدى امارته ، فاذا هو يخرج منها مسلما لها الى رغبة أهلها •

قال ثم جاء السلطان بمن معــه حتى دخلوا الجوف فخاف الامام ومن معه لقتلهم ، قال : فانحاز بهم الى وادى النخر استبقاء منــه على من معــه من ضعفاء المسلمين ، ودعا الى حرب السلطان من أجابــه واستنصر بمن قدر عليه ، فجيش أنصــاره وأعوانه ، وجهزهم الى حرب السلطان ، وقعــد هو ومن لا غنى له عنــه بمشورة من أشار اليه بالتخلف من اخوانه رجاء منهم لبقاء رايتهم ، مــا بقى امامهم .

وكان موقفــه غير بعيد عن موضع القتال ، وكان السلطان بنزوى . قلت : هــذا يدل أن جيش السلطان زحف على الامام إذ كان الامام فى وادى النخر من جــهة الحمرا ، والسلطان فى نزوى فدل ذلك أن جيش السلطان قصد الامام ليعدم حركته ، ويقضى على امامته تماما حتى يأمن جانبه وأعيان الدولة وزعماؤها قد أصبحوا تحت قدم السلطان ، وأصبح هو يتربع على عرش نزوى آمنا مطمئنا ، فأين النخوة العربية ؟ وأين العزائم الايمانية ؟ وأين الغيرة الدينية ؟ نعوذ بالله ، لقــد أصبحت تذروهــا الرياح ، وعلى كل لابد لهــذا الانقلاب الزائغ من أسباب للعمانيين ، ولابد عليه من عقاب ، فاما أن يكون امامهم محقا وقد تركوه على ذلك ولابد أن يعاقبهم الله على تركه ، وهو على الحق وهم جميع ، وامــا أن يكون امامهم مبطلا ، وقد عرفوا بطله ولم يقوموا عليه لرده عن بطله وارجاعه الى دائرة الحق تائبــا الى الله مما ارتكب ، فكذلك مع الله ، وقد شملهم مع قوله عز وجل : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس مــا كانوا يفعلون) .

والواقع أن الامام راشد بن الوليد من خيرة أئمة أهل عمان ، وقد بايعــه العلماء الأجلاء الذين ذكرناهم وهم حجة قومهم وعمدة دينهم ، وهم أئمة العلم وأركان الرشد والايمان ، فمــا لهذا الخذلان الذى خذلوا

به امامهم وأزالوا به من أيديهم سلطانهم ، وقادوا به ذلك الظالم الجائر الجبار المخالف للدين ، المباين لمنهج المسلمين ، من أعداء الاسلام ومن شر الأنام ، يا حسرتى على مـا كان فى ذلك الزمان • قال : فالتقت سرية الامام بجيش السلطان ، فنشب بينهم القتـال وانهزمت سرية الامام ، وتفرقت جماعته ، وزالت رايته ، وكان ذلك ضحوة النهـار ، فمـا كان العشى من ذلك اليوم حتى تفرق عنـه جميع من كان معـه ، فاستولى السلطان الجائر على جميع عمـان الداخلية ، وقد ألقت عمان مقاليدهـا اليه قبل أن يتغلغل فيهـا ، فكيف به وقد نزل فى القلب منهـا وأخرج جيشه تابعا للامام فى وادى النخز غربى الجبل الأخضر ، وانهزم جيش الامام ، وبلغ الكتاب أجله فى عمان •

قال : وبقى الامام فى رؤوس الجبال خائفا يترقب ، أى يترقب القتل أو القهر من أهل عمـان ، فيقودونه الى السلطان ليتقربوا به اليه ، والله المستعان • قال : فطالع فى أمره واستشار ، وأخذ بالرخصة من قول الأخيار ، ان المدافع تسعه التقية اذا خذلتـه الرعية ، قال أبو سعيد : وذلك ممـا لا نعلم فيه • قال : فألقى بيـده الى منزله فأرسل اليـه السلطان رسولا يعطيه منـه الميثاق والأمان • قال : فأعطاه ذلك بلسانه ، قال : ولم يبلغنا بحمد الله أنه عرضه ليمين ولا كان الى باب السلطان من الوافدين ، وانمـا السلطان وصل اليه واضطره الى ذلك وجبره •

ومن نكد الدنيـا عن الحر أن يرى عدوا له مـا من صداقته بد •

قال : فزالت معنا بذلك امامته ، وثبت للعذر الواضح ولايته ، قال : فلبث بعد ذلك قليلا محمودا ، ومات عن قريب من ذلك مفقودا • قلت : لا أبرىء أعداءه من أن يكونوا هجموا عليه ، ليطمئن سلطانهم من المحذور الذى ربما

عساه يقوم على السلطان وعلى الداخلين فى دولته ، إذ كلهم أصبح عدوا للامام ، وكلهم يخشى منـــه القيام ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

هـــذه هى حالة الامام راشد بن الوليد الامام الرضى الرشيد ، أوقعه أهل عمان فى شبكهم وأضاعوه الى ملكهم ، وأصبح أحدوثة السمر ، يجرى دم الأسف عليهفى عروق أهل الايمان بأحر من الجمر فهو لم يفعل شيئا يخالف المقصد الصحيح ، ولا تطاول عليهم فى شيء من خصائصهم ، كان كواحد منهم لا يختص بشيء عنهم ، فما بالهم يتركونه كالشيء اللقـــا لا مرحمة ولا مروءة ولا احترام ولا محاذرة عار ، ان الناس كانوا إذ لم يردهم ايمان يردهم سوء الأحدوثة ، بل كانوا فى جاهليتهم وهم كفار يخافون سوء الأحدوثة ، وأحاديث العـــار بعدهم وكم لهـــذا من شواهدهم ، فمـــاذا فعل الامام الراشد ؟ علمنا أنه هو مبتلى بمـــا وقع فيه ، فمـــا بال قومه يعاملونه بهـــذه المعاملة لسلطان أجنبى من جميع نواحيه ، انا لله وانا اليـــه راجعون .

قال الامام أبو سعيد الكدمى رحمه الله وهو يصـــف راشد بن الوليد : وكان فى عامة أموره غريبا معدوما ، ولم يكن عند أحد من أهل الخبرة ملوماً ولا مذموما ، فجزاه الله عن الاسلام وأهله ، لمـــا قد قام فيـــه من حقه وعدله ، وعنـــا وعن جميع من عرف صحيح فضله، مـــا جزى اماما عن رعيته وأخا بصحيح اخوته أ هـ .

هنـــا ينظر العاقل المفكر فى سير الحوادث فى الأمة ، ومجرى القضايا الملمة ، لأن الله لم يهمل شيئا بلا ارتيـــاب ، ولم يقض أمرا بغير أسباب ، فمـــا هى الأسباب التى جعلت أهل عمـــان على سحب أمراس الضلال

من رجال لم يكونوا من المذهب ، ولا من الوطن ، ولا من الجنس لم أجد لهـذا السؤال جوابا لأن الإمام راشد بن الوليد لم يقصر فى شىء من أمور الدين ، ولم يمد طرفه الى شىء من أمور الدنيا .

والذى أظنه أن العلة لنتـه من الرؤساء لعلهم تحققوا منـه عدم نيل مطلوبهم ، وآيسو الدية من حصول مرغوبهم ، فضاقت صدرهم بذلك ، لأن ذلك غاية مطلوبهم هـذا الذى أظنـه ولا يبعد أن يكون هو الواقع ، فتولى السلطان المذكور البلاد ، وعاث فى الأرض بالفساد ، مصداقا لقوله عز وجل : (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهـا أذلة وكذلك يفعلون)، فكان هـذا السلطان الجائر يدوس الديانة ويفحش فى الأمانة ، ويبث فى الأمة داء الخيانة ، فأصبحت عمان دار كفر نفاق .

قال الامام : وذكر المضيف على بيان الشرع أنه وجد أن دار عمان صارت دار كفر نفـاق ، لا كفر شرك لعشرين يوما من ربيع الآخر سنة ٣٤٢ اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وهـذا الوقت وقت غلبة سلطان الجور على عمـان ، وخذلان أهل عمان لامامهم راشد بن الوليد فيمـا يظهر من سياق التاريخ ، قال العلامة أبو اسحاق ، رحمه الله : والمراد بكفر النفاق هو كفر النعمة ، وانما سمى كفر النفاق لأن صاحبه أقر بالاسلام وأخفى الشرك ، واعترف بالعمل فخان فيه ، فكان كالمنافق أقر بالاسلام واضمر الشرك ، وتسمية الخائن فى العمل منافقا واردة فى الحديث على لسـان الشارع فى قوله ﷺ : أربع من كن فيه فهو منافق ولو صلى وصام ، وزعم أنه مسلم اهـ .

ولا يخفى على العاقل أن السلاطين لا يرون إلا الدنيا ومـا يرجون غيرها إلا مـا شاء الله من الناس ، فلذلك تراهم لا يهتمون بأمر الدين ، وكيف لا تكون عمان دار نفاق وهـذا فعل أهلها ، وذلك سلطانهم نعوذ بالله من سوابق الشقاء ، وأرى الامام راشد بن الوليد أنه كان رجلا غلب عليه سهام قومه، واجترءوا عليه وقدّ قيل :

أظن الحلم جـر على قومى
وقـد يستضعف الرجـل الحـليم

والمقصود من هـذا أن الامام لا ينبغى له أن يتوغل فى الحلم الى حيث يفضى به الحال كهذا الامام رحمـه الله ، فانى لم أجد له سيئـة يستوجب بهـا العتب على مـا كان عليه ، هـذا ما أورده الامام السالمى رحمه الله عن الامام راشد بن الوليد ، مع تعليقنا عليه ممـا وجدناه عن أهل العلم ، أدركناه من مقتضى الأحوال الواقعة ، وهـا نحن نسوق هنا مـا قاله ابن رزيق الشـاعر المتأخر تنديدا بهؤلاء الفاعلين فى امامهم هذه الأفعال ، واعلاما لمن يأتى من الرجال ليكونوا على حرية الدين ، وعلى مروءة أهل الايمـان ، وعلى سبيل أهل الحق وان عضهم الدهر بنابه .

قال ابن رزيق : ثم بايعوا الامام راشد بن الوليد على سبيل الدفاع ، وخرجوا الى الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمان من نزوى ، ومن سائر القرى من شرق عمـان وغربهـا ، من أهـل العفاف والفضل والجـاه والرئاسة ، أى اشترك هؤلاء كلهم فى البيعة للامام المذكور ، ثم قال كلهم مستمعون له مطيعون ، لم تظهر لأحد منهم كراهية ولا نكير ، ثم قام عبد الله بن محمد بن شيخة على رأسه خطيبا بين الجماعة ، فخطب

له بالامامة وأخبر الناس وأمرهم بالبيعـة له ، فبايع الناس له شاهرا ظاهرا لا ينكر ذلك من الناس منكرا ، ولا يغير منهم مغير ، ودخل الناس فى بيعته أفواجا ووفد على ذلك الوفود أفرادا وأزواجا ، وأخذ عليهم المواثيق والعهود ، وبعث العمال والولاة ، على القرى والبلدان ، وصـلى بنزوى الجمعات ، وقبض هو وعماله الصدقات ، وجيش الجيوش وعقد الرايات ، وانفـذ الأحكام ، وجرت له فيمـا شاء الله من المصر الأقسـام ، ولم يبق من عمان لم يغلب عليه السلطان ، ونأى عنـه فى تلك الأيام ، وذلك الزمان إلا جرت فيـه أحكامه وثبتت عليهم أقسامه أقر فى ظاهر الأمر أنه امامه من أن يظهر شىء من سيرته ولا علانيته ولا سريرته شـدة ، ولا غلظة يخاف بهـا فيتقى ، ولا هوادة ولا ميل يطمع فيه بذلك ويرتجى ، فيصانع عن تقية وينخدع لطمع أورجية ، بل كان رحمه الله لرعيتـه رفيقا وبآرائهم شفيقا غضيضا عن عوراتهم مقيـلا لعثراتهم بعيد الغضب عن مسيئهم ، قريب الرضا عن محسنهم مساويا فى الحق بين شريفهم ووضيعهم ودنيئهم ، وفقيرهم وغنيهم وبعيدهم وعشيرهم ، منزلا لهم منازلهم متفقدا لهم فى أمورهم وأحوالهم ، مساويا لمن هو دونه منهم ، قابلا مشاورتهم بمـا يأمرونه فلم يزل رحمـه اللهعلى ذلك يتجشم من رعيته الصـبر على المكروب ، ومفارقة السرور والمحبوب ، ويصبرعلى الشتم والأذى ويسـمع منهم الخنا والقذى ، وهو يتأنى فى تلك الأمور يرجـو من الله الدائرة على أهل الاحن تدور ، كثير من أهل مملكته وعصره يتربص به الدوائر ، ويسر له أقبح السرائر تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ، وما تخفى صدورهم أكبر ، من الغل والحسـد أعظم وأكثر ، قد استحوذ عليهم الشيطان ، وغلبت عليهم الشنئان حتى آلت عليـه الأمور ، وجرى عليه من الله المقدور ، أن ظهر من عامة رعيتـه التخلف عنـه والخذلان ،

وظهر من عامة خواصه المعاندة والعصيان والمداهنة عليه السلطان ، والمباشرة لـه بالقلب واللسان ، وخرجوا الى السلطان مظاهرين ، وتألبوا عـلى ذلك متناصرين ، فمنهم على ذلك جبر ، ومنهم قسرهم على التخلف عن ذلك قسرا ، ووقع بينـه وبين عامتهم العداوة والشحناء ، وفارقوه على ذلك من قرية بهلى ، وقد سار السلطان بالسر مقبلا وهو من الضعاف فى نفـر أقلاء ، قد انفضت جماعتهم وصحت معـه عداوتهم ، وانمـا خرج من نزوى فى ردهم عن خروجهم فى حرب العـدو المقبل ، فلمـا رأى مـا نزل به من الخذلان ، وبان له منهم من العداوة والعصيان ، واستضعف نفسـه ومن معـه ، وخاف أن يدهموه بالمكان ، تحيز من معه من بهلى الى كدم ، ورجا أن يكون استوثق لنفسـه واحتزم ، فلم يزل بكدم حتى صح معـه أنهم دخلوا الجوف فداخله ومن معـه لقلتهم الخوف ، فانحرفوا هنالك الى وادى النخر ، ودعا الى حرب السلطان من حضره ، واستفز على من قدر عليه ، ونصر واجتهد فى ذلك وصبر ، ودعا الى ذلك واستنصر ، وراح فى ذلك وكر وأقبل فى ذلك وأدبر ، فأمده الله بمن أمـه ، فأبلى بهم طاقته وجهده ، فجيش لهم أنصـاره وأعوانه ، ومن لا غنى عنـه من خاصته واخوانه وقعد بهم فى مكانه وكان السلطان وأعوانه بنزوى نازلين ، وكان تخلفه عن الحرب برأى من حضره من اخوانه ، وأهل شفقته وأعوانه ، ورجا فى تخلفه عن الخروج للاسلام وأهله ، وقـوة لعدله ونصره •

وكان تخلفه من الجيش الذى بعثـه السلطان الجائر بنزوى قريبـا من المجازة على عقبة فتح لم يكن منهم ببعيد ، فأتى الله المقدور مـا قد علم الله أنه اليه تصير تلك الأمور ، فهزم أنصاره وغلبوا وولوا عنـه وأدبروا معـا ، وهربوا فانفضت هنالك جماعته ، وزالت رايته وخرج

مخذولا مغلوبا خائفا ، يترقب مظلوما فكان ذلك ضحوه النهـار ، فلم يكن العشى من يومه حتى انفض عنـه جميع من كان معه ، ووقع فى الغلبة وآيس مع ذلك من نصر الناس .

فاستولى السلطان الجائر على جميع النواحى والبلدان ، وأقبـل الناس كلهم للمصانعات ، وأقبل السلطان الجائر اليهم بالسرية والمداهنات ، حتى دانت له جميع النواحى ، والامام خائف فى رؤوس الجبـال والمساقى مشفق من السلطان والرعية ، يترقب فى كل موضع نزول المنيـة ، وأن تدهمـه فى مرقده ومنامه ببلية ، وأصـبح خائفـا على نفسـه وماله هارب من دارة وعياله ، وأصبح جميع أهل المصر آمنوا واطمأنوا فى منازلهم وصانعوا سلطانهم ، فلم يكن له من الاستسلام بد إذ لم يكن له الى غير سبيل ولا جهد، فطالع فى أمره واستشار وأشار له ذوو الأبصار ، واتبـع فى أمره فيمـا ظهر حكم الأبرار ، وأذن بالرخصـة من قـول الأخيـار ، وممـا لا نعلم فيـه اختلافا ، فان الامام المدافع تسـعة التقية ، إذ أخذلته الرعية ، ولم يكن أصح لنـا من ذلك الخذلان ، ولا أبين لنـا من تلك العداوة وذلك العصيان ، والله هـو الرءوف بعبـاده والمنان ، ومـا جعل الله على عباده فى الدين من حرج ، بل الصحيح معنا أنه جعل لكل مدخل من دينـه باب ومخرج ، ولكل عاجز عن فرض من فرائضه عذرا وباب فرج ولا فرق بين الامام والرعية ، ولكل منهم جار عليه حكيم القضية، فألقى بيـده الى منزله ، واستسلم وجاء أن يستتر فيـه ويسلم ، ووصل اليه رسول السلطان الى مكانه يعطيه منـه الميثاق لأمانه ، فبلغنـا أنه أعطاه بلسانه ولم يبلغنا عنـه أنه عرضه لليمين ولا كان الى باب السلطان من الوافدين ، ولا من القادمين اليـه والواصلين ، وانمـا السلطان الذى وصل اليه واضطره على ذلك وجبره عليه ، فزالت بذلك معنـا امامته .

وثبتت بالعذر الواضح ولايتــه ، ولا نعلم أن فى الأحكام ولا مــا اختلف فيه من أمر الامام أن راشد بن الوليد رحمه الله يلحقه القائل فى امامته بمقال ، ولا طعن طاعن ولا عيب عائب فى حال من الأحوال ، فلبث بعــد ذلك قليلا محمودا ، ومات عن قريب من ذلك مفقودا ، وكان راشد بن الوليد فى أيامه وزمانه وموضعه ومكانه ، ومع أنصاره وأعوانه ، وإخوانه فى عامة أمره غريبا معدوما ، ولم يكن عند أحد من أهل الخبرة فى أمره ملوما فجزاه الله عن الاسلام وأهله لمــا قد قام فيه من حقه وعدله ، وعن جميع من عرف فضله ، مــا جزى اماما عن رعيته .

قال : وانمــا ذكرنا من أمر راشد بن الوليد رحمه الله مــا قد ظهر ، ومــا نرجو أنه لم يرفع ولم ينكر ،وإلا ففضائله معنــا أكثر من هــذا وأكبر ، قال وكان أبو محمد بن أبى المؤثر فى وقعــة الغشب فى ســيرة الامام راشد بن الوليد فى طاعته ، وكان زوال أمر الامام راشد بن الوليد فى وقعة نزوى ، وعنهــا زالت رايته وانفضت جماعته ، وبان خذلان رعيته له ولزمته التقية وخاف على نفسه من السلطان والرعية أن يقصــدوه بالقتل رضى للسلطان ولا برح مستقرا فى موضع من حد جلفار الى حد رعوان ، ولا جبال فى عطا ولا فى أرض الحدان الرستاق فأدهى عليــه وأمر : وأعدى عليه من كل عدو وأشر والله أولى بالعذر من البشر ، وكل ومن عذره الله دينــه فواجب أن يعذر ويعان فى ذات الله ، وينصر فيمــا قد نزل به اذا استنصر .

وكان راشد بن الوليد رحمه الله فيمــا ظهر لنــا من أمره ظاهر الايمان ظاهر عليه شواهد الفضل والاحسان ، ناهيا عن الشر والبهتان ، صادق الفعل واللسان ، ورعا عن المحارم، مجتنبا عما علم سائلا عما نزل

به ولزم ، متواضعا لمن فوقه ، متعطفا لمن دونه ، كاظما للغيظ بعيد الغضب ، سريع الرضا محتملا للامة حريصا على اصلاح المسلمين ، رءوفا رحيما بالمؤمنين متوشحا بكرم الأخلاق صبورا على مضائق الخناق ، مستقيما على الحقيقة ، قاصدا قصد الطريقة ، تضرب به الأمثال ، ويعجز الواصف عن وصفه بالمقال ، فرحم الله تلك اللهجة وتلك الأوصال ، وتفضل علينا وعليه منه بالمن والافضال ، وجمعنا واياه على جزيل ثوابه وكرمه ، انه هو أرحم الراحمين .

قلت : هذا كلام العلماء فى راشد بن الوليد ، وكادت هذه الأوصاف أن تكون من صفات النبيين والمرسلين وذلك حال أهل عمان معه ، والظاهر أن حر العدل وتكالب المطامع من البغاة ألقى براشد ابن الوليد الى الحضيض لما رأوا ما يرجون تركوا ما يدينون ، وذهبوا الى الباطل يجمحون والله المستعان ، واذا ألقيت فكرة النظر فيما سطر العلماء أدركت منه كرم الامام المسمى ، وقد ابتلاه الله بلاء عظيما ، ووقع فى هوة لا منفذ لها ، وسكع فى لجة لا مخرج منها ، فرحمه الله على ما ابتلى عبده المؤمن ، ولله أمر هو نافذة ، وحكم هو بالغه .

ولم نقدر أن نحقق وفاة هذا الامام بعد الانهزام ، فان فى التاريخ أن السلطان سار اليه فى منزله واضطره لمواجهته وملاقاته ، وجبره على ذلك ، ثم اختفت أخباره وتعمت آثاره ، فقالوا : فقد من بيته ولم يعلم بموته والله وليه فى دنياه وآخرته رحمه الله ورضى عنه ، فيما ابتلاه وبلغه فى الآخرة مناه .

قال الامام : وذكر المضيف على بيان الشرع أنه وجد أن دار عمان

صارت دار كفر نفاق لا كفر شرك لعشرين يوما من ربيع الآخر ٣٤٢ سنة ، وهـذا الوقت هو وقت غلبـة سلطان الجور على عمان ، وخذلان أهل عمان امامهم راشد بن الوليد ، فيمـا يظهر من سياق التاريخ •

قلت : قد مضى لنـا بحث فى الموضوع وبيـان الحقيقة ، قال الامام : فان كان عقد الامام عليه بعد سعيد بن عبد الله حالا فتكون امامته فوق أربع عشرة سنة ، قال : ثم صـار الأمر من بعده لسلاطين الجور حتى أغاث الله عبـاده باجتماع الكلمة ، ونصب الخليل بن شاذان • قال : وسئل أبو سعيد عن سلاطين الجور ، الذين كانوا فى زمانه أيكونون مثل خردلة الجبار الذى أجاز أبو الشعثاء قتله غيلة • فقال رحمة الله : هم أشد من خردلة •

عمان وتبادل ملوك الاجانب لهـا رغم اهلهـا

الذى يظهر من نسياق التاريخ أن السلطان الذى قضى على دولة الامام راشد بن الوليد خرج من عمان بعد مـا تم له أمرهـا ، ولم يقم بهـا كثيرا إذ رأى حالتهـا لا تصلح له ، ولا يزال يخـاف انقلابها عليه ، فتركها وهى تمشى على ضوء اسمه الأحمر ، الذى تلعنـه لمتهـا عدا أهل الباطل فيهـا ، ولم نجد تفاصيل خروجه وتحقيق أعماله ، وقد داسها بقدمه إذ قادته عليهـا ومشت بين يديه فيهـا ، وكان تولى أمرهـا بعده الوزير أبو القاسم المطهر بن محمد ، وزير عضد الدولة ، وطرد الشراة الى جبال عمان ، يعنى الى داخليتها ، وكان الأجانب يسيطرون غالبا على سواحلها ، وكانت تولية هـذا الوزير لهـا فى سنة ٣٦٣ ثلاث وسـتين وثلاثمائة فى شهر ربيع الأول ، وكان معز الدولة توفى بهـا قبل هـذا الوقت ، وهو الذى كان تولاها بعد خروج السلطان منهـا وتولاها أبو الفرج بن العباس نائب معز الدولة ، وخرج منهـا أبو الفرج وتركهـا فتولاها عمر بن نبهـان الطائى، وكان تولاها باسم عضد الدولة ، وكان جيشـه الزنج فتولوا الأمر وغلبوا على عمر بن نبهـان ومعهم طوائف من أهل عمان ، فقتلوا عمر بن نبهـان وجعلوا بدله رجلا يقـال له ابن حلاج ، فعاد عضد الدولة عليهم بجيش من كرمان ،وجعل أمر الجيش الى رجل فارسى يقال له أبا حرب ، واسمه طغان ، فجاءوا على طريق البحر الى عمان، فخرج أبو حرب من المراكب الى البر ، وسارت المراكب فى البحر تسايره الى أن وصلوا صحار قصـبة عمان ، والظاهر أن نزولهم بجلفار رأس الخيمة •

قال : فخرج لهم الجند والزنج أى المتغلبون فى هـذه الآونة على الأمر بعمان ، واقتتلوا قتالا شديدا فى البر والبحر ، قال فظفر أبو حرب وغلب عليهم ، واستولى على صحار وانهزم أهلهـا . قال : وكان ذلك سـنة ٣٦٢ ، قال : ثم ان الزنج اجتمعوا الى بريم أى البريمى ، قال : وهو رستاق بينه وبين صحار مرحلتان ، قال فسار اليهم أبو حرب طغان فأوقع بهم وقعة أتت عليهم قتلا وأسرا ، ثم خضعت له البلاد .

وفى هذا التاريخ كان أبو حرب تولى الساحل الشمالى من عمان الى صحار الى البريمى ، وكانت عمان الداخلية قد أقامت لهـا اماما هو أبو حفص راشد بن سعيد ، واستقل بداخلية عمـان على أثر خروج السلطان منهـا ، وغياب الامام راشد بن الوليد مفقودا ، ولتأثرهـم بأحوال السـلطان المذكور أقام أهل عمان راشد بن سعيد اماما فقاومه السلطان الذى قاوم راشد بن الوليد ، وسار الى أن بلغ حرفان ، ولا نعرف حرفان هـذه ولعلها غطفان ، وهو الواضح ، وكان قائده لهـذه الحمـلة المطهر بن عبد الله ، فتقاتلا فى البحر أيضا ، قال فأوقع بأهلهـا وأثخن فيهم وأسر ، قال : ثم سار الى دمـا وهى على أربعة أيام من صحار ، قال : فقاتل من بهـا وأوقع بهم وقعـة عظيمة ، قتل فيهـا وأسر كثير من رؤسائهم ، قال وانهزم أميرهم ورد وامامهم ، وأتبعهم المطهر الى نزوى وهى قصـبة تلك الجبال ، أى قصبة الداخلية ، قال : فانهزموا منـه فسير اليهم العساكر ، فأوقعوا بهم وقعـة أتت على باقيهم ، وقتـل ورد وانهزم حفص كمـا يقول ابن الأثير ، الى اليمن .

واختلط التاريخ الذى يحكيه ابن الأثير وان رام أحد تحليله عن تحقيق يستعصى عليه ، لأنه يأخذ الأقوال على غير وجهها ومـا عليه إلا أن

يدون كل مــا يجد وذلك لا يصح ، فأخذ الأقوال من غير المصادر الصحيحة لا يصح ، وهو يتبع النقلة أيا كانوا وهم يتخربطون فى النقل ، ولا يرجعون الى أصــلٍ ، إلا أنا دخلنا عمان وفعلنا وملكنــا وقتلنا ، ولا يبــالون ولا يراعون أهمية النقل ، ولا يحترمون حقوق التــاريخ ، ولا يرون واجب العــدالة فى حكم التــاريخ ، فلذلك لا تكــاد تستطيع الأخــذ عنهم إلامــا يناصره عن أهل الصدق مقال ، أو يعضده بمعناه عن أكابر الرجال والخبر من البعيد يأتى ذا ألوان وعلى نواح مختلفة .

قال العلامة أبو اسحاق رحمــة الله : هــذه الحادثة الملفقــة تدلكَ على مبلغ عبث هؤلاء بحقائق التاريخ ، وانك لترى فى كتبهم قلب قضــايا رأســا على عقب ، والقصد من هــذا إمــا هدم مجد كمــا هو الشأن فى هذه الحادثة ، أو تصوير الأمر بغير صورته تقليلا لأهميتــه ، وطمسا لمزيته ، كمــا ترى فى غير هــذا الموضع ، ولعل الباعث على هــذا لهؤلاء الكاتبين هو إظهــار من خالفهم فى مظهر لا يستحق الكرامة ، ولا يعتد بعظمته مهمــا بلغت ، وهدم المزايا وطمس الحق كاد يكون الظاهرة فيهم ، دون أن يجدوا مناصا منهــا لأنهم خدمة أغراض لا خدمة تاريخ ، فالناحية التى يأتون الوقائع منهــا هى ناحية طمس المعالم التى لا تسرهم جنوحا الى هواهم السياسى أو المذهبى ، وهكذا ترى صفحاتنا التاريخية بيــد هؤلاء المرضى مشوهة أو ممزقة أو معدومة ، والعجب أنك ترى تاريخا كتب لناحية واحدى حلقاته مفقودة ، وما فقدانها الا من عبث هؤلاء ، ولا يخشون فضيحة ولا يتقون الله فى أمانة العلم .

والحق أنه لا يؤخذ مــا يكتبه مؤرخو قومنــا على أصحابنا عــلى الاطلاق ، فان طمس الحق ديدنهم ولهم هوى فى ذلك ، إذ يزعمون أنه يجوز لهم ذلك فى حق مخالفيهم ، اللهم إلا النادر ، فان انصافهم لا ينكر

كابن الصغير المالكى ، ومن الغريب حتى كتاب العصر الذين ينتحلون تحرير التاريخ والاعتراف بالحقيقة لذاتها ، قد وقعوا فى سقطات دون أن يتحروا الصدق ، وقد يكون ذلك عن مبلغهم من العلم ، وقد يكون عن هوى ، كما تبادر لى من محادثة بعضهم اهـ كلام أبى اسحاق رحمه الله .

قلت : لم يكن الموجودون الآن خيرا من أولئك الذين مضوا ، بل ربما كان أولئك خيرا من هؤلاء لتمسكهم ببعض الديانة ، أما الذين هم الآن صاروا خلفا عنهم فليسوا على شىء ، فلا بدع أن مشوا على ذلك المنهج الذى يشير اليه العلامة .

والحقيقة أن التاريخ العمانى كما قيل دم أضاعه أهله ، فان أكثر أهل عمان كما سمعنا منهم لا يعيرون التاريخ آذانا ، ولا يهتمون به إذ لا يعتقدون له قيمة ، بل يقولون عيش آذان بهذه العبارة ، ولهذا ضاع كثير من أعمال أهل عمان ، ونزلت أهمية الأمة الى الحضيض ، وسترى من هذا الوجه شيئا هو أعجب الأشياء ، وذلك أن الترك جاءوا عمان فى امامة الامام الخليل بن شاذان ، وأخذوه وانحلت امامته ، وأقام العمانيون مقامه اماما لهم ، ثم رجع الخليل الى عمان الى آخر ما هنالك كما سوف ترى ذلك ان شاء الله ، وترى منه العجب حيث تقف مشدوها حائرا مصدوع الرأس ، ولم يتكلم عليه أحد منهم على الحقائق التى هناك ، فلا جرام اذا ضاع التاريخ العمانى ووضعه أعداء عمان فى مظاهر لا أهمية لها ، واذا لم يقم بالحق أهله لا يرجى أن يقوم به أعداؤه .

قال ابن الأثير : ثم ان جبال عمان اجتمع بها خلق كثير من الشراة ،

وجعلوا لهم أميرا اسمه ورد بن زياد ، وجعوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد قال : فاشتدت شوكتهم ، قال : فسيروا عليهم عضد الدولة المطهر بن عبد الله فى البحر أيضا فبلغ الى نواحى حرفان من أعمال عمان ، فأوقع بأهلها ، وأثخن فيهم وأسر ، ثم سار الى دما وهى على أربعة أيام من صحار ، فقاتل من بها وأوقع بهم وقعة عظيمة قتل فيها وأسر كثير من رؤسائهم ، وانهزم أميرهم وردو امامهم حفص ، واتبعهم المطهر الى نزوى وهى قصبة تلك الجبال ، فانهزموا منه فسير اليهم العساكر ، فأوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم ، وقتل ورد وانهزم حفص الى اليمن ، فصار معلما وسار المطهر الى مكان يعرف بالشرف قلت : لعله الشرق بالقاف بعد الراء المهملة • قال : به جمع كثير من العرب نحو عشرة آلاف ، فأوقع بهم • قال : واستقامت البلاد ودانت بالطاعة ، قال : ولم يبق فيها مخالف ، قال : الامام هذا كلامه والله أعلم بصحته •

قال : وأما حفص بن راشد إنما نصب اماما بعد موت أبيه الامام راشد بن سعيد رضى الله عنه ، وذلك فى المحرم سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، ولم يذكر أحد من مؤرخى أصحابنا خروج سلطان العراق على حفص بن راشد ولم يذكروا أنه عزل عن امامته ، ولا أنه خرج من عمان وانا لنشك فى رواية قومنا فيما شاهدوه، فكيف نثق بهم فيما غاب عنهم مع أنهم أخذوا أخبار ذلك من بعض أجناد الظلمة القادمين على حرب المسلمين ، فيحتمل أن يكون قد اختلط عليهم الأمر ويمكن أن يعتمدا الزيادة والنقص ، قال : وبالجملة فانا نعلم من سياق التاريخ أن الظلمة قد عانوا فى عمان ، وتولوا أمرها من بعد أن خذل أهل عمان

الامام راشد بن الوليد الى أن نصب الخليل ابن شاذان ، ومدة ذلك نحو خمس وستين سنة تقريبا ، والله غالب على أمره ا هـ كلام الامام السالمى رحمه الله .

والظاهر أن هؤلاء السلاطين أولهم يوسف بن وجيه الذى قاتله الامام سعيد بن عبد الله الرحيلى فى عهد امامته ، واستمر الحال بهم كذلك الى بنى مكرم وليسوا من عمان بغير شك ، لكن لما تسلطوا على أهل عمان من أول القرن الرابع الى أول القرن الخامس ، وكان السبب فى تسلطهم على أهل عمان بنو سامة أهل أزكى حتى تغلغلوا بعمان وسيطروا عليها تلك المدة ، صاروا كأنهم من عمان فلهذا قال ابن الأثير فى بنى مكرم : انهم من وجوه أهل عمان ، ولا علم له فى الحقيقة عن تحقيق قضايا عمان وأهل عمان ، وقواد بنى العباس الذين منحوهم آخر العهد اسم السلطان ، وأبقوا لأنفسهم اسم الخليفة ، ورضوا من الأمر بذلك ، إذ كانوا أركان باطل وأعمدة ضلال ، فلذلك سلط الله عليهم أعداءهم الديلم والترك ، وآخر الأمور انمحوا بالتتار ، وانتهت أيامهم السوداء المظلمة بفسادهم وضلالهم ، وكل مفسد لابد أن يرى عاقبة فساده ، حتى يعلم أن لهذا الكون ربا يدبره ومليكا يصرفه ، ليس موكولا الى تصرفات أهل الفساد ، والله يمهل ولا يهمل ، ولكل شىء غاية ينتهى اليها ، فقد عاث الغزاة فى عمان من هؤلاء وأمثالهم كالقرامطة ونحوهم ، وأخذوا وقتا وراحوا رهن أعمالهم ، وكذلك نكبوا أهل عمان بمصارعة الامام الخليل بن شاذان ، حتى قضوا عليه ومزجوا دولته ، وبددوا شمل امامته فى عمان ، ورأى منهم ما عرفه التاريخ كما سوف نذكره فى محله إن شاء الله .

والخلاصة أن ذلك القرن قد مر كله ملطخا بغيوم الظلم والفساد ، من المسلطين على الأمة بآل العباس ، الذين صاروا ذريعة لهم يتوصلون بهم الى مقاصدهم ، وكان بنــو العباس كاخوتهم بنى أميــة بلاء على الأمة ، وشرا على المسلمين إذ كانوا أهــل فجور وظلم وجور ، ملكا عضوضــا ونفوســا متغطرسة وأعمالا سيئة ، ولكن ذلك دليل فى الحقيقة على هوان الدنيــا وانحطاط قدرها عند الله عز وجل ، ولو كان لهــا شأن عند الله لم يجعل أهلها مثل هؤلاء المفسدين من فراعنة يدعون الربوبية ، وقياصرة يترفعون عن البرية ، ويتعاظمون على أهــل الحــق ، وأكاسرة يتربعون عروش الملك وهــم طغاة جورة ، وأمراء يتأمرون عــلى الأمة بمقتضى الأهــواء ، وملوك يفعلون مــا يشتهون ، وسلاطين فى النــار يقتحمون ولا يبالون ، وأتبــاع هؤلاء كثيرون ، والمسلمون هم الأقلون ، فى كل جيل ، والمخلصون الأقل أيضــا فى مطلق الأزمان ، ولكن اقتضت حكمــة الله ذلك ليحيــا من حى عن بينــه ، كمــا يهلك من يهلك عن بينــه ، والدنيا طريقان يوصلان الى الآخرة : وهما النجدان اللذان أشار اليهمــا القــرآن ٠

ولقد استمرت غزوات الجيوش العباسية لعمــان ، الى عهــد الامام الخليل ابن شاذان ، فقد صارعوه وقاتلوه الى أن قضوا على امامتــه وقادوه آسيرا من عمان لا يقدر على نصرته أحد ، حتى مضى على ذلك عهد وهو معهم ولا يدرى العمانيون شيئا عنه وهل هو حى أم ميت كمــا سوف ترى ذلك ان شاء الله ٠

محتويـات الكتـاب

الصفحة

الصفحة

وزارة التراث القومي والثقافة
ص.ب : ٦٦٨ ـ الرمز البريدي : ١١٣ مسقط
سـلطنة عُمـان

رقم الإيداع : ٢٤١ / ٩٥

طبع بالمطبعة الشرقية ومكتبتها سلطنة عمان ـ ت : ٧٧١٦٩٥٢